دراسات في

علاقة الأرمن والكرج بالقوى الإسلامية في العصر العباسي

تأليف

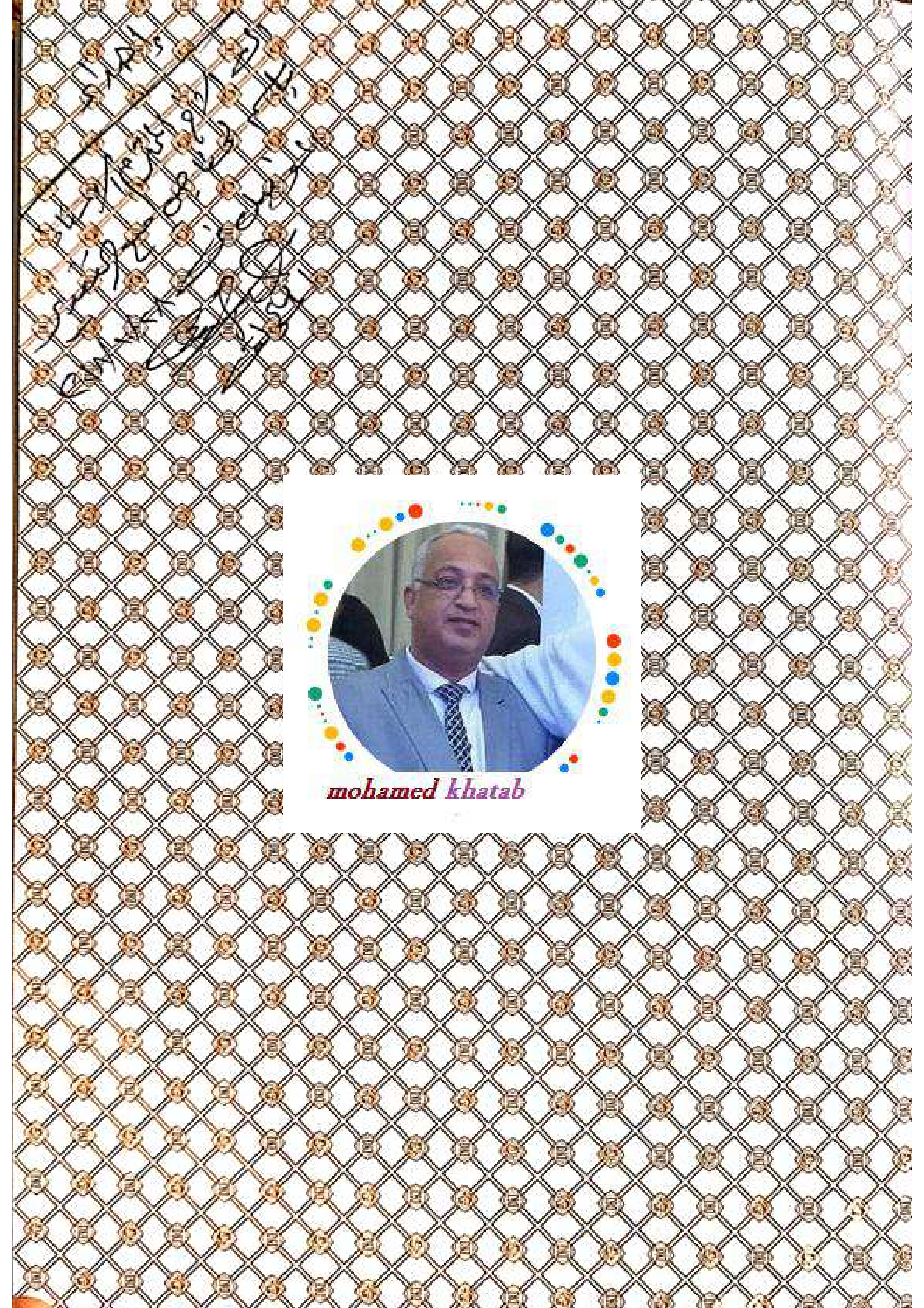
الدكتور فتحي سالم حميدي اللهيبي

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية العلوم الإسلامية / جامعة الموصل

قسم الحضارة الإسلامية




mohamed khatab

دراسات في
علاقة الأرمن والكرج بالقوى الإسلامية في العصر العباسي

تأليف

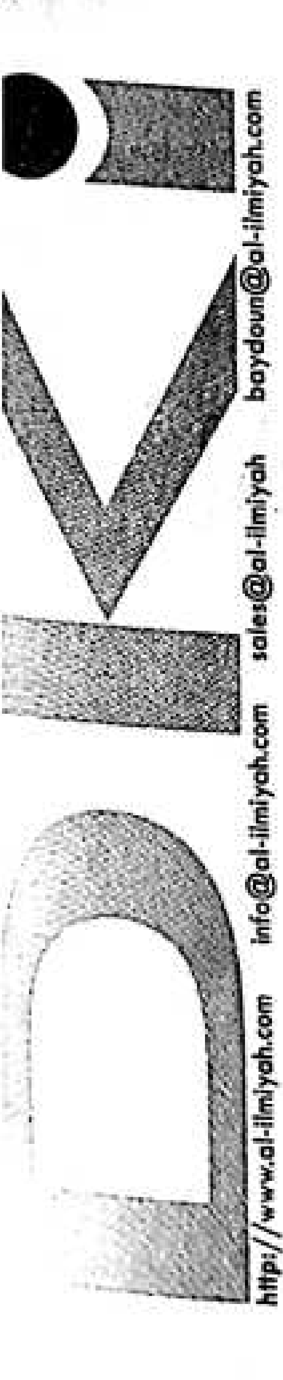
الدكتور فتحي سالم حميدي اللهيبي

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية العلوم الإسلامية - جامعة الموصل

قسم الحضارة الإسلامية







الكتاب: دراسات في
علاقة الأرمن والكرج بالقوى الإسلامية
في العصر العباسي

Title: DIRASAT FI
'ALAQAT AL-ARMAN WAL-KURJ
BIL-QIWA AL-ISLAMIYYA
FI AL-'ASR AL-'ABBASI

التصنيف: دراسات تاريخية

Classification: Historical studies

المؤلف: الدكتور فتحي سالم حميدي اللهيبي

Author: Dr. Fathi Salem Hamidi Al-Lahibi

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	240	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2013 A.D. -1434 H.	سنة الطباعة
Printed in: Lebanon		بلد الطباعة: لبنان
Edition: 1st		الطبعة: الأولى

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon



Aramoun, al-Quebbah
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel.: +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290



ISBN-13: 978-2-7451-7741-4
ISBN-10: 2-7451-7741-9

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾

وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾

ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

صدق الله العظيم

سورة النجم الآيات /39 - 41

الإهداء

إلى اللذين ربياني صغيراً...

ورعياني كبيراً...

واحاطاني بدعائهما ليلاً ونهاراً...

وسراً وجهاراً...

وكان رضاؤهما عليّ سبباً لأن يوفقني ربيّ...

إلى والديّ.

قائمة المختصرات

المختصر	دلالته
ت	توفي
ج	جزء
ع	عدد
م	مجلد
ق	قسم
د.ت	بدون تاريخ
د.م	بدون مكان طبع، بدون مطبعة
ص	صفحة
P	صفحة
PP	صفحات
No. P	بدون مكان طبع، بدون مطبعة
No. D	بدون تاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور طه خضر عبيد

تأتي دراسة العلاقة بين الأرمن والكرج من جهة والقوى الإسلامية من جهة أخرى، لتشكل خطوة لفهم التاريخ الإسلامي، وعلاقة المسلمين بالأمم والدول المجاورة، التي كانت خاضعة لهم يوماً ما، وكان فضله عليهم كبيراً في بناء حضارتهم، ويعبر الاتصال اللاحق مع هذه الإمارات بشتى الأساليب السلمية والحربية عن الاتصال بالآخر، وعن البعد التاريخي لذلك التواصل، ولا ننسى أن هذه الأمم شاركت هي الأخرى في العطاء الحضاري الإنساني، وعبرت عن شخصيتها على مر العصور التاريخية، وإن حاول البعض أن يصف الأرمن والكرج بأنهم قوى أو إمارات حاجزة بين المسلمين والبيزنطيين والصليبيين، وإنهم يتأثرون في علاقاتهم بالأقوى سياسياً وعسكرياً، ولذلك تتفاوت مستويات العلاقة بين الحين والآخر.

قدم الباحث في دراسة العلاقة بين الأرمن والكرج مع القوى الإسلامية طيلة قرون من الزمان، ولذلك لا تشكل هذه الدراسة نقطة بداية إلى نهاية محددة، بل اختار نماذج من تلك العلاقات، ففي القسم الأول من الكتاب ركز على مملكة الأرمن ودراستها جغرافياً وسياسياً، وما هي العوامل التي دفعت الأرمن إلى الهجرة إلى قيليقيا وتأسيس مملكتهم، مركزاً على أهمية الموقع السوقي الذي قامت عليه هذه المملكة وفي الاتصال مع قوى سياسية؛ بيزنطية وإسلامية وصليبية حتى اكتمال نضوج قيام المملكة في سنة 596هـ/1199م، ولما كان السلاجقة اكبر قوة إسلامية

مجاورة لهم، وقيام دولة سلاجقة الروم كقوة فرعية للسلاجقة، فقد نشأت علاقات مع الأرض والسكان تباينت بين الاتفاق والاختلاف الذي قد يصل أحيانا إلى الصراع والحرب ولم تقتصر على علاقة الأرمن مع هذه القوة الإسلامية، بل امتدت لتشمل قوى إسلامية أخرى في الجزيرة الفراتية للمدة (491 - 573هـ/1097 - 1177م) من دانشمنديين وأراتقة وزنكيين، وقد غلب على تلك العلاقات والاتصالات الطابع الحربي، لأن هدف هذه القوى التوسع ومد النفوذ إلى المناطق المجاورة.

وجاء القسم الثاني من الكتاب، مركزاً على مملكة الكرج في بلاد القوقاز، بدءاً من أصلهم وموقع بلادهم التي كانت يوماً ما تحت ظل الحكم الإسلامي، ونزوعهم نحو الانفصال وتكوين مملكتهم، مما اضطر الخلافة العباسية على الاعتراف بهم، وقد كانت تفليس العاصمة حاضرة البلاد التي تتمتع بموقع جغرافي سوقي، وتمتلك مؤهلات المدن الكبرى، وذات الشأن السياسي والاقتصادي، فهي قد رسمت لها دوراً مهماً لخدمة الكرج وتكوين علاقات مع القوى الإسلامية.

واتسمت العلاقات والروابط والاتصال بين مملكة الكرج والقوى الإسلامية بنوع خاص، هو ظهور المصاهرات السياسية التي كانت عاملاً في تعميق تلك العلاقات، ومن خلالها حقق الكرج مصالحهم في تحسين العلاقات السلمية والتعاون المشترك مع أمراء المسلمين، وهذا لا يعني أن العلاقات كانت تسير بوتيرة واحدة، فقد شابها التوتر والعداء، كما حصل مع الإمارات الأرتقية، ولم يكن للعامل الديني واختلافه دور في هذا العداء بقدر ما اقتصر على الناحية السياسية وأهداف التوسع ومد النفوذ، كما نجد نوعاً من العلاقات السياسية قد ظهر بين الكرج وإمارة الموصل الزنكية، وكان للأسلوب الدبلوماسي وضوحاً، وله أهدافه وغاياته التي منها تقليل الخطر عن المسلمين الموجودين في مملكة الكرج، فضلاً عن فك الأسرى المسلمين عندهم، وحماية ممتلكات المسلمين، وان التعامل بالحسنى مع الرعايا المسلمين عند الكرج وممارستهم لشعائرهم الدينية وإقامة المنشآت الخيرية والمرافق العامة لهم شكل صفحة من تلك العلاقات.

ومجمل القول: إن الدراسة قدمت انطباعاً عن الأرمن والكرج المقيمين في أطراف ممالك المسلمين، وهذا يعني بالضرورة أن وجود أي شكل من أشكال الاتصال معهم كان لخدمة الجميع، وان تقييم تلك العلاقات لا بد أن يرتكز على الحقائق والأحداث التاريخية التي نجد منها النزر اليسير في مصادرنا العربية الإسلامية، في حين أكملت مؤلفات تلك الأمم القسم الآخر، وبذلك نقترب إلى رسم صورة واضحة عن العلاقات والتأثيرات الحضارية التي كان للإسلام موقف جليٌ منها منذ بداية ظهوره وهو رفع شأن الإسلام ونشر العدل، والتعامل الإنساني مع الآخر، مهما اختلفت عقيدته أو توجهه السياسي، وفق ثوابت قام عليها الإسلام واستمر.

وأخيراً فإن هذه الدراسة ستسد فراغاً في المكتبة، وتقدم ملامح مهمة عن تلك العلاقات التي نحن بأمس الحاجة إليها في تأكيد التعامل مع الآخر.

والله من وراء القصد

أ.د. طه خضر عبيد

أستاذ التاريخ العباسي

جامعة الموصل /كلية التربية / قسم التاريخ

2012/4/27

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الأرمن والكرج من الشعوب التي لا يزال الغموض يحيط بتاريخها، والسبب في ذلك يعود إلى قلة المصادر التاريخية المتخصصة، فضلاً عن المُحَقَّق منها وندرته نوعاً ما باستثناء بعض النصوص التاريخية التي أوردتها المصادر العربية الإسلامية، وذلك بحكم ارتباطها بالأوضاع السياسية العربية، فضلاً عن المعلومات المتناثرة التي أوردتها المصادر الأجنبية المعربة وغير المعربة، وهذا يعد قيلاً إذ ما تمت مقارنته بالمصادر التاريخية المتخصصة بدراسة أوضاع الشعوب والمناطق المحيطة بها، وذلك لعزوف الباحثين عن دراسة تاريخ بلاد الأرمن والكرج وتاريخهما واهتمامهم بدراسة شعوب ومناطق معينة تتوفر المصادر والمراجع التي تناولت تاريخها، لا سيما التي تقع ضمن نطاق الدولة العربية الإسلامية، في الوقت الذي يحتاج فيه تاريخ الأرمن والكرج إلى دراسة أكاديمية وافية ومفصلة، باعتبارها جزءاً مكملاً لغرض فهم تاريخ المنطقة بشكل واضح من حيث أهميتها وتأثيرها على الشعوب الأخرى.

لقد خطرت لي فكرة تأليف كتابٍ عن تاريخ الأرمن والكرج نتيجة للأسباب التي ذكرناه آنفا فقررت الخوض في هذا الجانب دون غيره وجمع أبحاثي ودراساتي فيه لأسباب عدة منها تخصصي الدقيق في تاريخ الأرمن والكرج من ناحية، ولكون الأرمن والكرج أبناء عمومة ويرجعون إلى عرق واحد حسبما أشارت المصادر التاريخية الأرمنية والكرجية وغيرها من ناحية أخرى، فضلاً عن اعتناقهم للديانة النصرانية في ذات الوقت وعلى يد القديس كريكور المنور نفسه،

كما أن اختراع أبجديتهم كان على يد ميسروب، لذا فقد جاء الكتاب تحت عنوان ((دراسات في علاقة الأرمن والكرج بالقوى الإسلامية في العصر العباسي)).

تعد المنطقة التي شغلتها مملكة الأرمن في قيليقيا ومملكة الكرج في بلاد القوقاز منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى حقبة الدولة السلجوقية من مناطق الثغور والعواصم المهمة التي تفصل بين كل من الإمبراطورية البيزنطية والدولة العربية الإسلامية، حيث تميزت تلك البلاد في العصور الإسلامية بأهمية إستراتيجية كبيرة من الناحية السياسية والاقتصادية، التي كان لها نتائج مؤثرة في تاريخ تلك الدول، لما تتمتع به من موقع جغرافي مهم، أتاح لها أن تكون منطقة حيوية ذات دور كبير في اتصال العالم الإسلامي بشعوب المناطق الأخرى في غرب آسيا وأوربا الشرقية.

يعد الأرمن والكرج من الشعوب التي أدت دوراً كبيراً على مسرح الأحداث في الشرق، خلال فترة العصور الإسلامية المتأخرة، لأن أراضيها أصبحت مسرحا للصراع بين القوى الداخلية والخارجية، إذ ازدادت أهميتها خاصة في الفترة التي شهدت فيها الدولة العربية الإسلامية تغييرات سياسية وحضارية وبشرية على أثر الغزو الصليبي والمغولي.

لقد أدى موقع هاتين المملكتين بطبيعة الحال إلى نشوء علاقات متباينة بين شعبيهما وشعوب المناطق المجاورة، يسودها الهدوء تارة والصراع تارة أخرى، لوقوعهما على الطرق والممرات الجبلية الضيقة، التي تعد المنفذ الرئيس للوصول إلى قلب آسيا من ناحية وشرق أوربا من ناحية أخرى، مما جعلهما هدفاً للصليبيين والمغول للوصول إلى بلاد الشام من جهة، وهدفا للقوى الإسلامية لتأمين ممتلكاتها، ولغرض الوصول إلى مناطق آسيا المختلفة من جهة أخرى.

وقد تم بناء خطة الكتاب وفق المنهج التاريخي القائم على استقراء المعلومات التاريخية الواردة عن الأرمن والكرج وتسلسلها الزمني في المصادر الأولية العربية الإسلامية والأجنبية والأرمنية والكرجية، وفي ضوء ذلك تم تقسيم الكتاب إلى قسمين الأول اختص بدراسة تاريخ الأرمن واشتمل على أربعة فصول متنوعة تناول الأول دراسة حقبة ((تشكيل الإمارات الأرمنية الأولى في قيليقيا)) في

حين تطرق الثاني إلى ((الصراع بين الإمارة الروبينية والهيثومية وقيام مملكة الأرمن 596هـ/1199م))، كما تضمن الفصل الثالث الحديث عن ((الصراع الأرمني - السلجوقي (429 - 644هـ/1037 - 1246م))). أما الفصل الرابع، فقد تخصص بدراسة العلاقات السياسية للأرمن مع المسلمين في بلاد الجزيرة فجاء عنوانه ((الأرمن والقوى الإسلامية في بلاد الجزيرة (491 - 573هـ/1097 - 1177م)).

أما القسم الثاني من الكتاب فقد ضم خمسة فصول، ركز الأول على دراسة تاريخ ((مملكة الكرج في بلاد القوقاز)) في حين اختص الفصل الثاني منه بدراسة تاريخ عاصمة الكرج التاريخية، فكان بعنوان ((مدينة تفليس دراسة تاريخية من الفتح الإسلامي وحتى سنة 515هـ/1121م)). أما الفصل الثالث فتناول أهم ((المصاهرات السياسية بين الأسرة الكرجية الحاكمة وبعض أمراء المسلمين في العصر العباسي)). وبحث الفصل الرابع في جانب من العلاقات السياسية لمملكة الكرج وهو ((مملكة الكرج والإمارات الأرتقية في عصر الحروب الصليبية(465 - 600هـ/1072 - 1200م))، وجاء الفصل الخامس ليتطرق للعلاقات الدبلوماسية لمملكة الكرج مع إمارة الموصل الزنكية وتحت عنوان ((العلاقات الدبلوماسية بين مملكة الكرج وإمارة الموصل في العهد الزنكي)).

لقد اعتمدت في هذا الكتابة على مجموعة من المصادر والمراجع والرسائل العلمية التأريخية والدوريات والدراسات الأجنبية، فضلاً عن المقالات حيث أفادتنا بما احتوته من معلومات متناثرة بين صفحاتها أغنت الكتاب إلى حد كبير، ككتب التاريخ العام وكتب البلدانيين، فضلاً عن الكتب الأرمنية والانكليزية والفرنسية والألمانية.

الأستاذ المساعد الدكتور

فتحي سالم حميدي اللهيبي

الموصل في2012/4/11


القسم الأول
دراسات في تاريخ الأرمن

الفصل الأول

الإمارات الأرمنية الأولى في قيليقيا

أولاً: أصل الأرمن

ثانياً: الأوضاع السياسية في أرمينيا الكبرى قبيل الهجرة

ثالثاً: هجرة الأرمن إلى قيليقيا

رابعاً: الموقع الجغرافي الجديد للأرمن (قيليقيا)

خامساً: تشكيل الإمارات الأرمنية في قيليقيا

أولاً: أصل الأرمن

يتفق الكثير من الباحثين في مجال التاريخ وعلماء السلالات البشرية على أن الأرمن من الشعوب الآرية الهندو - أوربية، كالفرس والألمان والسلاف وغيرهم، وآرية العنصر الأرمني معترف بها من قبل علماء النسب[1].

انتشرت الشعوب الهندو - أوربية في أواسط آسيا، ونزحت على شكل موجتين كبيرتين نحو الجزء الغربي من آسيا، ثم انقسمت إحدى هاتين الموجتين إلى فريقين، دخل احدهما الهند وإيران، ومن هذه الموجة تكونت الأمم الهندية والإيرانية. أما الموجة الثانية دخلت إلى أوربا وعاشت فيها أجيالاً عديدة، ثم تفرقت شيعاً وجماعات ومن هذه العناصر اتجه القسم الأرمني من جنوب أوربا عبر نهر الطونة، وأقامت في تراقيا ردحاً من الزمن، ثم قطعت مضيق الدردنيل إلى آسيا الصغرى ومنها وصلت إلى أرمينيا الكبرى[2] بعد مصادمات مع الحثيين

---

(1) ينظر: ل. أ. استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية (الموصل: 1951)، ص46؛ يوسف عزت، تاريخ القوقاز (استانبول: 1912)، ص20.

(2) أرمينيا الكبرى: يحدها من الشمال بلاد الكرج واذْربيجان القوقازية ومن الشرق الحدود الايرانية التركمانية ومن الجنوب الحدود العراقية التركية أما حدودها الغربية فتمتد إلى =

والأوراردين[1].

وذلك في القرن السابع ق.م. [2]، وبمرور الوقت انصهرت القوميات التي استوطنت في هذه البلاد مع العنصر الأرمني، الذي كان هو الغالب ولهذا سميت أرمينيا، نسبة إليهم[3].

يشير علماء الجنس البشري إلى أن الأرمن يختلفون عن الشعوب التي تقطن في آسيا الغربية من حيث التكوين الجسماني، فهم طوال القامة نحاف البنية، ومن ذوي الرؤوس الصغيرة، والمعروف ان العنصر الأرمني ذو قوة وخصابة في الإنتاج التناسلي، وهو شبيه بشعوب المنطقة الجبلية، التي تعيش في يوغسلافيا وايطاليا الحالية[4]، ويرجع سبب ذلك إلى موقع أرمينيا الجغرافي وطبيعتها المناخية القاسية،مما اثر في طبائع وتاريخ الشعب الأرمني[5].

أما فيما يتعلق بديانة الشعب الأرمني، فبموجب الدراسات الأثرية واللغوية، فإننا نجد أن الأرمن كانوا يعبدون الآلهة الفارسية والآشورية والأرمنية الخاصة بهم، وبظهور النصرانية اعتنقها الأرمن[6]، فكانت محط افتخار الشعب الأرمني بها، إذ عدّ نفسه الشعب الأعرق في نصرانيته، لكونهم أول شعب هندو - أوربي اتخذ

كيدوكيا (انقرة وقيصرية الحاليتان). ينظر: استارجيان، المرجع نفسه، ص 44.

(1) الحثيين والأوراردين: قامت دولة الحثيين في شمال أرمينيا الكبرى والموزكيين في جنوبها ووقعت قلاقل واضطرابات وغزوات مستمرة واختلط الشعبان وخالطت دمائهم دماء اخرى على مرور الزمن فتكونت من هذا المزيج قوم جدد عرفوا بالأوراردين. ينظر: استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 40.

(2) أديب سيد، أرمينية في التاريخ العربي (حلب: 1972م)، ص30؛ صلاح الدين أمين طه، الحياة العامة في أرمينيا (رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد، 1979)، ص49 - 50.

(3) طه، الحياة العامة في أرمينيا، ص 50.

(4) سيد، أرمينية، ص 31.

(5) بول أميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي (بيروت، د.ت)، ص 6.

(6) ينظر: بطرس مراياتي، الجذور والبدايات المسيحية (مقال منشور في مجلة الفكر المسيحي، العدد 241 - 242، 1999، ص 11).

النصرانية كديانة رسمية، ولم يسبقهم إلى ذلك سوى بعض الإمارات الصغيرة، كإمارة الرها[1].

ثانيا: الأوضاع السياسية في أرمينيا الكبرى قبيل الهجرة

قبل البدء بالحديث عن هجرة الأرمن إلى قيليقيا[2]، لا بد من تقديم صورة واضحة عن الظروف السياسية التي عاشها الأرمن في مملكتهم الأولى (أرمينيا الكبرى)، والتي أفرزت عوامل عدة، دفعتهم إلى مغادرة أراضيهم في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وللتعرف على تلك العوامل يجب معرفة الأحوال الداخلية والخارجية التي عاشتها تلك المملكة، فبالنسبة إلى الأحوال الداخلية، أدت الصراعات السياسية إلى انقسام المملكة إلى ست ممالك مستقلة الواحدة عن الأخرى داخل أراضي أرمينيا الكبرى، حيث عاش أمراؤها في صراع وتنافس مستمر فيما بينهم، لأجل التوسع كلٌ على حساب الآخر، مما أثار مطامع كلاً من السلاجقة المسلمين والبيزنطيين النصارى، وأصبحت أرمينيا الكبرى تعيش حالة من الفوضى والاضطراب، مما زاد في وهن قوتها[3]، وعدم قدرتها على المقاومة الفعالة أمام ضغط البيزنطيين الذين أرادوا السيطرة على هذه الممالك لتأمين حدود بلادهم من خطر الأتراك السلاجقة[4].

---

(1) كارلتون كون، القافلة قصة الشرق الأوسط، ترجمة: برهان دجاني (بيروت، 1959)، ص 131.

(2) قيليقيا: يقصد بها الإقليم الواقع في جنوب شرقي آسيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر المتوسط، وتكاد حدودها أن تكون طبيعية فيحدها من الشرق جبال الامانوس ومن جهتي الشمال والغرب جبال طوروس ومن الجنوب البحر المتوسط. ينظر: فتحي سالم حميدي، مملكة أرمينية الصغرى، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب /جامعة الموصل (الموصل:2000م)، ص21.

(3) عن هذه الانقسامات والحروب ينظر: سترك، مادة أرمينيا: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، مج 1 / ص 647.

(4) علية عبد السميع الجنزوري، إمارة الرها الصليبية (القاهرة: 1975)، ص 36.

أما فيما يتعلق بالأحوال الخارجية، فتمثلت بالخطر البيزنطي والسلجوقي، حيث شجعت الظروف السياسية السيئة التي سادت أرمينيا الكبرى البيزنطيين على العمل المتواصل لضمها إلى حظيرة إمبراطوريتهم، وتم لهم ذلك في سنة 356هـ/965م في زمن الإمبراطور نقفور الثاني (354 - 360هـ/963 - 969م)، وخليفته الإمبراطور باسيل الثاني (367 - 416هـ/ 976 - 1025م)، الذي استهل سياسته بأن ضم إلى دولته أراضي أرمينيا الكبرى جزءاً بعد جزء، على الرغم من غارات السلاجقة المتكررة[1].

اضطر الملك سنكريم الأرمني تحت الضغط البيزنطي إلى التنازل عن مملكته في سنة 412 - 413هـ/1021 - 1022م للإمبراطور البيزنطي مقابل منحه مدينة سيواس وأقاليمها على امتداد نهر الفرات في آسيا الصغرى، كما تنازل كل من صاحب قرس وآني، اللذان يحملان اسم جاجيك عن ممتلكاتهم للإمبراطور البيزنطي في سنة 437هـ/1045م و457هـ/1064م مقابل منحهم أراضي في كبدوكيا الواقعة في آسيا الصغرى، وبموجب هذا التنازل هاجر عدد كبير من الأرمن إلى الأراضي الجديدة[2].

وبزوال تلك الممالك أصبح البيزنطيون في حالة صدام مباشر مع الأتراك السلاجقة[3]، الذين توالت هجماتهم على مناطق نفوذ الإمبراطورية البيزنطية في أرمينيا الكبرى. ففي سنة 446هـ/1054م هاجم طغرلبك الجهات الواقعة حول بحيرة وان، غير انه فشل في الاستيلاء على حصن ملاذكرد[4].

---

(1) ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني (بيروت: 1967): ج 1/ ص 94؛
Lang , David Marshall, Armenia Cradle of Civilization (London, 1970), p. 200.

(2) الجنزوري، إمارة الرها، ص 36.

(3) ج. م. هسي، العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد، ط 2 (القاهرة: 1982)، ص 174.

(4) ملاذ كرد: يطلق عليها عدة تسميات منها منازجرد وملاذ كرد وملادجرت وهي بلدة مشهورة بين خلاط وبلاد الروم وتقع في أرمينيا الكبرى بالقرب من قلعة خرتبرت. ينظر: صفي الدين ابن عبد المؤمن ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق:علي محمد النجاوي (بيروت:1955):ج3/ص14.

تكررت الهجمات السلجوقية في السنوات 448هـ/1056م و449هـ/1057م على مناطق التخوم البيزنطية المحاددة لهم، والتي أوكلت مهمة حمايتها للأرمن ففي سنة 451هـ/1059م زحفت القوات السلجوقية لأول مرة إلى جوف أراضي الإمبراطورية البيزنطية[1]، وكان ذلك بمثابة تهديد كبير لبيزنطة.

واصل السلطان السلجوقي ألب ارسلان (455 - 465هـ/1063 - 1072م)، منذ بداية حكمه وحتى نهايته سياسة سلفه طغرلبك بالاستيلاء على أرمينيا الكبرى لحماية دولته من أية محاولة تحالف بين البيزنطيين والفاطميين في مصر واستكمالاً لعملياته الجهادية. ففي سنة 456هـ/1064م تعرضت مدينة آني[2] حاضرة أرمينيا الكبرى للدمار واستيلاء السلاجقة عليها، وبذلك دخلت أرمينيا تحت السيطرة السلجوقية[3].

تغير مجرى الأحداث في أرمينيا الكبرى على اثر سيطرة السلاجقة عليها، ففي ربيع سنة 463هـ/1071م أحرز السلطان ألب ارسلان نصراً كبيراً في موقعة ملاذكرد، فأُبيد الجيش البيزنطي عن بكرة أبيه[4]، كما اسر في تلك المعركة الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجين[5] واستولت القوات السلجوقية على غنائم

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج 1 / ص 94.

(2) آني: بنيت مدينة آني في عهد الملك أشوط الثالث (952 - 977م) وأصبحت مقر ملكه وأصبحت درة الشرق وحاضرة الأرمن. ينظر: سترك، مادة أرمينية، دائرة المعارف الإسلامية: مج 1 / ص 647.

(3) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 199.

(4) أحمد بن يوسف بن علي ابن الأزرق الفارقي، التاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف (القاهرة: 1959)، ص 186؛ كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب (بيروت:1954م): ج2/ ص 28.

(5) رومانوس ديوجين: هو قائد الجيوش البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين دوكاس وبعد موت الأخير رأت امرأته أن تتزوج من رجل يعينها على وقاية المُلك من غارات السلاجقة وهولهم، فتزوجت من رومانوس وألقت عليه أزمة السياسة فنهض رومانوس بأعباء الإمبراطورية ثم جهز الجيوش لمقاتلة السلاجقة في كل ناحية حتى جنح ألب ارسلان للصلح فأبى رومانوس، فكانت نهاية حكمه معركة ملاذ كرد المذكورة. ينظر: لويس -

كبيرة جداً، ولكثرتها انخفضت أسعار الدواب والسلاح والمتاع حتى بيع كل اثنا عشر خوذة بسدس دينار، وكل ثلاثة دروع بدينار واحد[1].

تُعد تلك المعركة من المعارك الكبرى بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية بشكل خاص وللعلاقات بين الشرق والغرب بشكل عام. فكانت من نتائجها أن ترسخت السيطرة السلجوقية على أراضي أرمينيا الكبرى وبسببها فقد الأرمن كل أمل في استعادة مملكتهم، وأدت إلى هجرة أعداد كبيرة من الأرمن إلى قيليقيا، وجبال طوروس، وتشكيل مملكتهم الجديدة، فكانت هذه الظروف مجتمعةً سواء الداخلية منها أم الخارجية من أهم أسباب هجرة الأرمن.

ثالثاً: هجرة الأرمن إلى قيليقيا

بعد ما مر به البيزنطيون من ظروف سيئة قاموا بتهجير أعداد كبيرة من الأرمن إلى كبدوكيا في أواسط آسيا الصغرى، محاولين بكل جهودهم تحقيق هدف رئيس، وهو حمل الأرمن على نسيان مسألتهم القومية الخاصة بضياع ملكهم، هذا فضلاً عن هجرة عدد كبير من الأرمن في القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي إلى منطقة قيليقيا وجبال طوروس أمام ضغط السلاجقة المتدفقين بشدة من الشرق، ولحقوا بتلك النواحي الجديدة حتى أضحى ما يقرب نصف سكان أرمينيا الكبرى في حركة هجرة مستمرة نحو الجنوب الغربي، واتخذت هذه الهجرة ثلاث

رحماني الموصلي، مختصر تواريخ القرون الوسطى (الموصل: 1877م)، ص 238.

(1) عماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق، ط 3 (بيروت: 1980)، ص 43؛ عبد القادر أحمد اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر (بيروت: 1969)، ص 22؛

Kenneth M. Setton ,A History of the Crusades (Pennsylvania:ON. D):Vol. II/p. 632;

George Ostrogorsky, History of the Byzantine State (Oxford: 1968) , p. 344.

موجات [1]:

الموجة الأولى: بدأت هذه الهجرة في تاريخ مبكر فقد ذكر المؤرخون أن في السنين الأولى من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، نزح خمسون نبيلاً من أرمينيا الكبرى هرباً من الأتراك السلاجقة عبر جبال طوروس [2]، وكانوا مصحوبين بأتباعهم وعوائلهم إلى قيليقيا الواقعة شمال سـوريا، وأصبح عدد هؤلاء الأرمن كفيلاً بتعيين أسقف في طرسوس وآخر في أنطاكيا[3].

الموجة الثانية: تمثلت هذه الموجة بهجرة الأرمن على اثر التوسع البيزنطي في الأقاليم الواقعة شرقي آسيا الصغرى، حيث هاجر عدد كبير من الأرمن عبر بلادهم الأصلية في أرمينيا الكبرى إلى الأقاليم الواقعة غربي الفرات وشماله لتستقر في هذه الأقاليم التي استقر بها إخوانهم منذ وقت مبكر، وأسسوا فيها جاليات في عصور سابقة، وتعد هذه الموجة من أهم الموجات المهاجرة، حيث صحبها عدد من الملوك والأمراء الأرمن، الذين كانوا يمتلكون الأراضي التي منحها لهم الإمبراطور البيزنطي في كبدوكيا وآسيا الصغرى، مقابل التنازل عن ممتلكاتهم في أرمينيا الكبرى[4].

الموجة الثالثة: تمثلت تلك الموجة بالأرمن المهاجرين بعد معركة ملاذ كرد سنة 463هـ/1071م، فقد ازدادت الهجرة على اثر هذه الكارثة التي حلت بالإمبراطورية البيزنطية والتي أسفرت عن وقوع أرمينيا الكبرى تحت الحكم السلجوقي كما أسلفنا، واختار الكثير من الأرمن الالتجاء إلى جبال طوروس وإقليم قيليقيا، فضلا عن شمال بلاد الشام. وعندما اتضح أن هذه المنطقة الواقعة في الركن

---

(1) الجنزوري، إمارة الرها، ص 38؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 1/ ص 112.

(2) Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 632.

(3) George Hussey, Cambirdge Medieval History (Cambirdge:1966):Vol. IV/Part. I/p. 628; Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 632; Lang, Armenia, p. 200.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى (بيروت: 1977)، ص 288؛

Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 631.
Hussey, Cambridge Medieval History: Vol. IV / Part I / p. 628.

الجنوبي الشرقي من آسيا الصغرى بعيدة نسبياً عن الطرق الرئيسة لتوسع السلاجقة، هاجرت إليها تلك الجموع من الأرمن في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، بعد ازدياد خطر السلاجقة وتهديدهم المباشر لمنطقة كبدوكيا، وكانت حصيلة هذه الموجات الثلاثة أن انتشر الأرمن في آسيا الصغرى خاصة في الجهات الواقعة شمال جبال طوروس وقيليقيا[1].

بعد وصول المهاجرين إلى الموقع الجغرافي الجديد، انقسموا إلى قسمين، القسم الأول، الذين هاجروا واستقروا تحت زعامة نبلائهم في إقليم طوروس، ولم تلبث هذه الجموع أن دخلت في دائرة السياسة البيزنطية[2]، حيث أن هذه الزيادة في عدد الشعب الأرمني تتفق مع المصالح البيزنطية، لأنها ضمنت حماية الأرمن للحاميات البيزنطية في قلاع قيليقيا. فضلاً عن أن الإمبراطورية البيزنطية عملت على شحن المضايق الموصلة إلى قيليقيا، بالعناصر المحاربة القادرة على الدفاع عن هذه المضايق، لكونها أكثر المناطق تعرضاً لخطر مهاجمة السلاجقة المسلمين، لذلك فكر الأباطرة بتقوية أقاليم دولتهم الواقعة على الحدود القيليقية، بأن وضعوا المناطق المهمة في أيدي نبلاء أرمن عرفوا بالشجاعة العسكرية[3].

أما القسم الثاني من الأرمن الذين استقروا في قيليقيا، فقد بقوا مستقلين في حكم مقاطعاتهم بمعزل عن التدخلات البيزنطية في أمور حكمهم، ولهذا نشأت في قيليقيا العديد من الإمارات الصغيرة التي حاول كل منها إحياء أمجاد مملكتهم الغابرة التي فقدوها على أيدي البيزنطين والسلاجقة[4].

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1 / ص 113؛ عاشور، الحركة الصليبية (القاهرة: 1963): ج1 / ص 97؛

Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 631.

(2) الجنزوري، إمارة الرها، ص 39.

(3) Der Nersessian, Sirarpe, The Armenians (Paress , 1977) p. 52 ;

Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 632.

(4) الجنزوري، إمارة الرها، ص 39؛

Lang, Armenia , PP. 200 - 201.

رابعاً: الموقع الجغرافي الجديد للأرمن (قيليقيا)

استقر الأرمن في موطنهم الجديد بعد هجرتهم من وطنهم الأم، وأقاموا مملكة خاصة بهم أطلقوا عليها اسم أرمينية الصغرى تيمناً وإحياء لمملكتهم الغابرة[1].

اختلفت المصادر التاريخية في تسمية تلك المنطقة، فقد أطلق عليها في فترات قديمة اسم (هايستان) وهي كلمة تعني المكان المرتفع، نظراً لجغرافيتها وتميزها بالارتفاع[2]، كما أشار إليها الكتاب السريان والأرمن باسم كيليكيا (قيليقيا)، واختصّت التسمية في البداية على الجزء الغربي من قيليقيا أي تراقيا القيليقية، [3].

لقد شملت هذه التسمية فيما بعد الجزء الشرقي المسمى كبدوكيا. أي أن التسمية في النهاية أطلقت على الجزءين الشرقي والغربي، ولم تستخدم تلك التسمية لدى المؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين[4]، بل استخدمت تسميات أخرى عديدة، منها (الدرب) لوقوعها على الطريق الذي يصل بين مدينة طرسوس والقسطنطينية، كما سميت بـ (بلاد ابن لاون) نسبة إلى ملكهم ليفون، حيث أطلق المؤرخون العرب المسلمون اسم ابن لاون على ملوك الأرمن في قيليقيا بشكل عام، كما سميت بـ (بلاد سيس)[5] نسبة إلى عاصمتهم سيس، التي تعد من اكبر المدن الأرمنية، وسميت كذلك بـ (بلاد التكفور)[6] حيث أطلقت المصادر العربية

---

(1) مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ (بيروت: 1982)، ص 224.

(2) ينظر: سيد، أرمينية، ص 23.

(3) أبو بكر بن عبد الله ابن أيبك، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة: 1971): ج 8 / ق 1 / ص 189؛

M. Canard" Cilicia " , The Encyclopaedia of Islam, 1965, 2neded: Vol. II / p. 34.

(4) Canard, " Cilicia " , The Encyclopaedia of Islam: Vol. II / p. 34.

(5) سيس: ويقال لها سيسة وهي مدينة قريبة من عين زربة تمثل مستقر الأرمن وتقع بين حلب وبلاد الروم. ينظر: محب الدين أبي الفضل محمد ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق: يوسف بن اليان (بيروت: 1909)، ص 188.

(6) التكفور: لفظ ارميني معناه الملك المتوج أطلقه الأرمن على ملوكهم، كما كان يطلق على ملوك الدولة البيزنطية. ينظر: أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق:

لقب التكفور على كل من يعتلي عرش أرمينية الصغرى[1]، مثلما لقب الإمبراطور البيزنطي بالاشكري، وملك الحبشة بالنجاشي[2].

وعلى الرغم من تعدد الأسماء التي أطلقت عليها فإن المقصود منها جميعاً الإقليم الواقع في جنوب شرقي آسيا الصغرى بين جبال طوروس والبحر المتوسط، وتكاد حدود قيليقيا أن تكون طبيعية، فيحدها من الشرق جبال الامانوس، ومن جهتي الشمال والغرب جبال طوروس، ومن الجنوب البحر المتوسط، وتمتد سواحلها من مدينة طرسوس إلى الاسكندرونة، وتبلغ مساحتها 40000 كم2، بطول 400 كم من الشرق إلى الغرب ويعرض 100 كم من الشمال إلى الجنوب، ومن أشهر مدنها طرسوس ومرسين وإياس والمصيصة ومرعش وعينتاب وزيتون وهاجين وسيس وادنة وانطاليا وبورسان وسلوقيا[3].

تنقسم منطقة قيليقيا إلى قسمين، الأول يسمى قيليقيا السفلى أو الغربية، وتمتد من جبال طوروس إلى البحر المتوسط ويحيط بهذا القسم ثلاثة انهار، وهي البردان وسيحان وجيحان، واهم مدنها ادنة وطرسوس وسلوقية التي تمثل الميناء الرئيسي لها، أما القسم الثاني فيسمى قيليقيا العليا أو الشرقية، ويفصله عن القسم الغربي والبحر المتوسط حاجز طبيعي يعرف بجبل النور واهم مدن هذا القسم الواقعة على نهر جيحان مدينة المصيصة، فضلاً عن مدن أخرى لا تقع على مجرى النهر، مثل مدينة عين زربة وسيس اللتان تقعان في أقصى الشمال[4]، وتتميز منطقة قيليقيا بأهمية إستراتيجية كبيرة، لصعوبة البيئة الجبلية من ناحية، ومناعة جبال

-

محمد مصطفى زيادة (القاهرة: 1975): ج 1 / ق 2 / ص 551.

(1) أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: 1955م): مج 2 / ص 97؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى ابن فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف (مصر: 1912)، ص 56؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا (بيروت: 1987): ج 8: ص 30.

(2) عاشور، بحوث ودراسات، ص 239.

(3) المدور، الأرمن، ص 223؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 203.

(4) Setton, A History of the Crusades: Vol. II/ p. 635; Lang, Armenia, p. 200.

طوروس من ناحية أخرى، والتي تعمل كحاجز طبيعي بين الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية، كما أنها تقع على الطرق الرئيسة التي تربط بين السواحل الشامية على البحر المتوسط وقلب آسيا الصغرى، لذلك تتحكم بفضل هذا الموقع في مفترق الطرق المؤدية إلى إقليم الجزيرة والعراق وبلاد الشام وقلب آسيا الصغرى[1] ومن أهم هذه الدروب الجبلية عبر جبال طوروس طريقين، الأول يسمى الأبواب القيليقية، وتتحكم فيه مدينة طرسوس حيث يتجه منها شمالا إلى القسطنطينية، وكان يسلك هذا الطريق سعاة البريد ووفود قيصر والخليفة وعرف هذا الطريق بـ (درب السلامة)[2].

أما الطريق الثاني فيسمى بـ (درب الحدث)، ويقع إلى شمال شرقي طرسوس، ويمتد من مرعش شمالا إلى الابلستين، إلّا انه ليس مسلوكاً كطريق الأبواب القيليقية، هذا فضلاً عن الطرق الأخرى التي يصعب سلوكها، لضيقها ووعورتها، ولهذا أصبحت الجبال القيليقية محط اهتمام كلاً من الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية، لأجل تأمين حدودهما من خلال السيطرة عليها[3].

تميزت قيليقيا بوجود سهول خصبة واسعة وصالحة للزراعة، تروى عن طريق نهري سيحان وجيحان اللذان يخترقان هذه السهول حتى مصبهما في البحر المتوسط، ولهذا سعت الإمارات الأرمنية التي قامت في قيليقيا للسيطرة على هذه السهول لأجل استغلالها لصالحها[4] ومن جانب آخر تبرز أهمية قيليقيا الإستراتيجية من خلال امتلاكها لمنافذ رئيسة على البحر المتوسط، مثل مينائي إياس وسلوقية الواقعين على الساحل، وقد أشاد الرحالة الشهير ماركو بولو[5]

---

(1) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية (القاهرة: 1966): ج1 / ص 260.

(2) كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: كوركيس عواد (بغداد: 1954)، ص 166.

(3) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية: ج 1 / ص 263؛ فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: كمال اليازجي (بيروت: 1959): ج 2 / ص 45.

(4) عاشور، بحوث ودراسات، ص 233؛ Lang, Armenia , p. 247.

(5) ماركو بولو، رحلات ماركو بولو، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة: 1977)، ص 28.

بميناء إياس بشيء من الدهشة، عندما زاره في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، فقال ((تقع على ساحل البحر مدينة إسمها لاياسوس، وهي مكان تدور فيه تجارة ضخمة، ويكثر التجار من ارتياد مينائها قادمين من البندقية وجنوه ومن أماكن أخرى كثيرة))، وكان مركزاً تجارياً للتوابل والتجارات الأخرى المذكورة في الوثائق المعاصرة، والتي تضمنت السكر والقطن وأخشاب الغابات والحديد والنحاس والحرير والكتان والجلود، خاصة مع قونية والقسطنطينية في الشمال الغربي وبلاد الشام والعراق وإيران في الشرق، ويرتبط هذا الميناء بالمدن الأرمنية عن طريق نهري سيحان وجيحان[1]. ونظراً لهذا الموقع المتميز الذي تتمتع به قيليقيا، فقد ظل هذا الإقليم محل استهداف القوى المجاورة، كالصليبيين والبيزنطيين والقوى الإسلامية[2].

خامساً: تشكيل الإمارات الأرمنية في قيليقيا

كانت الإمبراطورية البيزنطية وبصفة خاصة في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي شبه عاجزة عن حماية حدودها الشرقية، وما أن أدرك الأباطرة البيزنطيون، أن الأرمن يشكلون احد العناصر القوية على الأطراف الشرقية لدولتهم، والذين يمتازون بالعناد، والمكر، والقدرة على المقاومة، ففكروا مختارين أو مجبرين في اتخاذ الأرمن درعاً حامياً، ووسيلة دفاع عن حدود الإمبراطورية من ناحية الشرق[3]، ضد غارات السلاجقة المسلمين، ولهذا فقد تم تعيين بعض الأرمن كحكام على المدن الهامة في كبدوكيا، بل وعهدوا لأولئك الحكام بقيادة الحاميات البيزنطية في تلك الجهات، فضلاً عن منحهم مساحات واسعة من الأراضي. وتَدَرّج هؤلاء في المناصب وعمل البعض منهم على كسر

(1) Lang, Armenia, p. 247.

(2) عاشور، الظاهر بيبرس (القاهرة: د.ت)، ص 102.

(3) عاشور، بحوث ودراسات، ص 229؛
Lopez, Robert S. , Byzantium and the world around it: Economic and institutional and relations (London: 1979), p.342.

القيود للتخلص من السيادة البيزنطية [1]، وآخرون بقوا تابعين للإمبراطورية البيزنطية[2] ومن هذه الإمارات:

1 - إمارة فيلاريتوس

أسس هذه الإمارة فيلاريتوس براخاميوس (463 - 482هـ/1071 - 1090م) وهو من زعماء الأرمن، الذين برزت أسمائهم بشكل كبير في التاريخ الأرمني، وكان نائباً للإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع (459 - 463هـ/1067 - 1071م) في ملطية ومرعش.

استغل فيلاريتوس فرصة الفوضى التي حلت بالإمبراطورية البيزنطية، عقب موقعة ملاذ كرد 463هـ/1071م، والتي أُسر فيها الإمبراطور نفسه من قبل السلاجقة فرفض فيلاريتوس الاعتراف بالإمبراطور الجديد، واستطاع أن يشكل لنفسه جيشاً كبيراً من المرتزقة، كانت عناصره من الأرمن والبيزنطيين، فضلاً عن ثمانية آلاف إفرنجي، بل قيل كان ضمنهم عناصر تركية وفارسية [3].

أخذ فيلاريتوس يدعم مركزه حول رعبان ومرعش والابلستين مستخفاً بالبيزنطيين، ومحاولاً استرضاء السلاجقة ومهادنتهم وبذل الطاعة لهم، وكان يدفع الجزية التي فرضوها عليه، ويُعيّن العمال وأصحاب الشحنة في إمارته من طرف السلطان السلجوقي[4]. ولم يلبث فيلاريتوس ان قوي مركزه وأقام إمارة مستقلة عن الإمبراطورية البيزنطية، فازداد قوة بعد أن نجح في استرداد ملطية من السلاجقة في سنة 468هـ/1076م، وعندما ظهرت قوة فيلاريتوس واتضحت أهميته للأرمن دخل في تبعيته زعماء الأرمن المجاورين، الذين كانوا بدورهم قد انتزعوا أجزاء متفرقة

---

(1) Sanjian, the Armenian communities in Syria under ottoman Dominion (Cambridge:1965) p.9 ; Setton, A History of the crusades: Vol. II/p.631.

(2) الجنزوري، إمارة الرها، ص 39.

(3) أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب (بيروت: 1956): ج2 / ص 115؛ ج. ب. سيغال، الرها المدينة المباركة، ترجمة: يوسف إبراهيم جبرا (حلب: 1988م)، ص 273؛
Lang, Armenia, p. 201.

(4) ابن فضل الله، التعريف، ص 55؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ج 8 / ص 30.

من قيليقيا، وهكذا أصبح فيلاريتوس يسيطر على ثلاث مدن رئيسة في قيليقيا، وهي طرسوس والمصيصة وعين زربة[1].

وفي سنة 469هـ/1077م أرسل فيلاريتوس احد رجاله يدعى باسيل بن أبي خاب للاستيلاء على الرها من البيزنطيين، فحاصرها ستة أشهر حتى استسلمت له أخيراً، بفضل من بداخلها من الأرمن. أما أنطاكيا فقد قُتل آخر حاكم بيزنطي عليها في سنة 470هـ/1078م، فخشي أمراء المدينة وأهلها وخاصة الأرمن من استيلاء السلاجقة المسلمين عليها، فسلموها له مختارين لا مجبرين، وهكذا وضع فيلاريتوس أساس الدولة الأرمنية الجديدة في الجزء الجنوبي الشرقي من آسيا الصغرى، وهي الدولة التي اكتمل نموها في زمن الأسرتين الأرمنيتين الروبينية والهيثومية، وقد عمل البيزنطيون على استرداد المدن التي سيطر عليها فيلاريتوس، إلّا أن جميع هذه المحاولات فشلت، ولم تقف حائلاً في وجه قيام دولة الأرمن في قيليقيا [2].

اظهر فيلاريتوس من جانبه اعتدالاً وحكمة فاعترف بالسيادة البيزنطية رغم انه بقي مستقلا من الناحية العملية، وفي نفس الوقت كان حذراً تجاه القوى المجاورة، كالسلاجقة الذين لم يغضوا النظر عن هذه الإمارة الأرمنية، فاستغلوا فرصة الاضطراب الذي سادها، بسبب تآمر ابنه عليه فباغتوا أنطاكيا وحرروها في سنة 477هـ/1085م[3]. وفي سنة 482هـ/1090م توفي فيلاريتوس، فاستغل حكام المدن هذه الوفاة، ليجعلوا من هذه المدن إمارات صغيرة خاصة بهم، ولم تلبث أن توسعت بعضها على حساب البعض الآخر[4]، ومن تلك الإمارات التي سيطر عليها الأرمن:

---

(1) عاشور، الحركة الصليبية: ج 1 / ص 99.

(2) سيغال، الرها، ص 275.

(3) مؤرخ مجهول، تاريخ الرهاوي المجهول، تعريب: الأب البير (بغداد، 1986): ج2 / ص 66.

(4) الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية (القاهرة: 1963): ج1 / ص 221.

أ - إمارة الرها الأرمنية

يدعى مؤسس هذه الإمارة توروس، وهو أرمني الأصل كان نائباً عن فيلاريتوس على مدينة الرها ويدعى والده هيثوم، وكان احد رجال فيلاريتوس ايضاً، وبعد وفاة فيلاريتوس استقل توروس في حكم الرها، مشكلا بذلك إمارة أرمنية مستقلة[1].

بدأ هذا الزعيم حياته السياسية في خدمة الإمبراطورية البيزنطية، ثم انضم إلى فيلاريتوس، وعنة تولى منصب النيابة على الرها[2]، وبقيت هذه الإمارة في حوزته حتى تسلمها الصليبيون في سنة 490هـ/1097م، عندما استدعى بلدوين البولوني، وهو احد أمراء الحملة الصليبية الأولى الذي تبناه توروس كابن رسمي له، ووريث لعرشه بسبب عدم إنجابه للوريث الشرعي للحكم[3].

ب - إمارة ملطية

أسس هذه الإمارة رجل يدعى جبريل الأرمني، وهو احد رجال فيلاريتوس، إلّا انه أرمني على المذهب الأرثوذوكسي، وكان اعتناقه لهذا المذهب اثر كبير في تحسن العلاقات مع الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذوكسية المذهب.

لقد كان جبريل صهراً لبلدوين البولوني أمير الرها الصليبي، الذي تزوج من ابنته مورفيا، فضلا عن محاولاته لاسترضاء الصليبيين عمل على استرضاء السلاجقة من خلال إعلانه التبعية لهم، لأجل الحفاظ على إمارته، واستمر في ذلك حتى استولى عليها الصليبيون في سنة 491هـ/1097م، وبقيت تحت سيطرتهم حتى انتزعها منهم المسلمون من بني دانشمند في سنة 497هـ/1103م[4].

---

(1) عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 101؛ سيغال، الرها، ص 275.

(2) تاريخ الرهاوي المجهول: ج2 / ص 66؛

Lang, Armenia, p.201.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1 / ص 115؛ العريني، الشرق الأوسط: ج1 / ص 230؛ سيغال، الرها، ص 297.

(4) تاريخ الرهاوي المجهول: ج2 / ص 67؛

Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p.632.

جـ - إمارة مرعش

هي الإمارة التي شهدت خاتمة حياة فيلاريتوس، فقد سيطر عليها السلاجقة بعد وفاته، وبقيت تحت سيطرتهم حتى وصول الحملة الصليبية الأولى سنة491هـ/ 1097م، فسيطروا عليها وأعادوها إلى الإمبراطورية البيزنطية لقاء مساندة البيزنطيين لهم.

عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين (474 - 512هـ/ 1081 - 1118م) بحكمها إلى احد زعماء الأرمن ويدعى ثاتول، فظل الأخير حاكما عليها حتى استيلاء الصليبيون عليها مرة ثانية في سنة 498هـ/1104م[1]، وبذلك انتهى دور هذه الإمارة.

د - إمارة أبي الغريب

يرجع أصل أبي الغريب مؤسس هذه الإمارة إلى عائلة أرمنية خدمت الإمبراطورية البيزنطية حقبة طويلة من الزمن، كان جده احد أمراء الإمبراطورية البيزنطية، وكان مدعوماً من قبل الإمبراطور البيزنطي، كما كان والده في خدمة الإمبراطور ميشيل الخامس(433 - 434هـ/1041 - 1042م)، واستلم أبو الغريب نفسه قيادة السفن في مدينة طرسوس من الإمبراطور ميشيل السابع (463 - 470هـ/ 1071 - 1078م).

سيطر أبو الغريب على قلعتين هامتين يقعان في الجزء الغربي من قيليقيا وهما قلعة لامبرون وبابرون، التين تنازل عنهما لأحد قواده وهو اوشين الأول مؤسس عائلة الهيثومين الإقطاعية وأصبحتا مقراً لهذه العائلة ومركزاً لإمارتهم[2]. استمرت هذه الإمارة تعمل في معترك السياسة حتى قدوم الصليبيين إلى الشرق وسيطر بلدوين البولوني عليها في سنة 512هـ/1118م[3].

هـ - إمارة كوغ باسيل

أقام الأمير كوغ باسيل هذه الإمارة وهو من أصل أرمني، وشملت هذه

---

(1) الجنزوري، إمارة الرها، ص 43.

(2) عاشور، بحوث ودراسات، ص 232؛ Setton, A History of the Crusades: vol. II/ p. 633.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1 / ص 278؛ عاشور، بحوث ودراسات، ص 235.

الإمارة كل من منطقة رعبان وكيسوم الواقعة شمالي إمارة مرعش الأرمنية وكان ذلك في سنة 475هـ/1082م، ونظراً لما كان يقوم به كوغ باسيل من غارات على المناطق المجاورة بهدف السلب والنهب، فقد أطلق عليه اسم كوغ باسيل أي اللص باسيل[1].

ازدادت قوة كوغ باسيل في سنة 501هـ/1107م، عندما استطاع الحصول على موافقة الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين للتوسع في جبال طوروس لدرء الهجمات السلجوقية، فضلاً عن توسعها على حساب الإمارات الأرمنية المجاورة، إلّا أنها انتهت بالزوال بمجرد وفاة مؤسسها في سنة 506هـ/1112م[2]، حيث سيطر عليها بلدوين البولوني في سنة 509هـ/1115م، بعد ان استمرت ثلاثة عقود من الزمن كإمارة مستقلة[3]. وبهذا الموجز نكون قد أعطينا صورة مختصرة عن ذلك النوع من تبعية بعض الحكام الأرمن للإمبراطورية البيزنطية.

أما النوع الثاني من الحكام الأرمن الذين ظلوا بعيدين تماماً عن الخضوع لبيزنطة فتمثلت بالإمارتين الأرمنيتين اللتين قامتا في قيليقيا إلى جوار بقية الإمارات الأخرى وكانتا الأساس الذي قامت عليه مملكة أرمينية الصغرى، وهما الإمارة الروبينية والإمارة الهيثومية.

أ - الإمارة الروبينية

يعدّ روبين الأول (473 - 489هـ/1080 - 1095م) مؤسس هذه الإمارة فقد استطاع بمن انضم إليه من الأرمن أن يجعل منها مملكة مستقلة في قيليقيا، في جزئها الواقع جنوب شرقي آسيا الصغرى[4]، الغني بثرواته واتخذ قلعة كوروموزول

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1 / ص 278.

(2) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1 / ص 193؛ الجنزوري، إمارة الرها، ص 45.
Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 365.

(3) الجنزوري، إمارة الرها، ص 45.

(4) ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدان (بيروت: 1988): مج4 / ج 4/ ص152؛
Der Nersessian, The Armenians, p. 44.

القريبة من سيس مقراً له، وبذلك وضع نواة مملكة أرمينية الجديدة، التي أطلق عليها أرمينية الصغرى، تمييزاً لها عن أرمينيا الكبرى أو الأم[1].

أشار سيتون[2] إلى انه لا يمكن معرفة المدى الحقيقي لممتلكات روبين، فمن المحتمل انه سيطر على جزء من المناطق الجبلية الواقعة جنوب شرق وشرق المصيصة وإلى الأبواب القيليقية، ولم يلتمس الأمير روبين الأول المساعدة من الإمبراطورية البيزنطية، وإنما ظهر دائما بصورة المتفوق على الأمراء الأرمن حتى وفاته، حيث كان يعتبر نفسه وريث الأسرة البقراطية الحاكمة في أرمينيا الكبرى سابقاً وخاصة بعد مقتل الملك جاجيك آخر ملوكها[3].

تولى الحكم بعد وفاة روبين ولده وخليفته الأمير قسطنطين الأول (489 – 493هـ/1095 – 1099م) الذي يعد أول من حمل لقب بارون أو أمير بين الأمراء الأرمن الروبينيين، ويعد وصول الصليبيين إلى الشرق في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي من العوامل التي هيأت الفرصة لتمكن تلك الإمارة من النمو والازدهار، حيث دخلت مع الصليبيين في علاقات ودية وتحالفات شجعتها على أن تتخذ موقف معادي للبيزنطيين الطامعين فيها [4].

ب – الإمارة الهيثومية

يعد الأمير أوشين الأول (465 – 504هـ/1072 – 1110م) المؤسس الأول لهذه الإمارة، الذي كان يحكم احد القلاع القديمة في إقليم كنجة التابع لأرمينيا الكبرى، إلّا انه اضطر إلى ترك موطنه الأصلي تحت ضغط السلاجقة، كواحد من الخمسين نبيلاً المهاجرين إلى قيليقيا في سنة 467هـ/1075م. وعند وصوله إلى قيليقيا أعطاه صديقه أبو الغريب قلعتي لامبرون وبابرون في الجزء الغربي من قيليقيا، وزوجه ابنته، وكانت هاتان القلعتان الممنوحتان له ذات أهمية إستراتيجية

---

(1) الجنزوري، إمارة الرها، ص 44.

(2) A History of the Crusades, Vol. II / p. 633.

(3) أنطوان خانجي، مختصر تواريخ الأرمن (أورشليم "القدس": 1886)، ص 215.

(4) المرجع نفسه، ص 215.

كبيرة، لحماية كبدوكيا وأمنها[1] لوقوعهما على المدخل الرئيس للمنافذ القيليقية وتُعَدّان من امنع المواقع الطبيعية المشرفة عليها[2]، لسيطرتهما على المنطقة الجنوبية حتى الأبواب القيليقية والممرات التي تقود من هضبة الأناضول إلى طرسوس[3].

تقع هذه الإمارة من حيث موقعها إلى الغرب من الإمارة الروبينية وعلى مسافة غير بعيدة[4]. وبذكر هاتين الإمارتين، نكون قد انتهينا من ذكر الإمارات الأرمنية من كلا النوعين حيث لم يبق منها في معترك السياسة الأرمنية سوى الإمارة الروبينية والإمارة الهيثومية، اللتين ظلتا تتنافسان وتتطاحنان للانفراد بحكم أرمينية الصغرى.

(1) Setton, A History of the Crusades, Vol. II / p. 633.

(2) سيد، أرمينية، ص 214.

(3) Der Nersessian, The Armenians, p. 44.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج 1 / ص 113.

الفصل الثاني

الصراع بين الإمارة الروبينية والهيثومية

وقيام مملكة الأرمن 596هـ/1199م

أولاً: الصراع بين الإمارة الروبينية والهيثومية

دخلت كلا الإمارتين في صراع لا هوادة فيه، لأجل الانفراد بحكم قيليقيا، ولتحقيق هذا الغرض وطد الأمراء الروبينيين علاقتهم بالعديد من القوى المجاورة، التي ظهرت فيما بعد في بلاد الشام مثل الصليبيين، في حين ارتبط الأمراء الهيثوميين بعلاقات ودية مع الإمبراطورية البيزنطية، التي تُعَدّ نداً قوياً للبيت الروبيني[1].

الواقع إن تاريخ مملكة الأرمن ظل منذ بدايته ولفترة طويلة يرتبط بالصراع بين هاتين الأسرتين القويتين، ونجد ذلك واضحاً في سياسة الأمراء الروبينيين التوسعية[2]، حيث كان لجغرافية قيليقيا اثرٌ كبيرٌ على تلك السياسة، ذلك لأن مناطق نفوذ الإمارة الهيثومية، تتميز بأهمية إقتصادية متميزة، نظراً لامتدادها على مناطق سهلية تضم العديد من المدن الواقعة على الطرق التجارية المؤدية إلى المنافذ البحرية، الأمر الذي دفع الأمراء الروبينيين إلى النزول من مواقعهم الجبلية المجدبة إقتصادياً للهيمنة على مناطق نفوذ الإمارة الهيثومية، كل ذلك أدى إلى حدوث صراعات مستمرة بين هاتين الإمارتين[3].

وصلت الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق في عام 491هـ/1097م، فرحب

(1) Der Nersessian, The Armenians, p. 44.

(2) Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 641.

(3) Der Nersessian, The Armenians, p. 45.

الأمير أوشين الهيثومي بالصليبيين بغية الاستفادة منهم في صراعه مع منافسيه الأمراء الروبينيين، حيث قدم الأمير أوشين المساعدة للصليبيين في أثناء الاستيلاء على مدينة المصيصة التابعة لخصمه روبين الأول[1]، كما حصل الهيثوميون على الدعم البيزنطي ضد الروبينيين ويرجع هذا الدعم إلى أسباب، كان أهمها قرب الإمارة الهيثومية من حدود الإمبراطورية البيزنطية من ناحية، وكره بيزنطة للأمراء الروبينين، بسبب قيام هؤلاء بمحاولات توسعية على حسابها، ومحاولات تحالف مع الصليبيين من ناحية أخرى[2].

أدى ذلك كله إلى تأجيج الصراع بين الأسرتين، فقد هاجم الأمراء الروبينيين في فترة حكم أميرهم توروس الثاني (540 - 563هـ/1145 - 1168م) قيليقيا الهيثومية في سنة 546هـ/1151م[3]، واستولى على المصيصة التي منحها الصليبيون للبيت الهيثومي، ورداً على ذلك فقد اشترك زعماء الأرمن الهيثوميين مع الإمبراطور مانويل كومنين (538 - 576هـ/1143 - 1180 م) في حملته على أملاك البيت الروبيني في سنة 547هـ/1152م. وفي أثناء زحف الإمبراطور البيزنطي بجيوشه داخل قيليقيا، هاجمه الأمير توروس الثاني تحت جنح الظلام، ونجح في إلحاق الهزيمة به، ووقع ثلاثة من الأمراء الهيثوميين في أسره، وهما أوشين الثاني صاحب لامبرون وياسيل صاحب بارتزيرت ودكران صاحب برجنوا، وقتل في هذه المعركة سمباذ شقيق أوشين الثاني وثم أطلق توروس سراح أوشين الثاني مقابل شروط منها، دفع مبلغ مالي كبير كفدية لإطلاق سراحه، وان يبقى هيثوم الابن الأكبر لأوشين الثاني كرهينة في بلاط توروس الثاني، وان يتزوج هيثوم من إحدى بنات الأمير توروس فوافق أوشين على ذلك ومنذ ذلك الوقت أصبح توروس يسيطر على الجزء الأكبر من قيليقيا الغربية[4].

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1/ ص 283؛العريني، الشرق الأوسط: ج 1 / ص 225.

(2) خانجي، مختصر تواريخ الأرمن، ص 215.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (بيروت: 1968): ج 2 / ص 90.

(4) Setton, A History of the crusades: Vol. II / p. 639.

وفي عهد الأمير مليح (564 - 569هـ/1169 - 1174م) شقيق توروس الثاني وخليفته في الحكم، لا يوجد هناك ما يشير إلى حدوث توتر في العلاقات حتى ولاية الأمير روبين الثالث (570 - 582هـ/1175 - 1187م)، الذي نجح في تحقيق العديد من الانتصارات على الجيوش البيزنطية ففرض سيطرته على مدينة ادنة والمصيصة سنة 577هـ/1181م وطرسوس في سنة 579هـ/1183م، كما هاجم الحكام الأرمن الهيثوميين واستولى على قلعة لامبرون التابعة لهم متذرعاً بمساندتهم للبيزنطيين، ونظراً لعدم قدرة الأمراء الأرمن الهيثوميين في التصدي للأمراء الروبينيين اضطر الأمير هيثوم اللامبروني اللجوء إلى الأمير بوهيمند الثالث أمير أنطاكيا. وعلى الرغم من ارتباط الأخير مع الأمير روبين الثالث باتفاقية عدم اعتداء، إلّا انه لجأ إلى خديعة، فاستدعى الأمير روبين إلى أنطاكيا للاجتماع والاتفاق على طرق إزالة الخلاف وسوء التفاهم بينه وبين الأمراء الهيثوميين، وعند وصوله إلى أنطاكيا القي القبض عليه من قبل بوهيمند واحتجزه، فهاجم الأخير قيليقيا، إلّا أن هجومه لم يكن موفقا بسبب بسالة الأمير ليفون الثاني شقيق الأمير روبين الثالث ومن معه من الأمراء الأرمن[1]، الذين تصدوا للأمير بوهيمند الثالث، اضطر الصليبيون إلى الانسحاب من قيليقيا نحو أنطاكيا، لذلك لم ينجح بوهيمند في استعادة قلعة لامبرون، لضراوة المقاومة التي أبداها الأمير ليفون الثاني، حيث سار بجيشه نحو لامبرون، واجبر أميرها على التوسل لدى أمير أنطاكيا لإطلاق سراح روبين الثالث فتم إطلاق سراحه مقابل فدية مالية كبيرة، فضلا عن تنازله عن عدد من المدن[2].

بعد أن تولى الأمير ليفون الثاني (582 - 616هـ/1186 - 1219م) حكم الإمارة الروبينية هاجم قلعة برجنوا في سنة 584هـ/1188م، إلّا أن هجومه لم يكن

(1) خانجي، مختصر تواريخ الأرمن، ص 229؛

Setton, A History of the crusades, Vol. II / p. 644.

(2) المدور، الأرمن، ص 231؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 216؛

Hussey, Cambridge Medieval history: Vol. IV / part I / PP. 630 - 631;

موفقاً فقتل الأمير بلدوين، إلّا أن الأمير ليفون الثاني عاود الكرة بعد شهرين فقتل رئيس الحصن واستولى على القلاع، كما هاجم سلوقية في نفس الوقت التي كانت فيه بيد زعماء الأرمن الهيثوميين، ثم سار إلى قيسارية في سنة 586هـ/1190م، التي كانت تحت سيطرة شاهنشاه شقيق الأمير هيثوم سيد لامبرون، حيث استولى على القلاع القريبة منها[1]، وبعد تتويج ليفون الثاني ملكاً على ارمينية الصغرى (قيليقيا) في سنة 596هـ/1199م، وأثناء زيارته للقسطنطينية ثار الأمير هيثوم كبير أمراء الهيثوميين في لامبرون للحصول على عرش أرمينية الصغرى، مما أدى إلى نشوب الاضطرابات في البلاد، وما أن وصل الملك ليفون الثاني إلى أرمينية الصغرى، حتى قاد جيشاً بنفسه متوجهاً إلى قلعة لامبرون التي أخضعها وأوكل إدارتها إلى والدته الملكة زوجة توروس الثاني[2].

بعدها ساد السلام والوئام بين العائلتين، فعند وفاة الملك ليفون الثاني سنة 616هـ / 1219م، لم يترك وريثاً للعرش سوى ابنة صغيرة السن، وأصبح الوصي عليها ادم دي غيستيم وبعد أن أُغتيل الأخير، حلّ الأمير قسطنطين بن هيثوم سيد لامبرون محله على الوصاية[3].

وهنا يذكر استارجيان[4] أن الملك ليفون ترك الوصاية على العرش لكل من أوشين بايل وقسطنطين بن هيثوم سيد لامبرون، وفي كلا الحالتين نستدل من أن تعيين قسطنطين وصياً على العرش، ساهم في إزالة الصراع بين العائلتين المتنافستين.

نجح الأمير قسطنطين الوصي في القضاء على ريموند - روبين ابن ريموند أمير أنطاكيا، الذي طالب بعرش أرمينية الصغرى، لأن ليفون الثاني عينه وريثاً لعرش أرمينية الصغرى لانتسابه إلى العائلة الروبينية من جهة أمه الأرمنية، ابنة ثوروس

(1) Setton, A History of the crusades: vol. II / p. 645.

(2) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 224.

(3) المدور، الأرمن، ص 235.

(4) تاريخ الأمة الأرمنية، ص 225.

الثاني، إلا أنه خلعه لعدم امتلاكه القدرة والكفاءة المناسبة للحكم، ولتجنب التعقيدات قرر قسطنطين البحث عن زوج للملكة الشابة، فوقع اختياره على فيليب ابن أمير أنطاكيا (عم ريموند - روبين)، إلّا أن هذا الزواج لم يدم طويلاً، لاغتياله من قبل الأرمن الذين ازداد حقدهم عليه، بسبب تفضيله للفرسان الصليبيين وتقديمهم على الأرمن في الوظائف المهمة والأساسية في المملكة، حيث أصبح كل شيء بيد الصليبيين[1].

قرر قسطنطين تزويج الملكة الأرملة من ولده الأكبر هيثوم، وعلى الرغم من رفضها لهذه الزيجة، وهروبها إلى والدتها الملكة في مدينة سلفكة، إلّا أن قسطنطين رأى أن القضية لا تتعلق بمصلحة الملكة فقط، بل بالمصلحة العامة، حيث كان مسؤولاً عن حل الأزمة، فحاصر مدينة سلفكة وأعاد الملكة إيزابيلا فتزوجت رغماً عنها[2]. وهكذا انتهى الصراع بين العائلتين المتنافستين في سنة 623هـ/1226، حيث اعتلى العرش هيثوم تحت اسم هيثوم الأول، وبذلك انتقل الحكم إلى سادة لامبرون الهيثوميين[3].

ثانياً: الصراع الأرمني - البيزنطي على قيليقيا

حاول الأباطرة البيزنطيين أن ينسوا الأرمن قضيتهم القومية الخاصة ولتحقيق هذا الغرض أدخلوهم في دوامة الصراع والخلافات الدينية[4]، وهَجّروا أعداداً كبيرة منهم إلى كبدوكيا حيث منحت لهم الأراضي فيها[5]، كما ذكرنا في مبحث هجرة الأرمن فقد انقسم الأرمن في مهجرهم الجديد إلى قسمين، الأول خضع للبيزنطين، والثاني رفض الخضوع لهم، حيث دخل في صراع حقيقي معهم منذ

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية (بيروت، 1980): ج3 / ص 305.

(2) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 225.

(3) Holt, P. M. , the Age of Crusades, (London, No. D.) , p. 185.

(4) عن الصراعات الدينية التي أثارها البيزنطيون بين الأرمن. ينظر: رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق (القاهرة: 1961)، ص 351.

(5) عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 97؛
Lopez, Byzantium and the world around it , p. 343.

عهد فيلاريتوس مؤسس الإمارة الأرمنية في قيليقيا، الذي كان نائباً للإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجين والذي رفض الاعتراف بالإمبراطور الجديد ميخائيل السابع دوكاس (463 - 471هـ/1071 - 1078م)، بعد أن وقع رومانوس في اسر السلاجقة في سنة 463هـ/1071م[1].

وفي محاولة من الإمبراطور ميخائيل السابع لاحتواء فيلاريتوس، وتسخيره ليكون درعاً حامياً للإمبراطورية البيزنطية أمام خطر السلاجقة، أرسل الإمبراطور بالهدايا الثمينة لفيلاريتوس، ومنحه السلطة على قيليقيا في سنة 463هـ/1071م، ومع ذلك استغل الأخير حالة الضعف التي دبت في الإمبراطورية، بسبب صراعاتها الداخلية، ففرض في سنة 470هـ/1077م سيطرته على مدينة الرها التابعة لبيزنطة[2].

وعلى الرغم من ضعف بيزنطة بقي دورها فعالاً في تأجيج الصراع بين الأمراء الروبينيين والهيثوميين، من خلال دعمها للعائلة الأخيرة في قلعة لامبرون، وترجع أهم أسباب دعم بيزنطة لهذه العائلة إلى سببين رئيسيين، هما الموقع الجغرافي للإمارة الهيثومية الواقعة في الجزء الغربي من قيليقيا، والمجاورة لبيزنطة من ناحية، والموقف البيزنطي المعادي للأمراء الوربينين، بسبب عدم خضوعهم لبيزنطة، وسعي الأمراء الروبينين للتوسع على حساب الأراضي والممتلكات البيزنطية، مما جعل العلاقات ودية مع الأمراء الهيثوميين وفق العداء المشترك تجاه الأمراء الروبينيين من ناحية أخرى[3]، ومهما كان نوع العلاقة بين الأرمن وبيزنطة، سواء كانت جيدة أم سيئة، فإن بيزنطة لا يمكن أن تتنازل بتلك السهولة عن قيليقيا، ليستقل بها الأرمن، لذلك طارد البيزنطيون الأمير روبين الأول (473 - 492هـ/1080 - 1099م) بن قسطنطين الذي هرب من أرمينيا الكبرى بعد ضياع استقلالها، واستطاع أن يعزز سيطرته على مدن قيليقيا، بعد حرب مع البيزنطيين[4].

---

(1) الجنزوري، إمارة الرها، ص 39.

(2) المرجع نفسه، ص 40.

(3) Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 641.

(4) خانجي، مختصر تواريخ الأرمن، ص 215؛ Canard, " Cilicia " The Encyclopedia of Islam: Vol. II/ p. 37.

وبعد موت الأمير روبين الأول سنة 492هـ/1099م تولى الزعامة ولده تورووس الأول (492 – 516هـ/1099 – 1123م)، فهاجم البيزنطيون قيليقيا في عهده، واستولى في سنة 498هـ/1104م على مدن طرسوس وادنة والمصيصة[1]، ومع تمكن الأمير تورووس من استرجاع هذه المدن[2]، وقيامه بتعزيزها وتقوية وسائل الدفاع فيها[3]. غير أن ذلك أثار حفيظة الإمبراطور البيزنطي حنا الثاني كومنين (512 – 538هـ/1118 – 1143م) فقام بغزو قيليقيا، واستعاد هذه المدن، فضلاً عن مدينة عين زربة وقلعة تل حمدون، إلّا أن النفوذ البيزنطي ما لبث أن أخذ بالانكماش والانحسار عن قيليقيا، لما أبداه الأرمن من مقاومة من جهة، وسوء الأوضاع الداخلية في بيزنطة من جهة اخرى، فأدى ذلك إلى انسحاب الجيوش البيزنطية عنها، فعادت هذه المدن إلى سيطرة الأرمن[4]، إلّا أن الصراع لم يلبث أن عاد من جديد في عهد الأمير ليفون الأول (524 – 532هـ/1129 – 1137م)، حيث هاجم الإمبراطور حنا كومنين قيليقيا، بسبب الصلح الذي عُقد بين الأمير ليفون الأول وريموند أمير أنطاكيا في صيف سنة 532هـ/1137م، الذي بدا يثير مخاوفه من فقدان أراضي أخرى فاسترد طرسوس والمصيصة وادنة وعين زربة وقلعة تل حمدون، وعلى الرغم من المقاومة التي أبداها الأرمن، اضطر الأمير ليفون الأول وأولاده الهرب إلى الجبال، فسار الإمبراطور إلى انطاليا[5]، التي فتحها بشكل كامل في شتاء سنة 532هـ/1137م، وسقطت قلعة فاهاك وحصن رعبان والمناطق المحيطة بهما، واسر الأمير ليفون الأول وولداه روبين وتورووس، وهَرَب أولاده الثلاثة الآخرون ستيفن ومليح وقسطنطين إلى بلاد ابن عمتهم جوسلين الثاني أمير الرها الصليبي[6].

---

(1) Ostrogorsky, History of the Byzantine state, p. 345.

(2) المدور، الأرمن، ص 226.

(3) Setton, A History of the Crusades: Vol. II/ p.635.

(4) عاشور، بحوث ودراسات، ص 236.

(5) انطاليا: حصن للروم على ساحل البحر منيع واسع ينتهي إلى خليج القسطنطينية. ينظر: ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع: ج 1 / ص 125.

(6) عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم ابن الأثير، الكامل(بيروت: 1966)؛

بعد وفاة كل من الأمير ليفون الأول وولده روبين، تمكن ولده الأمير توروس الثاني الهرب من الأسر في سنة 540هـ/1145م ووصل إلى مدينة عين زربة، حيث قابل صديقه الوفي بطريك اليعاقبة السوريين، وتمكن من جمع الرجال حوله، وهاجم قلعة العمودين واستولى عليها بمساعدة سكانها، الذين انقضوا على الحامية البيزنطية، فتم القضاء عليها في سنة 543هـ/1148م[1]، واستمر في مقارعة البيزنطيين حتى استولى في سنة 547هـ/1152م على المصيصة وتل حمدون، ومن ثم على مدينة طرسوس واسر قائد القوات البيزنطية في قيليقيا[2]. كما تمكن من إلحاق الهزيمة بالقوات البيزنطية التي أرسلها الإمبراطور مانويل تحت قيادة ابن عمه اندرونيكوس كومنين، لسحق قوة الأمير توروس الثاني[3].

استشاط الإمبراطور البيزنطي غضباً لهزيمة قواته، لذلك لجأ إلى سلاح الدبلوماسية في مواجهة الأمير توروس الثاني، ففتح باب المفاوضات مع السلطان مسعود السلجوقي في قونية، وعرض عليه مبلغ كبير من المال مقابل مهاجمة توروس الثاني، وفعلاً قام السلطان مسعود بمهاجمة قيليقيا في سنوات 548هـ/1154م و549هـ/1155م، إلّا انه لم يفلح في تحقيق نتائج ايجابية لمصلحة البيزنطيين[4]، الأمر الذي دفع الإمبراطور مانويل إلى تجهيز حملة عسكرية ضخمة، قادها بنفسه لتصفية الحساب مع الأمير توروس الثاني، وإيجاد حل للموقف المعقد في كل من قيليقيا والشام[5]، وتوجه إلى أنطاكيا التي كانت تحت حكم الأمير الصليبي رينالد، وعمل الأخير على استرضاء الإمبراطور مانويل في كل ما يطلبه

ج10/ص53؛

Der Nersessian, the Armenians, p.46;
Ostrogorsky, History of the Byzantine state, p. 365.

(1) بنيامين بن يونة التطيلي، رحلة بنيامين، ترجمة: عزاز حداد (بغداد: 1945): حاشية /ص 85.

(2) Hussey, Cambridge, Medieval History: Vol. IV/ Part I / p. 631.

(3) اسحق تاوضروس عبيد، روما وبيزنطة (القاهرة: 1970)، ص 211 - 212.

(4) عبيد، روما وبيزنطة، ص 213.

(5) Setton, A History of the Crusades: Vol. II/ p. 639.

منه. قدّم الإمبراطور مانويل أموال مغرية للأمير رينالد وتعهد الأخير بغزو قيليقيا، كما أن رينالد كان حانقاً على الأمير توروس الثاني لاغتصابه حصن جاستين التابع لتنظيم الداوية الصليبي[1].

تقدم رينالد نحو قيليقيا ودارت المعركة بين الطرفين في سنة 551هـ/1156م بالقرب من الاسكندرونة، وكانت الغَلبة للجيش الصليبي، مما اضطر الأمير ليفون إلى عقد اتفاقية صلح على اثر هذه المعركة لحراجة موقفه من جهة، فضلا عن رغبة رينالد في هذا الصلح لعدم إيفاء الإمبراطور البيزنطي بتعهداته بما يخص الأموال من جهة أخرى، وبذلك وقع كل من الأمير توروس الثاني ورينالد معاهدة مشتركة للعمل سوية ضد الإمبراطور البيزنطي طمعاً في تحقيق أهدافهم المشتركة[2].

ترجم الطرفان هذه المعاهدة بمهاجمة جزيرة قبرص الغنية بمواردها، والتي كانت تحكم من قبل حنا كومنين ابن شقيق الإمبراطور مانويل، وعلى الرغم من محاولة القوات البيزنطية لصد هذه الهجمة، إلّا أنها منيت بهزيمة فادحة واسر ميخائيل برآناس مساعد الحاكم، وعندما حاول حنا إنقاذه وقع هو أيضاً في أسرهم، ودمرت جزيرة قبرص ونهبت وقتل آلاف من سكانها، وكانت هذه الحملة في نهايات سنة 551هـ/1156م[3].

رداً على ذلك قام الإمبراطور البيزنطي مانويل بحملة عسكرية ضخمة في سنة 553هـ/1158م ضد كل من توروس الثاني في قيليقيا ورينالد في أنطاكيا، خاصة بعد أن وثق صلاته بيلدوين الثالث ملك بيت المقدس، الذي أنكر على توروس

---

(1) الداوية: Templers منظمة عسكري تطلق على جماعة فرسان المعبد أسست عام 512هـ/1119م لحماية طريق الحجاج النصارى بين يافا وبيت المقدس ثم تحولت بعد ذلك إلى هيئة عسكرية كان لها دور كبير في إرهاب المسلمين وقتلهم ومساندة الحملات الصليبية على بلاد الشام. ينظر: دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة (بغداد: 1976)، ص80 – 81.

(2) اسطفانوس الدويهي، تاريخ الأزمنة (بيروت: 1951)، ص 58.

(3) الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص 58؛ حسين مؤنس، نور الدين محمود (القاهرة:1959)، ص 268؛

Canard "Cilicia " the Encyclopedia of Islam: Vol. II / p. 37.

الثاني ورينالد فعلتهم، ولعب القدر دوره في إنقاذ توروس الثاني من سطوة الإمبراطور مانويل، عندما اخبره احد الحجاج الصليبيين بأخبار هذه الحملة، فجمع توروس الثاني افراد أسرته وأتباعه وكنوزه وفر إلى الجبال، وأصبح الإمبراطور السيد المطلق لقيليقيا[1].

صفح الإمبراطور مانويل عن رينالد مقابل شروط مهينة تمثل كل مظاهر الذلة أمام حضرته، وطلب توروس الثاني من بلدوين الثالث ملك بيت المقدس أن يتشفع له أمام الإمبراطور، لكي تتم تسوية الخلافات فيما بينهم، فوافق الإمبراطور على ذلك مقابل أن يُنفذ توروس الثاني نفس الشروط المفروضة على حليفه رينالد ومنها أن يحضر إلى بلاط الإمبراطور حافي القدمين، مكشوف الرأس، نازعاً سلاحه، ومرتدياً البرادع، ويؤدي يمين الطاعة والولاء والتبعية، فوافق الأمير توروس الثاني على هذه الشروط وأدى يمين الولاء أمام الإمبراطور وطلب إقطاعه الأراضي التي استولى عليها[2]، ومع ذلك لم يفِ توروس بالولاء والعهد الذي قطعه للإمبراطور، إذ سرعان ما هاجم الحامية العسكرية البيزنطية في قيليقيا، واسر كولمان القائد العسكري لها في سنة 557هـ/1162م، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن افتداه الإمبراطور بمبلغ كبير من المال[3].

استغل الأمير توروس الثاني فرصة انشغال الإمبراطور البيزنطي بحروبه العسكرية في أوربا سنة 559هـ/ 1164م، فأجهز على الحاميات العسكرية البيزنطية في قيليقيا واستولى على المصيصة وعين زربة وفاهاك[4]. ولمواجهة هذه التطورات عين الإمبراطور ابن عمه اندرونيكوس كحاكم عسكري على قيليقيا، وزوده بالأموال

(1) شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (بيروت، د. ت): ج 1 / ص 122؛ المدور، الأرمن، ص 229.

(2) عبيد، روما وبيزنطة، ص 220؛
W. B. Stevenson, The Crusaders in the east (Beirut: NO D.) , p. 180.

(3) Lang, Armenia, p. 202.

(4) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 213 - 214؛ خانجي، مختصر تواريخ الأرمن، ص 227.

والأسلحة الكافية لمقاتلة توروس الثاني والقضاء عليه، غير انه لم يفلح في ذلك، فاضطر الإمبراطور البيزنطي إلى عزل ابن عمه الذي اشتهر بمرحه وانشغاله بأمور النساء، وعين بدلاً منه كولمان الذي سبق له أن عين حاكماً على قيليقيا [1].

بعد موت توروس الثاني تولى السلطة شقيقه الأمير مليح (564 - 569هـ/ 1169 - 1174م)، الذي كان يحمل في داخله العداء للبيزنطيين، لذلك لجأ إلى التحالف مع القوى الإسلامية المجاورة من سلاجقة وزنكيين، فتمكن من إلحاق الهزيمة بالإمبراطور البيزنطي مانويل، الذي كان قد هاجم قيليقيا في سنة 568هـ/ 1173م وكبده خسائر بشرية ومادية فادحة، وكان من بين الأسرى ثلاثة من مقدمي الجيش البيزنطي، فأرسلهم مليح إلى نور الدين زنكي كولاء له، فضلا عن قيام القوات السلجوقية بمهاجمة الأراضي البيزنطية، فاضطر الإمبراطور إلى الانسحاب بعد أن عقد صلحاً مع الأمير مليح في سنة 568هـ/1173م [2].

تولى السلطة بعد مقتل مليح ابن شقيقه روبين الثالث (571 - 582هـ/1175 - 1186م)، فساد الهدوء في المنطقة بعد أن وقع معاهدة عدم اعتداء مع بيزنطة في السنة الأولى من حكمه، حيث انه كان رجلاً مسالماً ومحترماً للمواثيق والعهود، فأراح إمارته من الصراعات طوال فترة حكمه، فكان أول وآخر أرمني لم تطأ أقدام الأعداء أرض بلاده [3] في عهده.

تنازل الأمير روبين الثالث عن الحكم لشقيقه ليفون الثاني لمرضه من ناحية، وقدرة الأمير ليفون الثاني على إدارة البلاد بشكل جيد من ناحية أخرى، فحكم ليفون الثاني (582 - 616هـ/1186 - 1219م) البلاد بحنكة سياسية لا مثيل لها فيمن سبقه من الأمراء الأرمن، فكان ذو شخصية وحكمة، فقد دفعته المخاطر السلجوقية

---

(1) عبيد، روما بيزنطة، ص 227.

(2) محيي الدين بن محمد ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: 1953): ج 1 / ص 235؛ عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (بيروت:1979م):ج 5 / ص 251.

(3) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 215.

والأيوبية التي هددت بضياع مملكته بالتوجه نحو البيزنطيين ومحالفتهم وتناسي مساوئهم في سياستهم السابقة ضد الأرمن في عهد الملوك الباقردونيين، وكذلك للاختلاف المذهبي، فمدّ لهم يد المصالحة، لما فيه مصلحة الطرفين التي اقتضت أن يكون قوة متحدة وجبهة واحدة في وجه العواصف التي تنتظر أن تعصف بهما بين آونة وأخرى، وتزعزع أركان دولتيهما، ولتحقيق هذا الهدف أرسل الأمير ليفون الثاني وفداً أرمنياً إلى القسطنطينية للمداولة في الأمر ونسيان الماضي الأليم، وتم الاتفاق على التآزر ضد أعدائهم في المنطقة، إلّا أن البيزنطيين عاودوا غلطتهم، ولم يقدّروا رغبة ليفون الثاني في المصالحة ومواجهة القوى الإسلامية[1].

بعد أن يئس ليفون من التحالف مع البيزنطيين التجأ إلى الصليبيين الألمان، فقدم لهم المساعدات في حملتهم الثالثة، وكوفئ بأن توج ملكاً على قيليقيا في سنة 596هـ/1199م[2].

أرسل الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الثالث تاجاً ملكياً إلى ليفون الثاني بعد تتويجه من قبل الغرب، لغرض توطيد العلاقة الودية التي لم تكن مستقرة في ذلك الحين[3]، فأرسل ليفون سفارة أرمنية إلى القسطنطينية في سنة 596هـ/1199م وعلى رأسها الأمير ترسيس اللامبروني وبرفقته عدد من كبار الموظفين لغرض شكر الإمبراطور البيزنطي على تقديمه للتاج الملكي، كذلك لأجل حل المسألة الدينية، إلّا أنها فشلت في تحقيق الغرض الثاني، ولم تنجح في توحيد الكنيستين الأرمنية والبيزنطية[4].

---

(1) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 219.

(2) Lang, Armenia , p. 303.

(3) عاشور، بحوث ودراسات، ص 238؛ Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 649.

(4) Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 649.

Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 649.

ثالثاً: الأرمن والصليبيون

لقد تكلمنا آنفا[1] عن الأوضاع السياسية في قيليقيا قبيل الحملة الصليبية الأولى، والتي عبدت الطريق أمام الصليبيين للتوجه إلى قيليقيا والسعي جاهدين لأجل إقامة إمارة صليبية فيها، ولفهم العلاقة مع الصليبيين في هذه الحقبة سيتم الحديث عنها وفقا للعناوين التالية:

أ - الإمارات الأرمنية والصليبيون.

ب - الإمارات الأرمنية وإمارة أنطاكيا الصليبية.

أ - الإمارات الأرمنية والصليبيون:

اهتم بلدوين البولوني احد قادة الحملة الصليبية الأولى بأمر الأرمن، فعند وصوله إلى نيقية سنة 491هـ/1097م، وطد أواصر الصداقة مع ابقراط الأرمني، شقيق كوغ باسيل مؤسس الإمارة الأرمنية في رعبان وكيسوم، الذي تربطه به صلات أسرية ومصاهرة وكان ابقراط حريصاً جداً من اجل الحصول على مساعدة الصليبيين للإمارات الأرمنية، الواقعة قرب نهر الفرات[2].

لاقى بلدوين عند وصوله ترحاب كبير من لدن الأرمن، ويتضح ذلك من خلال المساعدات التي أبدوها لهم، وهكذا وجد الأرمن في الصليبيين حليفاً قوياً لهم لمواجهة البيزنطيين، كما وجد الصليبيون في الأرمن عوناً لهم لتحقيق أطماعهم في بلاد المسلمين[3] وتُرجم هذا التحالف عندما مكن الأرمن القوى الصليبية بقيادة بلدوين من الدخول إلى سهول قيليقيا، وطرد الحاميات السلجوقية منها[4]. أما الأمير أوشين الأرمني أمير قلعة لامبرون، فقد مكن الأمير الصليبي تانكرد، وهو احد قادة الحملة الصليبية الأولى من الاستيلاء على مدينة ادنة والمصيصة من أيدي

---

(1) للمزيد من التفاصيل. ينظر: حميدي، مملكة أرمينية الصغرى، ص5 - 34.

(2) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1/ص 280.

(3) Lang, Armenia, p. 201; Setton, A History of the Crusades: Vol. II / p. 634.

(4) حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى (مصر، د.ت)، ص 43.

السلاجقة [1]. وعلى الرغم من فشل مشروع إقامة إمارة صليبية في قيليقيا بسبب الصراع بين بلدوين وتانكرد على مناطق النفوذ، إلّا أن تواجد الصليبيين في قيليقيا لم يخلو من نفع، إذ أن الحاميات الصليبية فيها خففت من وطأت السلاجقة على الأرمن، وأدى إلى تدعيم سلطتهم في سهول قيليقيا، وهيأت الفرصة للأرمن في التوسع والاستيلاء على بعض المدن والقرى السلجوقية لتكون أساس مملكة أرمينية الصغرى[2].

وعلى الرغم من أن بلدوين لم ينجح في تشكيل إمارة صليبية في قيليقيا، فإنه لم يتخلى عن الفكرة، فغادر مرعش متوجها صوب الشرق ليقيم إمارة في بلاد أرمينيا ولازمه في مسيره مستشاره الأرمني ابقراط، الذي نصحه بالاتصال بالأمراء الأرمن.

لقي بلدوين الترحاب في كل مكان، وعدّة الأرمن محرراً لهم، وانحاز إلى بلدوين أميران أرمنيان بجيوشهما، وبفضلهما تمكن بلدوين من الاستيلاء على الحصنين الرئيسين الواقعين بين عينتاب ونهر الفرات وهما روندان وتل باشر، فعين بلدوين عليهما الأميرين فير وابقراط[3]، على أن يعترفا بسيادته عليهما، وكان الهدف من ذلك ليس خدمةً للأرمن، وإنما لأجل أهدافه الخاصة ومصالح الحركة الصليبية، فكانت الأوضاع في ذلك الإقليم بأيدي الأرمن الموالين له، فضلاً عن اتصاله بالأمراء الآخرين أمثال كوغ باسيل شقيق ابقراط، الذي تقع إمارته شمالي مرعش وتشمل كيسوم ورعبان وما حولهما من أراضي[4]. كما التمس جبريل الأرمني، أمير ملطية المساعدة من الصليبيين لما كان يتعرض له من الدانشمنديين، أصحاب سيواس من ناحية، وسلاجقة قونية من ناحية اخرى، لذلك أعلن ولائه

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1 / ص 288؛ العريني، الشرق الأوسط: ج1 / ص 224.
(2) العريني، الشرق الأوسط: ج1/ ص225 – 226.
(3) عيد، روما وبيزنطة، ص 108؛ العريني، الشرق الأوسط: ج 1 / ص 227.
(4) سيغال، الرها، ص 278

لبلدوين في سنة 494هـ/1100م[1].

أما توروس الأرمني أمير الرها، فقد حث بلدوين على مساعدته بعد أن تحرج موقفه في الرها بسبب غارات السلاجقة الذين هددوا بإزالة إمارته، وطلب منه أن يكون وريثاً لحكم الرها، بسبب تقدمه في السن، ولأنه لم يكن مقبولاً عند الرهاويين، وسرعان ما استجاب بلدوين لرغبة توروس في سنة 492هـ/1098م ودخل الرها، واستُقبِل بترحاب من قبل توروس والأرمن الموجودين فيها، فقدم بلدوين على انه وريث وقسيم لتوروس حاكم الرها[2].

فكر بلدوين بعد أن وضع أرمن الرها ثقتهم به أن من واجبه صد هجمات السلاجقة والدانشمنديين، فجهز حملة شارك فيها الأرمن ضد الدانشمنديين، فضلاً عن مشاركة الأمير قسطنطين صاحب منطقة كركر التابع لتوروس أمير الرها[3].

اعترف الأرمن بفضل بلدوين عليهم وقبل أن يعود بلدوين إلى الرها، دبر قسطنطين أمير كركر مؤامرة ضد توروس لعزله عن عرش الإمارة بسبب سياسة الاضطهاد والضرائب الفادحة التي مارسها مع السكان، وعلى الرغم من أن بلدوين لم يكن محيطاً بهذه المؤامرة، إلّا انه كان ميالاً إلى جانب المتآمرين، في الواقع إن بلدوين لم ينهض لنجدة توروس، حينما هاجمه المتآمرون وفتكوا به في سنة 492هـ/1098، وبعدها تلقى بلدوين الدعوة من الأرمن ليتقلد حكم المدينة[4].

وأشار المؤرخ الأرمني متي الرهاوي إلى رأي مخالف لذلك قائلا: إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن بلدوين هو صاحب المصلحة الوحيدة من سقوط توروس، وانه كان مطلع على المؤامرة، وانه كان متلهفا لذلك[5]، ولم يكن لديه من الأخلاق

---

(1) العريني، الشرق الأوسط: ج1 / ص 227؛ الجنزوري، إمارة الرها، ص 240.

(2) ر. سي. سميل، الحروب الصليبية، ترجمة: سامي هاشم (بيروت: 1982)، ص 49؛ سيغال، الرها، ص 45.

(3) جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ط 3 (بيروت: 1981 م)، ص236.

(4) نسيم، العرب والروم واللاتين، ص 236؛ حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص 45.

(5) متي الرهاوي نقلا عن: سيغال، الرها، ص 279.

ما عامل به توروس ورغم ذلك لا يمكن إلقاء اللوم على الصليبيين، لأن الأرمن هم من قتل توروس، ولم يُعيّن بلدوين على الرها إلّا بعد موافقة تكاد تكون جماعية من الأرمن. أما الأمراء الأرمن الذين كان على الصليبيين أن يطردوهم، والذين لم يثقوا في قيمة ما يبذلوه لهم من مساعدة، ليس إلّا الرجال الذين خدموا الإمبراطورية البيزنطية ردحاً من الزمن، وتعرضوا لكراهية مواطنيهم بسبب هذه الخدمة وخاصة عندما أصبحوا من أتباع الكنيسة الأرثوذوكسية، الذين توفرت لهم الخبرة في الحكم ما يكفي للمحافظة على استقلال الأرمن على الفرات، إلّا أن رعاياهم أنكروا ما قدموه من معروف[1].

عندما عُين بلدوين حاكما على الرها لم يكن لديه من العساكر إلّا عدد قليل، فتحتم عليه أن يستند إلى الأرمن ليؤدوا له أعماله، ووصل عدد كبير ممن يثق به إلى مناصب عالية، ولزيادة أواصر الصداقة مع الأرمن شجع بلدوين الأمراء الصليبيين على الزواج من نساء أرمنيات، وكان هو نموذج لذلك فقد تزوج من ابنة الأمير الأرمني ثاتول أمير مرعش، الذي شكل معه تحالفاً ذا أهمية له[2].

غير أن شهر العسل مع الأرمن لم يدم طويلاً، إذ أن عدد الفرسان الصليبيين آخذ بالازدياد، فزاد كره الأرمن لهم، بسبب المعاملة القاسية التي تلقوها على أيديهم، حيث كانوا يستخدمون العنف ضدهم في كثير من الأحيان، ففي أواخر سنة 492هـ/1098م كشف احد الأرمن لبلدوين عن مؤامرة ترمي إلى قتله[3]، حيث ذكرت الرواية أن اثنا عشر أرمنياً اتصلوا بالسلاجقة، عندما كان صهره ثاتول نائباً عنه في حكم الرها. أراد المتآمرون أن يجعلوا الأخير حاكماً على المدينة بدلاً من بلدوين، على أمل أن يشركهم في الحكم، وعندما علم بلدوين بالمؤامرة قبض على المتآمرين، فسمل عيونهم، وجدع أنوفهم، وسجن كل من اشتبه به من الأرمن وصادر أموالهم، كما اجبر بلدوين الأغنياء منهم على شراء حرياتهم. أما صهره فقد

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج 1 / ص 294.

(2) سيغال، الرها، ص 281.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1 / ص 297 – 298؛ عبيد، روما وبيزنطة، ص 109.

هرب إلى الجبال خوفا من بطشه، وبالقضاء على هذه المؤامرة، يكون بلدوين قد قضى على كل ما يتوقع من خطر، على الرغم من انه بقي يستخدم فئة منهم في الوظائف العالية، ومنهم أبو الغريب الذي جعله حاكم على قلعة البيرة[1].

بعد وفاة جودفري ملك بيت المقدس في سنة 494هـ/1100م، خلفه في الحكم بلدوين البولوني، وأصبحت الرها تابعة لمملكة بيت المقدس الصليبية، فسلم بلدوين حكم الرها إلى قريبه بلدوين لي بورج، وتزوج الحاكم الجديد للرها من أميرة أرمنية، وهي ابنة جبريل حاكم ملطية، واتبع سياسة موالية للأرمن أكثر من سلفه، ودعمه صهره الأرمني جبريل بكل ما يملك من الأموال، وفي سنة 498هـ/ 1104م، تمكن الأمير الصليبي تانكرد من انتزاع الرها من بلدوين لي بورج، الذي كان أسيراً لدى السلاجقة، ومع أن سكان الرها من الأرمن لم يعاضدوا الأمير تانكرد، غير أن بلدوين عندما تمكن من استرجاع الرها بعد فك أسره، عامل الأرمن معاملة سيئة[2]، الأمر الذي دفع الأرمن إلى مكاتبة السلاجقة لتسليم المدينة لهم، للتخلص من الجور والظلم الذي ألحقه بهم الأمير بلدوين لي بورج، فقد تم الاتفاق على تسليم القلعة في سنة 506هـ/1112م، إلّا أن وصول جوسلين دي كورتيناي، احد الأمراء التابعين لبلدوين حال دون نجاح المؤامرة[3]، ومع ذلك كرر الأرمن ثانيةً الاتصال بالسلاجقة لتسليمهم المدينة في سنة 507هـ/1113م، فعندما علم بلدوين بذلك أمر رجاله بمعاقبة الأرمن، حيث قتل وطرد عدد كبير منهم، ولم يسمح لهم بالعودة إلّا في سنة 508هـ/1114م، عندما شعر بخسارته، وان المسيحيين الباقين لا يكفون للحفاظ على المدينة[4]، وإذا كان الأرمن قد ركنوا إلى الهدوء فإنهم لم يغفروا للصليبيين أفعالهم، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال محاولة كوغ باسيل للتحالف مع السلاجقة سنة 506هـ/1112م، كما لجأت أرملته وولدها بعد

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1 / ص 300؛ سيغال، الرها، ص 281.

(2) سيغال، المرجع نفسه، ص 281 – 282.

(3) عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام (بيروت: 1980)، ص 217.

(4) عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 270؛ سيغال، الرها، ص 289.

وفاته سنة 506هـ/1112م إلى السلاجقة معلنة التبعية لهم، ودفعت الجزية، مفضلة بذلك حكم السلاجقة على الصليبيين أبناء دينها [1].

لم يغفر بلدوين لي بورج للأرمن إعلان تبعيتهم للسلاجقة، فهاجم كيسوم ورعبان في سنة 510هـ/1116م والبيرة وقلعة قورش سنة 511هـ/1117م وضمهم إلى حكمه[2]، وبذلك يكون الأرمن في قيليقيا وأطراف الشام قد لاقوا من الصليبيين ما لم يلاقوه على أيدي المسلمين، ومع ذلك لم تستمر سياسته العدائية ضد الأرمن، ففي سنة 512هـ/1118م توفي الملك بلدوين البولوني، فتوج بلدوين لي بورج مالكاً على بيت المقدس بلقب بلدوين الثاني، وعين جوسلين أميراً على الرها سنة 514هـ/1120م، وبهدف التقرب من الأرمن تزوج جوسلين من أميرة أرمنية، وهي شقيقة توروس الأول أمير قيليقيا[3]، وبهذا الزواج توطدت علاقته مع الأرمن، ولذلك عندما وقع جوسلين في اسر الأراتقة في سنة 516هـ/1122م إنبرا خمسون رجلاً من الأرمن مضحين بأنفسهم في سبيل إطلاق سراحه، حيث اقتحموا أبواب قلعة خرتبرت[4] وتمكنوا من فك اسر جوسلين، الذي كان مأسوراً فيها وذلك في سنة 517هـ/1123م[5].

بعد وفاة جوسلين الأول سنة525هـ/1131م تولى بعده الحكم ولده جوسلين الثاني، الذي كان أرمنياً من جهة الأم - شقيقة توروس وليفون الأول - الأميرين الروبينيين[6]. وكان لجوسلين الثاني أمير الرها دورا كبيرا في التوسط وحل النزاع بين ريموند الثالث أمير أنطاكيا وخاله الأمير ليفون الأول حيث وقعا تحالفاً ضد

---

(1) تاريخ الرهاوي المجهول: ج2 / ص 79.

(2) المصدر نفسه:ج2 / ص 101.

(3) Lang, Armenia , p. 202.

(4) خرتبرت: لفظ أرمني وهي قلعة في أقصى شمال ديار بكر، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج2 / ص355.

(5) خليل، الإمارات الأرتقية، ص 266.

(6) Stevenson, the Crusaders in the east, p. 131.

الإمبراطور البيزنطي مانويل في سنة 532هـ/1137م[1].

بقي جوسلين الثاني حاكماً على الرها حتى سقوطها سنة 548هـ/1153م، ومثل ما كان للإمارات الأرمنية دوراً كبيراً في الحملة الصليبية الأولى وفي إقامة إمارة الرها الصليبية، فقد لعبوا كذلك دوراً كبيراً في إقامة كيان صليبي آخر في قلب بلاد الشام، ألا وهي إمارة أنطاكيا الصليبية التي ارتبطت مع الإمارات الأرمنية بعلاقات ود وتحالف تارة وحروب وصراعات تارة أخرى، وتركز هذا الصراع مع الأمراء الروبينيين في قيليقيا[2].

ب - الإمارات الأرمنية وإمارة أنطاكيا الصليبية (491 - 596هـ/1097 - 1199م).

لعب الأرمن دوراً كبيراً في إقامة إمارة أنطاكيا الصليبية، كدورهم في إقامة إمارة الرها، وذلك من خلال تأمين المأوى والطعام لرجال الحملة الصليبية الأولى، وإرشادهم إلى طرق بلاد الشام[3]. وظل الأرمن يقدمون الإمدادات الضخمة والمؤن للصليبيين أثناء فترة حصارهم لأنطاكيا، فضلا عن أنهم كانوا يهاجمون الحاميات السلجوقية مما يسهل الطريق أمام الصليبيين[4]، فعندما اشتدت المجاعة بالقوات الصليبية المحاصرة لأنطاكيا أرسلوا إلى الأرمن بزعامة الأمراء الروبينيين في جبال طوروس، يطلبون مساعدتهم بالمؤن والإمدادات العسكرية[5] عن طريق نقلها بواسطة التجار الأرمن والسريان إلى المعسكر الصليبي[6]. فضلاً عن تآمر بعض الأرمن داخل المدينة ضد حاكمها السلجوقي، حيث تشير الروايات إلى أن المدينة

---

(1) الجنزوري، إمارة الرها، ص 247.

(2) المرجع نفسه، ص 247.

(3) المدور، الأرمن، ص 225.

(4) حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص 48.

(5) رنسيمان، تاريخ الحروب الصيلية: ج1 / ص 314؛

Lang, Armenia, p. 202.

(6) رنسيمان، تاريخ الحروب الصيلية: ج1 / ص 225؛

Setton, A History of the crusades: vol II/ p.634.

سلمت إلى بوهيمند الأول عن طريق شخص أرمني يدعى فيروز، كان قد اعتنق الاسلام، وأصبح احد قادة ياغي سيان[1] حاكم أنطاكيا من قبل السلطان السلجوقي تتش، وكان فيروز يضمر الحقد للمسلمين، فقرر الاتصال سراً بالأمراء الصليبيين للتآمر معهم على تسليم المدينة، لذلك اتصل فيروز سراً بأحد إخوانه من الأرمن الذين سهلوا اتصاله ببوهيمند، وتآمره معه ببيعه المدينة، فسلم البرج الذي يسمى بالأختين، الذي وكلت إليه مهمة حراسته من قبل ياغي سيان[2].

زحف الصليبيون ودخلوا أنطاكيا عن طريق هذا البرج في سنة 492 هـ / 1098م، فهرع إليهم النصارى من الأرمن والسريان، وهم مسرورين وبكل ترحاب، وساعدوهم في التعرف على خفايا المدينة، وقتل عدد كبير من المسلمين، كما قتل حاكمها ياغي سيان، الذي قبض عليه الأرمن وقطعوا رأسه[3]، وبذلك أقام الصليبيون إمارة أنطاكيا، وما كاد الصليبيون يستقرون في المدينة حتى بدا الاحتكاك بينهم وبين جيرانهم الأرمن في قيليقيا، وخاصة بسبب السياسة التوسعية التي دأب أمراء أنطاكيا وقيليقيا على انتهاجها، وبعدما سيطر الصليبيون على ممتلكات الأرمن الشرقية خارج قيليقيا، الواحدة تلو الأخرى، فكان من الطبيعي أن يحرص أمراء الأرمن في قيليقيا على ما تحت أيديهم من أراضي، وان ينظروا نظرة حذر إلى القوى الصليبية المجاورة [4]، ولهذا لم تسر علاقاتهم مع أنطاكيا على وتيرة واحدة، فتارةً اتسمت بالودية والتحالف لمواجهة الأخطار المشتركة، وأخرى بالعداء والصراع، فقد وقف بوهيمند الأول أمير أنطاكيا إلى جانب الأرمن ضد الأتراك من

---

(1) ياغي سيان: تركماني الأصل من رجال السلطان ملكشاه السلجوقي الذي منحه حكم أنطاكيا سنة 481هـ/1087م وكان على درجة كبيرة من الكفاءة مكنته من اكتساب رضا السلطان تتش بعد وفاة ملكشاه سنة 492هـ / 1098م. ينظر: عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 189.

(2) مؤرخ مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي (القاهرة: 1958)، ص66.

(3) أعمال الفرنجة، ص 70؛
Ostrogersky, History of the Byzantine state, p. 364.

(4) عاشور، بحوث ودراسات، ص 235.

بني دانشمند ودخل في معركة معهم قرب ملطية سنة 494 هـ/1100 م، أسفرت عن أسره ومقتل عدد كبير من الأرمن ولتخليصه من الأسر، تم دفع فدية كبيرة بمساهمة زعماء الأرمن وأغنياءهم[1]، كما اشترك الأمير توروس الأول مع بوهيمند الثاني أمير أنطاكيا في عدد من محاولات الإغارة والسلب والنهب للبلاد العربية الإسلامية المجاورة في سنة 518هـ/1124م، وان ذلك لدليل على حسن العلاقات الأرمنية الأنطاكية[2].

غير أن هذه العلاقات سرعان ما شابها التوتر بسبب أطماع الأمير بوهيمند الثاني في قيليقيا، حيث تجهز بضمها إلى أملاكه، ولكن تشاء الأقدار أن يقتل بوهيمند الثاني، عندما التقى جيشه بالجيش الدانشمندي قرب المصيصة، عندما هاجموها من الجانب الآخر سنة 524هـ/ 1129م[3]. استغل الأمير ليفون الأول فرصة مقتل بوهيمند الثاني حاكم أنطاكيا، بان انتزع المصيصة وادنة وطرسوس وعين زربة من الحاميات الصليبية، كما أحبط محاولة السلاجقة بانتزاع أنطاكيا من الصليبيين وسلمها إلى الأمير روجر الأنطاكي، الذي خلف بوهيمند الثاني في الحكم في سنة 527هـ/1132م[4].

وفي عهد الأمير ريموند، الذي خلف روجر الأنطاكي في حكم أنطاكيا ساءت العلاقة أكثر بينه وبين الأمير ليفون الأول، بسبب امتناع الأخير عن التنازل عن المدن التي سبق أن احتلها كالمصيصة وادنة وطرسوس، فعقد ريموند تحالفاً مع بلدوين لي بورج حاكم مرعش ودخل الاثنان إلى قيليقيا، واسر ليفون الأول، الذي قضى سنتين بأسره، ولم يطلق سراحه إلا بعد تهديد البيزنطيين بغزو أنطاكيا[5]، وموافقته على التنازل عن المدن المشار إليها آنفا، ولكن ما أن عاد إلى بلاده حتى

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج2 / ص 98.

(2) Setton, A history, of Crusades, Vol.2 / P. 636.

(3) Ibid.: vol. II/ p. 636.

(4) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 209.

(5) المدور، الأرمن، ص 227.

تنكر بوعده فنشبت الحرب بين الطرفين ولم تتوقف إلّا بعد تدخل جوسلين الثاني (ابن شقيقته)، الذي عقد صلحاً بينهما، وبموجبه استرد ليفون المدن التي احتلها أمير أنطاكيا، مقابل وضع إمارة أنطاكيا الصليبية تحت الحماية الأرمنية [1].

ومع ذلك نجد أن الأنطاكيين بزعامة الأمير ريموند قد عاودوا غزوهم لقيليقيا سنة 539هـ/1144م، بغية ضمها لحكمهم، وهذا ما تعارض مع مصلحة الإمبراطور البيزنطي مانويل، الذي أرسل جيشاً تولى مهمة طرد الصليبيين حتى أسوار أنطاكيا[2]، وحصل توروس الثاني الذي كان قد تولى الزعامة على الأرمن في مستهل سنة 540هـ/1145م على دعم ابن عمته جوسلين الثاني أمير الرها، وتمكن بمساعدة الأخير من استعادة نفوذه على قيليقيا أواخر سنة 540هـ/1145م[3].

اقتضت المصالح المشتركة بين الأمير توروس الثاني والأنطاكيين بزعامة أميرهم رينالد إلى تحسين العلاقة بينهما، وتوجيه أنظارهما نحو غزو بلاد المسلمين، حيث اشتركا بمهاجمة مدن الشام في سنوات 550هـ / 1155م[4] و554هـ/ 1159م، كما تحالفا مع الصليبيين والبيزنطيين ضد قلج ارسلان السلجوقي سنة 555هـ/1160م، وضد نور الدين زنكي في سنة 559هـ/1164م[5]، ومع أن هذا التحالف أصابه التصدع في عهد الأمير مليح الأرمني، الذي أعلن تبعيته لنور الدين زنكي، كما ذكرنا ذلك في مبحث سابق. غير ان خليفته وابن شقيقه روبين الثالث، اتبع سياسة أسلافه الأوائل في تقوية علاقته مع الصليبيين من خلال المصاهرات وخاصة عندما تزوج من إيزابيلا ابنة همفري الثالث سيد تورن، وشارك في هجوم الصليبيين على حارم سنة 577هـ/ 1181م، والدليل على حسن سير العلاقات الودية

---

(1) العريني، الشرق الأوسط: ج1 / ص 424؛ استار جيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 209؛ Ostrogorsky, History of the Byzantine state, p. 630.

(2) العريني، الشرق الأوسط: ج1 / ص 377.

(3) المدور، الأرمن، ص 229؛ Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 638.

(4) عبيد، روما وبيزنطة، ص 215؛ Stevenson, the cruseders in the east, p. 175.

(5) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 212؛ Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 640.

مع أمراء أنطاكيا الصليبيين أن الأمير بوهيمند الثالث باع مدينة طرسوس التي استعادها من الإمبراطورية البيزنطية في سنة 579هـ/1183م إلى الأمير روبين الثالث[1]، وفي السنين الأخيرة من حكم الأمير روبين الثالث دخل في صراع مع أمراء أنطاكيا الصليبيين، بسبب مساندتهم للعائلة الهيثومية، فوقع الأمير روبين الثالث أسيراً لدى بوهيمند الثالث، بعد ان استدعاه للاجتماع وحل النزاع بينه وبين الأمراء الهيثوميين، ولم يطلق سراحه إلّا بعد ان سار الأمير ليفون الثاني بجيشه إلى قلعة لاميرون واجبر أميرها على التوسط لدى بوهيمند الثالث لإطلاق سراح شقيقه روبين، فأطلق سراحه[2]، وبعد إطلاق سراحه تنازل عن حكم الإمارة لأخيه ليفون الثاني، الذي دخل في صراع وحروب مع بوهيمند الثالث أمير أنطاكيا وطرابلس[3]. إلّا أن هذه العلاقات سرعان ما تحولت إلى ودية لغاية في نفس ليفون الثاني ألا وهي الحصول على التاج الملكي من جهة الغرب والاعتراف بإمارته كمملكة تقف على قدم المساواة مع الإمارات الصليبية في الشرق.

رابعاً: قيام مملكة أرمينية الصغرى وتتويج ليفون الثاني

على الرغم من صراع الأرمن الطويل مع القوى المجاورة المتعددة الإسلامية والصليبية والبيزنطية، التي حاولت قدر الإمكان فرض سيطرتها على قيليقيا، وفي وسط التيارات والعواصف المتضاربة، استطاع أمراء الأرمن في قيليقيا الحفاظ على ممتلكاتهم من خلال الدور الكبير الذي لعبوه من اجل إقامة مملكة أرمنية جديدة بدلاً عن مملكتهم الغابرة (أرمينيا الكبرى) من خلال الزيجات السياسية مع الأسرات الحاكمة، فضلاً عن الاتصالات التجارية مع المراكز المهمة على ساحل البحر المتوسط، الأمر الذي مكنها من جني الأرباح الضخمة، فوصلت مملكة

---

(1) Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 641.

(2) المدور، الأرمن، ص 230 – 231.

(3) Join, Ville, Memoires of the crusades (London, 1965) , p. 58.

أرمينية الصغرى قمتها في عهد الملك ليفون الثاني، الذي اكتسب ود البابا والإمبراطور الروماني [1] لم يكد القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي يشرف على الانتهاء، إلّا وتمخض عن ولادة مملكة أرمينية الصغرى بزعامة البيت الروبيني، الذي قاسى أمراؤه وتحملوا الكثير من المشاق لأجل الحفاظ على سلطتهم في قيليقيا بمهارة كبيرة من مما دفع الأمير ليفون الثاني (582 - 616هـ / 1186 - 1219م) بالتطلع إلى التاج الملكي ليكون ملكا متوجاً، يتمتع بما يتمتع به الملوك من مكانة وهيبة، فقد وجد انه لا يمكن أن يحقق حلمه هذا إلا عن طريق واحد، ألا وهو الاتصال بالغرب الأوربي لكي يقف على قدم المساواة مع الأمراء والملوك الصليبيين في الشرق ولا يبدو اقل مكانة منهم، ولكي يتمكن من إبعاد مخاطر الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تُغير بين حين وآخر على ممتلكاته في قيليقيا، لذلك توجه الأمير ليفون الثاني إلى أقوى رجلين في الغرب، ألا وهما البابا كالستين الثالث (588 - 595هـ / 1191 - 1198هـ) والإمبراطور الألماني فردريك باربروسا (ذو اللحية الشقراء) (543 - 586هـ / 1152 - 1190م)، ومما قيل أن الإمبراطور فردريك وعده بمنحه لقب الملوكية، وجاء هذا الوعد في رسالة مختومة بختم الإمبراطور الذهبي[2].

وما كادت تقترب الحملة الصليبية الثالثة سنة 585هـ / 1189م من قيليقيا، حتى أخذ الأمير ليفون الثاني حذره وتحصن منهم بقلاعه الحصينة لأنه أرمني وهم روم[3]، وبقي متحصناً حتى أرسل إليه الإمبراطور فردريك برسالة يطلب فيها المعونة من مؤن وسلاح ورجال وإمدادات عسكرية واقتصادية لجيشه، فأحس ليفون الثاني بقرب تحقق أمله فرحب بالإمبراطور ورجاله، وبادر بتقديم الهدايا الثمينة والمؤن التي طلبها منه الإمبراطور، فارتاح الأخير لهذه البادرة وخرج بعدها

---

(1) Lang, Armenia, p. 202.

(2) Lang, Armenia, p. 202 ; Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 646.

(3) شمس الدين ابي المظفر قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (الدكن: 1948): ج 8 / ص 403.

الأمير ليفون الثاني ومعه الجاثليق جريجوري الرابع والمطران نرسيس اللامبروني، فضلاً عن شخصيات أرمنية أخرى لمقابلة الإمبراطور. إلّا أن الحظ لم يحالفهم في لقاء الإمبراطور، لأن الأخير غرق سنة 586هـ/ 1190م في احد انهار قيليقيا، مما خيب آمال الأرمن عامة والأمير ليفون الثالث خاصة، فضلاً عن أن هذه الصدمة هزت كيان الحملة الصليبية الثالثة[1].

لم ييأس ليفون الثاني بعد فشل خطته بسبب موت الإمبراطور، إنما واصل جهوده الحثيثة لمساعدة الحملة الصليبية الثالثة تلبية لطلب البابا كالستين الثالث، الذي أرسله إليه يحثه على مساعدة الحملة الصليبية عن طريق المؤن والإمدادات ومقاتلته القوى الإسلامية، إلى جانب مقاتلي الحملة[2].

شاركت قوات الأمير ليفون الثاني في حصار عكا، فضلاً عن تقديمه المساعدة لملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد، أثناء غزوه لجزيرة قبرص سنة 587هـ / 1191م، وكان ذلك النشاط بحد ذاته كفيلا بإعلاء مكانته وإخلاصه وتجاوبه مع الأهداف الصليبية، الأمر الذي مكنه من مواصلة جهوده للحصول على التاج الملكي، فبادر بإرسال سفارة إلى البابا كالستين الثالث والإمبراطور هنري السادس، الذي اعتلى العرش بعد موت والده، وأعلن الأمير ليفون الثاني عن تبعيته للتاج الألماني ونجح السفراء في مهمتهم، فأرسل الإمبراطور هنري السادس في سنة 594هـ / 1197م علماً ثميناً عليه رسم الأسد تلميحاً لاسم ليفون مع كبير أمنائه كونراد ومعه تاجان من البابا كالستين الثالث احدهما لعموري ملك قبرص، والثاني لليفون ملك أرمينية الصغرى[3]، وبهذا ظهرت على مسرح الشرق مملكتان نصرانيتان ألا وهما مملكة قبرص ومملكة أرمينية الصغرى، التي توج عليها ليفون تحت لقب الملك ليفون الثاني عام 596هـ / 1199م.

---

(1) Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 646.

(2) Erdmann, Carl, the origin of the Idea of cr:sades (New Jersey,1977),p. 187.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج3/ ص 91؛

Lang, Armenia, p. 203.

حضر حفل التتويج بطرك اليعاقبة ورئيس الأساقفة الارثوذوكس، فضلاً عن عدد كبير من القادة والأمراء العسكريين، وقد بارك ذلك الحفل رئيس الكنيسة الأرمنية جريجوري السادس، في حين أضفى عليه المندوب الإمبراطوري شعار الملوكية وسط ابتهاج الأرمن، الذين رأوا في ذلك أحياءاً لمملكتهم الغابرة (أرمينيا الكبرى)، وبعثاً لعظمة تاريخهم السالف، وأقيم حفل التتويج في كنيسة أيا صوفيا في مدينة طرسوس في 6 / كانون الثاني 596هـ / 1199م[1].

اختلف المؤرخون في تاريخ التتويج، فقد ذكر بعضهم انه تم في أواخر سنة 593هـ/1196م، وعده البعض الآخر في سنة 594هـ / 1197 م، وآخرون عدوه في سنة 595هـ / 1198م[2]، إلّا أن التاريخ المتفق عليه والأكثر شيوعاً لدى المؤرخين 596هـ / 1199م[3]، ومما لا يقبل الشك أن ظهور الأرمن والأوربيين هو في سنة مملكة أرمينية الصغرى كمملكة نصرانية على مسرح الشرق، أضفى عليها هيبة من جهة، وألقى عليها مسؤولية ضخمة في متابعة السياسة الصليبية ضد المسلمين من جهة أخرى، فإن تأسيس هذه المملكة بشكل قوي ومنظم دفع العديد من الكتاب والمثقفين الأرمن إلى أن يطلقوا على هذه الفترة (بعث الأمة الأرمنية القديمة) [4].

كان لظهور هذه المملكة ردود فعل قوية من قبل القوى المجاورة المتمثلة بالبيزنطيين والصليبيين والقوى الإسلامية، فقد أشار المؤرخون إلى أن الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الثالث انجلوس أرسل تاجا إلى الملك ليفون الثاني. ولكن يبدو أن هذا الإجراء من جانب الإمبراطور لم يصحبه حفل تتويج مستقل، وخاصة ان الإمبراطورية البيزنطية كانت ترسل التيجان إلى بعض الأمراء من باب التشريف وليس رفعا لمكانتهم إلى منزلة الملوك. ورغم اختلاف المؤرخين في تحديد هذا التشريف الذي أضفاه الإمبراطور البيزنطي على الملك ليفون الثاني، فإن الغالب أن

(1) Der Nersessian, the Armenians, pp. 46 - 47.

(2) Settton, A History of the crusades: vol. II/ p. 648 ; Holt, the Age of the crusades, p. 158.

(3) سميل، الحروب الصليبية، ص 31؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 221.

(4) المدور، الأرمن، ص 232.

الإمبراطور أرسل التاج بعد أن علم بتتويج ليفون الثاني من قبل الغرب، فكان ذلك اعترافاً من الإمبراطور بسياسة الأمر الواقع من جانب، وحرصاً على الاحتفاظ بالروابط التي ربطت كلاً من مملكة أرمينية الصغرى بالإمبراطورية البيزنطية. كما أرسل الملك ليفون الثاني سفارة إلى القسطنطينية ليشكر الإمبراطور البيزنطي على التاج الذي أرسله إليه، وثمة حقيقة لا يمكن تجاهلها وهي أن الأمير ليفون الثاني كان يفضل التتويج من قبل الغرب[1].

وعلى الرغم من ذلك فإن الإمبراطورية البيزنطية لم تتنازل من جهتها بسهولة عن حقها في إقليم قيليقيا، وبالتالي عن تبعية أرمينية الصغرى لها، حيث أن الألقاب التي كان يطلقها الصليبيون على الأمراء الأرمن أزعجت الإمبراطورية البيزنطية، مما جعل الإمبراطور الكسيوس يتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث كان الإمبراطور يطالب بملكيته لبلاد الأرمن[2].

أما الصليبيون فقد عدّوا ظهور مملكة أرمينية الصغرى في الشرق حدثاً مهماً، بسبب الضعف الذي لحق بمركزهم، بسبب الحملات الإسلامية المتكررة من قبل الزنكيين والأيوبيين الذين احتلوا الرها سنة 539هـ / 1144م، وللمرة الثانية في سنة 583هـ / 1187م، كما حاصروا المدن الثلاثة أنطاكيا وصور وطرابلس، خاصة في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي واحتلت بالفعل فوجد الصليبيون في هذه المملكة سند قوي للوقوف بوجه الأخطار الخارجية الإسلامية والبيزنطية[3].

أما عن رد الفعل الإسلامي، فإن المسلمين لم ينسوا من جانبهم أن هذا الإقليم كان خاضعاً لنفوذهم منذ وقت مبكر، وانه حتى بعد استقرار الأرمن فيه دأب أمراؤهم على دفع الأموال للسلاجقة، وكان ذلك رمزاً للخضوع والتبعية، وهذا هو السر الذي يكمن في أن المسلمين رفضوا الاعتراف بالمكانة الجديدة التي حققها

---

(1) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 221؛
Settton, A History of the crusades: vol. II/ pp.648 - 649.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى: ج8 / ص 30.

(3) المدور، الأرمن، ص 232.

أمراء أرمينية الصغرى في تتويجهم ملوكا، وظهر عدم اعترافهم هذا من خلال إصرارهم على عدم الإشارة إلى حكام أرمينية الصغرى بلفظ ملك، وإنما اختاروا لهم دائما لقب (متملك) بمعنى أنهم امتلكوا تلك البلاد قهرا من أصحاب السيادة الشرعية عليها وهم المسلمون[1].

وخير تعبير عن ذلك ما ذكره ابن فضل الله ((كانت طاعتهم آخرا ببقية ملوك السلاجقة الروم، وعليهم جزية مقررة، وطاعة معروفة حتى ضعفت تلك الدولة)) [2]، فطمع ليفون الثاني صاحب أرمينية الصغرى واستولى على هذه البلاد ومَلَكَها.

أما القلقشندي[3] فقد ذكر أن صاحب أرمينية كان يشار إليه بلقب (متملك سيس) دون ملك سيس، ذلك يرجع إلى السبب السابق الذي ذكره ابن فضل الله، ثم وثب عليها ابن لاون فملكها من المسلمين. أما بالنسبة للألقاب التي اختارها المسلمون لملوك أرمينية الصغرى فهي عديدة منها (ابن لاون) ولاون هنا تعريف للفظ ليفون الثاني فصار كل ملك من ملوكها يعرف بابن لاون، وكذلك أطلق لقب (متملك سيس)، أو (صاحب سيس).

وسيس هي عاصمتهم التي نقل إليها مُلْكَهم من طرسوس. كذلك أطلقت المراجع العربية على ملك أرمينية لقب (تكفور) وهو لقب عام قصد به كل من جلس على عرش تلك المملكة وهو لفظ أرمني[4].

••• ••• ••• •••

---

(1) عاشور، بحوث ودراسات، ص 239.

(2) التعريف، ص 55.

(3) صبح الأعشى: ج8 / ص 32.

(4) ابن فضل الله، التعريف، ص 56؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ج8 / ص 31.

الفصل الثالث

الصراع الأرمني - السلجوقي

(429 – 644هـ/1037 – 1246م)

قبل البدء بالحديث عن العلاقات السياسية بين الطرفين لا بد من إعطاء نبذة مختصرة عن أصل السلاجقة، وكيفية ظهورهم على مسرح الأحداث في الشرق، ومناطق نفوذهم كي يتسنى للقارئ فهم الموضوع.

فالسلاجقة مجموعة من القبائل التركية التي كانت تقيم في منطقة التركستان أو بلاد ما وراء النهر، واشتقت هذه التسمية من الزعيم الذي عمل على وحدتهم، وهو سلجوق بن دقاق في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي، واعتنقوا الإسلام وازدادت قوتهم في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، فبسطوا سيطرتهم على خراسان في سنة 429هـ / 1037م، وأعلنوا قيام الدولة السلجوقية وتولى طغرلبك مهام السلطة، وحصلوا على اعتراف من الخلافة العباسية بدولتهم، وبعد إتمام سيطرتهم على بغداد دخل طغرلبك إلى بغداد سنة 447هـ/ 1055م[1].

عاشت الدولة السلجوقية أزهى فترات حكمها في زمن السلطان ألب ارسلان وابنه ملكشاه[2]، الذي استولى على بلاد الشام وأرمينيا وبلاد قيليقيا، التي شملت طرسوس وعين زربة وسلوقية وملطية وما يليها من بلاد الروم[3]، فكانت حدود مملكتهم تمتد من بلاد خوارزم شمالاً حتى حدود اليمن جنوباً، ومن حدود الصين شرقاً، إلى سواحل البحر المتوسط غرباً، وبموت ملكشاه سنة 485هـ/1092م، بدأت

---

(1) عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي (القاهرة: 1976)، ص 71.

(2) هسي، العالم البيزنطي، ص 174؛ عبد الرؤوف، المرجع نفسه، ص 71.

(3) تاريخ الرهاوي المجهول: ج2 / ص 66.

الانقسامات الداخلية تسودها بسبب النزاع على العرش، حيث انتهى هذا النزاع بانقسام السلاجقة وظهور سلاجقة الروم، وسلاجقة العراق، وسلاجقة الشام، وتزامنت هذه الانقسامات مع بدايات الحروب الصليبية التي داهمت العالم الإسلامي وبحكم الموقع الجغرافي الذي تتمتع به دولة سلاجقة الروم في الأناضول، والتي اتخذت من مدينة قونية عاصمة لها[1]، ومحاولاتها التوسعية ولكونها متاخمة لأرمينية الصغرى، فقد ارتبطت معها بعلاقات مستمرة، كان يسودها الاتفاق والتحالف تارةً، وأخرى يسودها الصراع على مناطق النفوذ.

بدأت العلاقات بين الطرفين عدائية أولاً، خاصة عندما سيطر السلاجقة على مدينة آني عاصمة أرمينيا الكبرى سنة 456هـ/1063م[2]، وكان لهذا الحدث، فضلاً عن انتصارهم على البيزنطيين حلفاء الأرمن في معركة ملاذكرد سنة 463هـ/1071م الأثر الكبير في تزايد هجرة الأرمن من وطنهم الأم إلى قيليقيا، مما جعل الأرمن ينظرون نظرة عداء للسلاجقة، ومحاولة الثأر لاستقلالهم الضائع كلما سنحت لهم الفرصة بذلك، ومن ناحية أخرى عمل أمراء الأرمن في قيليقيا على استرضاء السلاجقة ومهادنتهم، لأجل تثبيت أقدامهم والحفاظ على ممتلكاتهم الجديدة في موطنهم الجديد[3].

وعلى ما يبدو أن الأمراء الأرمن أتبعوا سياسة الحذر الشديد تجاه جيرانهم الأقوياء، وعلى رأس هؤلاء الأمراء فيلاريتوس، الذي يعد واضع حجر الأساس لدولة الأرمن في قيليقيا، الذي عمل جاهداً على تأمين ممتلكاته من جهة السلاجقة، لذلك أعلن التبعية للسلطان ملكشاه، وحمل إليه الهدايا الثمينة والأموال والذهب، وكان مستعداً لاعتناق الإسلام، إذا ما تطلب الأمر ذلك.

استعان فيلاريتوس الأرمني بالسلاجقة في حروبه ضد خصمه طورنيق بن موسيل الأرمني زعيم مقاطعة ساسون سنة 466هـ/1074م، وتمكن بمساعدتهم من

---

(1) هسي، العالم البيزنطي، ص 174.

(2) ابن الأثير، الكامل: ج8 / ص 668؛ العريني، الدولة البيزنطية (القاهرة، 1965):ج1/ ص794.

(3) ابيتارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 199.

تحقيق النصر عليه وقتله[1]، فَقَدِم فيلاريتوس إلى بلاد السلطان ملكشاه في سنة 471هـ/1078م، واقسم أمامه يمين الولاء والتبعية، فبقيت بلدان ملطية وحصونها وقلاعها بيده، على أن يكون تحت أمر السلاجقة وسلطتهم[2]، ومع ذلك نجد أن السلاجقة لا يمكن أن يغضوا الطرف عن تلك الإمارة، التي تقف حائلاً أمام توسعهم إلى الشام، فاستغل السلاجقة فرصة الاضطراب الذي عم إمارة فيلاريتوس، نتيجة تآمر احد أبنائه ضده، فباغتوا أنطاكيا الخاضعة لسلطته وملكوها سنة 478هـ / 1085م، وكذلك الحال بالنسبة لنوابه في ملطية ومرعش والرها، إذ أعلنوا ولاءهم للسلاجقة وعلى رأسهم جبريل الأرمني أمير ملطية، الذي بعث بزوجته إلى مقر الخلافة ببغداد للحصول على اعتراف الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي بإمارته [3]، ومن ناحية أخرى أدى الأرمن دوراً كبيراً في مساندة الصليبيين ضد السلاجقة في الأقاليم التابعة لهم، فقد ساهموا في تسليم مدينتي الرها وأنطاكيا للصليبيين ولكن سرعان ما ضجر الأرمن من الحكم الصليبي، وبدءوا يعدون ضدهم المؤامرات بالتعاون مع السلاجقة في سنوات 499 هـ / 1105م و506 هـ /1112 و507 هـ /1113م، إلّا أن الفشل كان من نصيبها جميعاً [4].

بعد وفاة فيلاريتوس تولى البيت الروبيني مسؤولية زعامة الأرمن في قيليقيا، وتحملوا أعباء الصراع مع السلاجقة، فاتبع الأمير توروس الأول سياسة عدائية للسلاجقة في السنين الأولى من حكمه، إلّا انه اضطر إلى الركون إلى الهدوء، وإتباع سياسة الحذر معهم بعد أن أدرك ضعف موقفه، بسبب غاراتهم المتتالية على بلاده في السنوات 501هـ / 1107م و504هـ/1110م و505هـ/1111م[5]، ففي سنة

---

(1) رستم، الروم: ج2 / ص 116.

(2) تاريخ الرهاوي المجهول: ج2 / ص 67.

(3) عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 178.

(4) للمزيد من التفاصيل. ينظر: أبو يعلى حمزة ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق (بيروت: 1908)، ص 148؛ العريني، الشرق الأوسط: ج1 / ص 451.

(5) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج1 / ص 198؛

Setton, A History of the crusades: vol. II/ p.636.

508هـ/1114م حاصروا مدينة الرها بقيادة البرسقي، إلّا أنهم اضطروا إلى رفع الحصار عنها بسبب سوء الظروف المناخية وقلة المؤن، وكان من أهم نتائج هذه الغارات، أن أعلن بعض أمراء الأرمن التبعية للسلاجقة، مثل أرملة كوغ باسيل أمير كيسوم ورعبان الأرمني[1]، وبعد هذا التاريخ لم يتعرض السلاجقة لقيليقيا حتى الاجتياح البيزنطي لها في سنة 532هـ/1137م، إذ استغل السلطان السلجوقي مسعود فرصة ضعف الحاميات البيزنطية فيها، فهاجم قيليقيا واحتل مدينة ادنة واسر عدد كبير من سكانها، فما كان من الأمير توروس الثاني إلّا أن قام بمهاجمة الحاميات السلجوقية، واستولى على القلاع الجبلية وأطلق سراح الأسرى الأرمن، وبعد صراع مع السلاجقة والبيزنطيين تمكن من إعادة سيطرته على قيليقيا، وذلك في سنة 543 هـ/1148م[2]. إلّا أن السلطان السلجوقي في قونية لم تضعف عزيمته في استعادة قيليقيا، فاستغل فرصة الصراع البيزنطي الأرمني، فاخذ في التوسع في الأراضي القيليقية، وغربي الفرات وعلى حساب ممتلكات الطرفين، فاستولى السلطان مسعود على مرعش في سنة 544هـ/1149م، مما اضطر جوسلين الثاني أمير الرها الصليبي، والسند القوي لتوروس الثاني إلى الاعتراف بالسلطان مسعود سيداً عليهم، وعندما وقع جوسلين أسيراً بيد الكتائب التركمانية التي سلمته إلى نور الدين زنكي في سنة 545هـ / 1150م، سهل ذلك على السلاجقة مهاجمة قيليقيا، فزحف السلطان مسعود إلى قيليقيا، فضلاً عن مرعش وبهسنى[3] وكيسوم ورعبان وسائر الأملاك الأرمنية الواقعة على أطراف الرها، وبذلك أصبحت أشهر القلاع القيليقية بيد السلاجقة والتي تعد الدرع الحامي لها[4].

---

(1) خليل، الإمارات الأرتقية، ص 228؛

Setton, A History of the crusades: vol. II/ p.636.

(2) Setton, A History of the crusades: vol. II/ p.637.

(3) بهسنى: قلعة تقع شمالي مدينة حلب وشمال غرب مدينة عينتاب، وهي قلعة تتميز بموقع عسكري إستراتيجي هام، وسكانها خليط من الأكراد والتركمان والأرمن. للمزيد من التفاصيل ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ج8 / ص 125.

(4) عبيد، روما وبيزنطة، ص 208 – 209؛ العريني، الشرق الأوسط: ج1 / ص 401.

بعد أن فشل الإمبراطور البيزنطي في التغلب على الأمير تورس الثاني في سنة 547هـ/1152م لجأ إلى سلاح آخر، وهو فتح باب التفاوض مع السلطان مسعود السلجوقي، حيث عرض عليه مبلغاً كبيراً من المال مقابل قيامه بمهاجمة الأمير توروس، وبمؤازرة قوات بيزنطية، فزحف السلطان مسعود على قيليقيا فعلاً. وعندما حاول عبور جبال طوروس وجدها مدججة برجال توروس المسلحين، لذلك آثر التفاوض معهم فطلب من الأمير توروس الثاني أن يعترف بسيادته عليه، وإعادة المدن القيليقية التي استولى عليها من البيزنطيين، فوافق الأمير توروس الثاني على الشرط الأول، إلّا انه رفض التنازل عن شبر واحد من أراضيه للبيزنطيين[1].

ومع ذلك اتفق الطرفان بإعلان توروس عن تبعيته للسلطان مسعود، ووقعا معاهدة صلح في سنة 548هـ/1153م، وكانت هذه المعاهدة بطبيعة الحال لصالح الطرفين وعلى حساب الإمبراطور البيزنطي، إلّا أن الأخير لم يكف عن تحريض السلطان مسعود ضد توروس الثاني من خلال بذله الأموال والذهب والهدايا الثمينة من ناحية، فضلاً عن طمع السلطان مسعود في التوسع على حساب الأرمن في أراضي قيليقيا، مما شجعه على إرسال قواته وعلى رأسها قائده يعقوب في سنة 549هـ/1154م في مهاجمة الأمير توروس الثاني، إلّا أن انقضاض الداوية ورجال ستيفن شقيق توروس على القوات السلجوقية في ممر بورتللا الجبلي الضيق الذي يصل بين قيليقيا وبلاد السلاجقة، فالحق هزيمة فادحة بهم، وقتل قائد الحملة، فكان لمقتله أثر كبير في تشتيت جنوده، هذا إلى جانب وباء الطاعون الذي فتك بهم في أثناء حصارهم لقلعة تل حمدون، مما اضطرهم إلى رفع الحصار والانسحاب إلى عاصمتهم، وفي خضم هذه الظروف السيئة التي مر بها السلاجقة توفي السلطان مسعود سنة 550هـ/1155م [2].

تولى الزعامة بعد وفاة السلطان السلجوقي مسعود ولده قلج ارسلان الثاني

---

(1) عبيد، روما وبيزنطة، ص 212؛
Setton, A History of the crusades: vol. II/ p.639.

(2) عبيد، المرجع نفسه، ص 212؛
Setton, A History of the crusades: vol. II/ p.639.

(551 - 584هـ/1156 - 1188م)[1] فدخل في صراع مع الأمراء الأرمن، حيث قام الأمير توروس الثاني بمهاجمة مرعش في سنة 554هـ/1159م، وقتل عدداً كبيراً من السلاجقة واسر ما يقارب الأربعمائة، مما أثار ذلك غضب السلطان قلج ارسلان الثاني[2]، وبدلاً من شن الغارات على الأمير توروس الثاني، آثر إتباع سياسة إثارة الصراعات الداخلية بين الأمراء الأرمن، ومساندة بعضهم ضد البعض الآخر بهدف أضعافهم، فمد يد العون إلى الأمير مليح الذي تآمر لقتل شقيقه توروس الثاني. وعلى الرغم من فشل هذه المحاولة، بقي السلاجقة على وفاق مع الأمير مليح، إلّا أن هذه العلاقة لم تلبث أن ساءت في عهد الأمير روبين الثالث (571 - 582هـ/1175 - 1186م)، الذي شن الغارات على القبائل التركمانية، مما دفع السلطان قلج ارسلان الثاني إلى الاستنجاد بالسلطان صلاح الدين الأيوبي (564 - 589هـ/1169 - 1193م)، الذي الحق بروبين الثالث هزيمة، واجبره على إعادة الأسرى والغنائم وذلك في سنة 576هـ/1180م[3].

وفي سنة 583هـ/1187م عبرت القبائل التركمانية إلى قيليقيا، مجتازة الممرات القيليقية الشمالية، وبلغت سيس، وعاثت في المنطقة خراباً ودماراً، فجمع الأمير ليفون الثاني (582 - 616هـ/1186 - 1219م) قواته وهاجم هذه الحشود، وتمكن من التغلب عليهم وقتل قائدهم رستم وتتبع الهاربين منهم حتى قلعة سرفندكار، والحق بهم خسائر فادحة.

استغل الأمير ليفون الثاني فرصة الاضطرابات الداخلية والصراعات التي عمت الدولة السلجوقية في سنة 588هـ/1192م بسبب وفاة السلطان قلج ارسلان الثاني، فهاجم الممتلكات السلجوقية، إلّا أن هجومه لم يكن موفقاً، حيث قتل عدداً كبيراً من رجاله، فعاود الكرة بعد شهرين ملحقاً بها خسارة كبيرة، ورداً على ذلك

---

(1) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 212 - 213؛ عبيد، روما وبيزنطة، ص 212.

(2) Setton, A History of the crusades: vol. II/ p.639.

(3) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: محمد جمال الدين الشيال (القاهرة: 1964)، ص 54.

قام السلطان السلجوقي كيخسرو الأول (588 - 607هـ/1192 - 1210م) بالإغارة على قيليقيا في سنة 589هـ/1193م، وأعاد الكرّة في سنة 598هـ/1201م ملحقا بها خسائر جسيمة[1].

لم تفلح محاولات الملك ليفون الثاني للاستعانة بالاسبتارية[2] في حماية بلاده من خطر السلاجقة[3]، إذ عاود السلطان كيخسرو الأول هجماته على قيليقيا، ففي سنة 605هـ/1208م هاجم مرعش وعاث فيها خراباً وسلباً ونهباً، وفتح عدداً من القلاع والحصون[4]، ولم يكن أمام الأرمن سوى الالتجاء إلى البيزنطيين لحماية بلادهم، حيث طلب الملك ليفون الثاني المساعدة من الإمبراطور البيزنطي ثيودور لاسكاليس فوافقه الأخير، ودخل الاثنان في صراع مع السلطان السلجوقي كيخسرو الأول، وانتهى الصراع بمقتل السلطان كيخسرو في سنة 607هـ/ 1210[5].

استعاد المتحالفان عدد من القلاع والحصون والمدن المهمة كهرقلة وقرمان[6]، التي فقدها السلاجقة بسبب انشغال سلطانهم الجديد كيكاوس الأول

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج2 / ص 185.

(2) الاسبتارية: هم مجموعة من الفرسان جمعوا بين الدين والدنيا وترجع نشأتهم إلى 440هـ/ 1048م وكان للتجارة دوراً في ظهورهم ذلك لأن أهالي مدينة آمالي الوافدين إلى الشرق كان لهم تجارة عظيمة وهم الوسيط بين الشرق والغرب ورأوا أن كل طائفة من النصارى تتمتع بشعائرها الخاصة ففكروا بأن تكون لهم مؤسسة دينية فبادروا إلى الخليفة الفاطمي وطلبوا منه الموافقة على إنشاء دير خاص بهم فكانت تلك بدايتهم حيث اقسموا على الشعائر الثلاثة والفقر والطاعة والعفة وأطلق عليهم اسم الاسبتارية لأنهم تسلموا مهمة حماية حجاج بيت المقدس. ينظر: حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص 95 - 96.

(3) Lang, Armenia, p. 203.

(4) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دول الإسلام (الدوحة: 1988): ج2 / ص 111.

(5) تمارا تالبوت رايس، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري (بغداد: 1968)، ص 77؛

Ostrogorsky, A History of the Byzantine State, p. 229.

(6) خانجي، مختصر تواريخ الأرمن، ص 234؛ عاشور، الحركة الصليبية: ج2 / ص 953.

(607 - 616هـ/1211 - 1219م) في صراعه مع عمه طغرلبك على السلطة[1]، ولكن ما أن تمكن السلطان كيكاوس الأول من استعادة الأمن والاستقرار لبلاده، بعد أن قضى على الصراعات الداخلية، حتى أسرع في سنة 611هـ/1214م [2] بمهاجمة مملكة أرمينية الصغرى التي كانت مشغولة في حروب طاحنة مع إمارة أنطاكيا الصليبية، فحاصر السلاجقة قلعة جابان وقيصرية، وبهدف فك الحصار عن هاتين القلعتين، وكف الغارات السلجوقية عن بلاده، أرسل الملك ليفون الثاني سفارة إلى السلطان كيكاوس الأول طالباً منه الصلح والمهادنة، حيث قدمت له السفارة كل مظاهر الطاعة والاحترام[3] وعرض على السلطان مضاعفة الجزية المفروضة على بلاده، فضلاً عن ما قدمه من هدايا ثمينة، اشتملت على خيول وذهب وفضة وجواري وأمام هذه الهدايا والطاعة وافق السلطان على توقيع هدنة بينهما[4] فارضاً على الأرمن شروطا أهمها:

1- أن يعترف الملك ليفون الثاني بتبعيته وولائه للسلطان كيكاوس الأول.
2- مضاعفة مقدار الجزية المقررة عليه من قبل السلطان كيكاوس والبالغة قيمتها عشرون ألف دينار.
3- تقديم خمسمائة فارس أرمني سنوياً لخدمة السلطان.
4- يوافق السلطان كيكاوس الأول على إعادة عاصمة الملك ليفون الثاني إلى سيس، إذ ما طبق جميع بنود الهدنة.

أرسل السلطان كيكاوس أمير الدواة ضياء الدين قرا ارسلان لأخذ الجزية من الملك ليفون الثاني، فدفع الأخير نصف الجزية على أن يدفع ما يتبقى منها بعد ستة أشهر وعندما علم السلطان أن الملك ليفون قد طبق

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب: ج3 / ص 217.
(2) رايس، السلاجقة، ص 79.
(3) ابن واصل، مفرج الكروب: ج3 / ص 233.
(4) الحسين بن محمد بن علي ابن بيبي، الأوامر العلائية في الأمور العلائية (انقرة: 1957)، ص 236 - 237.

جميع شروط الهدنة بشكل جيد، أطلق سراح جميع الأسرى الأرمن الذين في حوزته[1]، إلا أن الملك ليفون الثاني لم يلبث أن بدأ القيام ببعض الأعمال التي أخلت بشروط الهدنة، فتوجه السلطان كيكاوس في سنة 613 هـ/1216م إلى أرمينية الصغرى لطرد الملك ليفون الثاني، الذي هرب أمامه إلى جبال أرمينيا الكبرى [2].

توفي السلطان كيكاوس الأول سنة 616هـ/1219م فتولى أمر السلطنة شقيقه علاء الدين كيقباذ (616 - 634هـ/1219 - 1236م)، الذي استثمر فرصة الاضطرابات التي حلت بأرمينية الصغرى بعد موت الملك ليفون الثاني سنة 616هـ/1219م، وتسنم ابنته الصغيرة ايزابيلا حكم البلاد[3]، فهاجم أرمينية الصغرى وطهر منطقة طوروس الغربية من الأرمن وتمت له السيطرة على أرمينية السفلى[4]، وبذلك دخلت أرمينية تحت سيطرة السلاجقة[5]، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال النقود التي سكت خلال هذه الفترة والتي يتضح من خلالها بان مملكة أرمينية الصغرى دخلت تحت تبعية السلاجقة، إذ عثر على قطع نقدية كتب على احد وجهيها اسم الملك هيثوم الأول، وعلى الوجه الثاني اسم السلطان السلجوقي كيقباذ[6]، فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على تبعية هيثوم ملك أرمينية الصغرى وخضوعه للسلطان السلجوقي، وفي عهد السلطان كيخسرو الثاني الذي حل محل والده المتوفى سنة 635هـ/1237م في

---

(1) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص 236 - 237.

(2) رايس، السلاجقة، ص 80.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج3 / ص 307؛ عاشور، الحركة الصليبية: ج2 / ص991.

(4) رايس، السلاجقة، ص 81.

(5) محمد فؤاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان (بيروت: 1965)، ص 52.

(6) المدور، الأرمن، ص 235؛

Cahen, claude, pre - ottoman Turkey (Jockson - London, 1968) , p. 133.

السلطنة. استمرت العلاقات العدائية مع الأرمن، حيث أغار السلاجقة على أرمينية الصغرى سنة 635هـ/1237م واحتلوا عدداً من المواقع ذات الأهمية الاقتصادية والعسكرية، وفرضوا عليها الجزية[1].

وبعد أن فشل الملك هيثوم الأول في رد غارات السلاجقة أذعن لدفع الجزية لهم واستمر حتى ظهور الغزو المغولي، فوجد فيهم الملك هيثوم القوة المنقذة له من السلاجقة فتحالف معهم[2]، مما أثار ذلك غضب السلطان كيكاوس الثاني، الذي تولى السلطة بعد وفاة والده كيخسرو الثاني سنة 643هـ/1245م فأغار على أرمينية الصغرى، والحق بهم خسائر جسيمة، مما أثار حقد الملك هيثوم الأول الذي أعلن تبعيته للمغول وسلمهم زوجة السلطان كيكاوس وابنته اللتان التجأتا إلى بلاطه، بعد احتلال المغول لقونية عاصمة السلاجقة[3].

فكان لهذه الفعلة أثرها في نفس السلطان كيكاوس الثاني، فاخذ يدعم المتمردين الأرمن ضد الملك هيثوم الأول، حيث قام السلطان السلجوقي بتقديم المساعدة لوزير الملك هيثوم، الذي يحمل نفس الاسم، وتمكن هذا الوزير في سنة 644هـ/1246م من السيطرة على عدد من القلاع والحصون بمساعدة السلاجقة[4].

أحدثت وفاة السلطان كيكاوس الثاني سنة 644هـ/1246م، ودخول أبنائه في تبعية المغول حلفاء الأرمن، تغيير في العلاقات الأرمنية - السلجوقية، إذ أصبح الاثنان من أتباع المغول يأتمران بأمرهما، مما أدى إلى تحسين العلاقة بينهما خدمة للمغول، وتوجت هذه العلاقة بزواج ابنة

---

(1) كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، ص 52؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج3 / ص 402.

(2) أبو الفرج غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري، تاريخ الدول السرياني، منشور في مجلة المشرق اللبنانية، العدد49، 1956، ص 746.

(3) Cahen, pre - ottoman Turkey, p. 271 ; Setton A History of the crusades: vol. II/ p.652.

(4) كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، ص 52.

هيثوم الأول من معين الدين البروانة[1] صاحب الروم، وهكذا انتهت العلاقات التي سبق أن كانت عدائية إلى ودية بتأثير من المغول[2].

••••• ••••• •••••

(1) معين الدين البروانة، هو سليمان بن محمد بن حسن الصاحب معين الدين كان في بداية الأمر معلما للصبيان ثم وصل بجده إلى منصب الوزارة وأطلق عليه لقب البروانة ومعناه في الأصل الحاجب وأطلق هذا اللقب بدولة السلاجقة على الوزير الأكبر وكان مدبرا لمملكة السلاجقة توفي في سنة 676هـ في واقعة المغول مع الظاهر بيبرس. ينظر: جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي (القاهرة: 1956): ج1 / ص 185.

(2) Cahen, pre - ottoman, Turkey, p. 271.

الفصل الرابع

الأرمن والقوى الإسلامية في بلاد الجزيرة

(491 – 573هـ/1097 – 1177م)

تعرضت الدولة العربية الإسلامية مع نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي لأشرس هجمة استعمارية، وهي الحروب الصليبية التي انطلقت من الغرب الأوربي مستهدفة احتلال أرضها ونهب خيراتها بل والاستيطان فيها في وقت كانت الدولة العربية الإسلامية تعيش في ظل ظروف أنهكت قواها، فأصبحت من الناحية السياسية تمثل مجموعة من الممالك والدويلات والاتابكيات [1] التي امتاز بعضها بالقوة بينما سادت البعض الآخر حالة من الضعف سواءً من الناحية السياسية أم العسكرية أم الاقتصادية بسبب حالة النزاع فيما بينهما من أجل التوسع كل على حساب الآخر من ناحية، والضغط الخارجي المتمثل بالغارات التي تشنها القوى المعادية من ناحية أخرى، وخاصة في مناطق أطراف الدولة العربية الإسلامية، مما أدى إلى انشغال حكامها بتلك الأمور [2].

لقد كانت بلاد الجزيرة إحدى تلك المناطق، إذ أنها عانت من الظروف

(1) الاتابكيات: ظهر نظام الاتابكيات في العهد السلجوقي، وخاصةً بعد انقضاء عصر السلاطين الأقوياء ومجيء سلاطين ضعاف، ونشوء الصراعات على السلطنة، مما أدى إلى انقسام الممتلكات السلجوقية بين أبناء البيت الحاكم، فكان يمنح كل أمير إقطاعاً على الرغم من صغر سنه، ويعين أحد قواد الجيش السلجوقي للإشراف على تربيته، وإدارة إقطاعياته، ويطلق على هذا القائد لقب اتابك ومعناها الأمير الوالد، وأصبح هؤلاء الاتابكة أصحاب نفوذ فعلي يغلب على نفوذ الأمراء السلاجقة في كثير من الأحيان ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى:ج 6/ص 3؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التأريخ والوثائق والآثار، (القاهرة: 1957م)، ص122 – 123.

(2) محمود سعيد عمران، المغول وأوربا (الإسكندرية: 1997م)، ص13.

سياسية صعبة، فسعت القوى المعادية، ولا سيما الممالك والإمارات المسيحية التي قامت في آسيا الصغرى وبلاد القوقاز كمملكة الأرمن والكرج من اجل التوسع على حسابها، إلا أن القوى الإسلامية فيها كالدانشمنديين والأراتقة والزنكيين تصدوا لتلك الأخطار، مما أدى إلى نشوء علاقات مع هاتين المملكتين.

أولاً: العلاقات الأرمنية - الدانشمندية (491 – 570هـ/ 1097 – 1174م)

نشأت الإمارة الدانشمندية في الركن الشمالي الشرقي من آسيا الصغرى، محاددة لقيليقيا، ويعد الأمير التركماني أحمد بن الدانشمند المؤسس الأول لهذه الإمارة، التي قامت بالتوسع على حساب الممتلكات البيزنطية في كبدوكيا واماسية وسيواس وقيصرية.

خضع الدانشمنديون منذ تأسيس إمارتهم للسلطان السلجوقي ملكشاه صحاب بلاد فارس، ولم يعترفوا مطلقاً بسيادة السلطان سليمان بن قتلمش صاحب سلاجقة الروم، فدخل أحمد بن الدانشمند وخليفته غازي كمشتكين (478 - 521هـ/ 1084 - 1126م) في صراع مع البيزنطيين، كما دخلوا في صراع مع السلاجقة، ولم يوحدوا جهودهم معاً إلّا عندما بدأ الخطر الصليبي يهددهم، فكان أول احتكاك لهم مع الصليبيين في سنة 491هـ/1097م، عندما لقوا الهزيمة على يد الصليبيين في معركة ضورليوم [1].

عمل الأرمن كل ما في وسعهم لأجل زج الصليبيين في الصراع مع الدانشمنديين، الذين بدءوا يشكلون خطراً مباشراً على ممتلكاتهم في قيليقيا[2]، فبعد وصول الصليبيين إلى مدينة قيصرية سنة 491هـ/ 1097م التي تركها الدانشمنديين وتوجهوا إلى حصار مدينة كومونا، التي كان معظم سكانها من الأرمن، وهي مدينة ذات رخاء وخيرات، إلّا أنهم اضطروا تحت ضغط الصليبيين إلى رفع الحصار عنها

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج 1/ص 112؛ عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 93.

(2) رنسيمان، المرجع نفسه، ج1/ ص 268.

ومغادرتها[1].

بدأت تهديدات غازي كمشتكين في سنة491هـ/1097م تزداد على إمارة ملطية الأرمنية، وعلى اثر ضعف السلاجقة، حاول غازي بن الدانشمند أن يبسط سيطرته على ملطية، واستمر في تهديدها طوال ثلاث سنوات من خلال غاراته المتكررة على أراضيها وتخريبها ونهبها، فاضطر صاحبها جبريل الأرمني اللجوء إلى الصليبيين طالباً العون منهم في سنة 494هـ/1100م [2]، فتوجه بوهيمند الأول أمير أنطاكيا إلى ملطية لإنجاد أميرها الأرمني ومساندته ضد الأمير غازي كمشتكين الدانشمندي صاحب سيواس، إلّا أن بوهيمند الأول وقع في أسر الأمير غازي كمشتكين، كما سار الأمير بلدوين لي بورج أمير الرها إلى ملطية، إلّا أن القوات الدانشمندية انسحبت عنها، فاستطاع بلدوين بذلك تخليص ملطية منهم، لذلك أعلن جبريل الأرمني تبعيته لبلدوين لي بورج أمير الرها[3]، وترك فيها الأخير حاميات صليبية، ولم يلبث الدانشمنديين أن عاودوا الهجوم ثانية على ملطية في سنة 495هـ/1101م، ولكن دون جدوى[4]. وفي سنة 497هـ/1103م وأثناء محاولات التفاوض لإطلاق سراح الأمير بوهيمند الأول، هاجم غازي كمشتكين ملطية للمرة الثالثة، وعلى الرغم من طلب أميرها الأرمني للنجدة الصليبية من الأمير بلدوين، إلّا أن الأخير تجاهل ذلك وصم أذنيه خشية أن تتعرقل مفاوضات إطلاق سراح الأمير بوهيمند صاحب إمارة أنطاكيا الصليبية [5].

لذلك سقطت مدينة ملطية بيد غازي كمشتكين، وأُسر الأمير جبريل الذي نُفّذ فيه حكم الإعدام، بعد أن طلب من حامية احد القلاع الأرمنية الاستسلام، إلّا أنها رفضت بسبب كرهها له بسبب سوء معاملته للسكان، وعلى الرغم من موقف

---

(1) Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 637.

(2) عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 178.

(3) الجنزوري، إمارة الرها، ص 240؛ عاشور، المرجع نفسه: ج1 / ص 281.

(4) عاشور، المرجع نفسه: ج1 / ص 388.

(5) الجنزوري، إمارة الرها، ص 240؛ رايس، السلاجقة، ص 94.

الصليبيين آنفا، فقد ساهم أغنياء الأرمن في دفع جزء كبير من الفدية المقررة لإطلاق سراح بوهيمند في سنة 497هـ/1103م[1].

بقيت مدينة ملطية تحت السيطرة الدانشمندية حتى انتزعها السلاجقة منهم سنة 570هـ/1174م، وبعدها لم يدخل الدانشمنديون في صراع مع أرمن قيليقيا حتى سنة 525هـ/1130م بسبب تخوفهم من السلاجقة الطامعين فيها[2]، إذ دخل الأمير كمشتكين الدانشمندي إلى قيليقيا في سنة 525هـ/1130م، كرد فعل لعمليات السطو والنهب التي قام بها الأمير تورروس الثاني، داخل حدود الإمارة الدانشمندية، فاصطدم كمشتكين بالقرب من المصيصة بقوات الأمير الصليبي بوهيمند الأول أمير أنطاكيا، الذي جاء لمعاضدة الأرمن، ودارت المعركة بين الطرفين، حيث قتل أمير أنطاكيا. وفي سنة 526هـ/1131م هاجم الأمير كمشتكين قيليقيا ثانية وتمكن من الاستيلاء على بعض القلاع والحصون، كما تم فرض الجزية على الأرمن في قيليقيا[3]. ولتحاشي الغارات الدانشمندية على الأراضي القيليقية، واضطر الأمير ليفون الأول إلى عقد معاهدة صلح وعدم اعتداء مع الأمير غازي كمشتكين، بسبب ضعف موقفه من جهة، ولكي يتخذ منه حليفاً، وسنداً للوقوف بوجه مطامع أمراء أنطاكيا الصليبيين في بلاده من جهة أخرى[4].

تمكن الأمير ليفون الأول من فرض سيطرته على أهم المدن القيليقية، المتمثلة بطرسوس والمصيصة وادنة في سنة 527هـ/1132م، وبدعم من الأمير الدانشمندي بموجب الصلح المعقود بين الطرفين[5].

ساد الهدوء العلاقات الأرمنية - الدانشمندية حتى سنة 530هـ/1135م، فعندما أسر ليفون الأول من قبل بوهيمند الثالث أمير أنطاكيا، لم يتحرك حلفاؤه

---

(1) رايس، السلاجقة، ص 94؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج2/ ص 67.

(2) عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 580.

(3) Setton, A History of the crusades: vol. II/ pp. 635 - 637.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج2 / ص 319.

(5) Canard " Cilicia " the Encyclopaedia: vol. II/ p. 37 ; Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 636.

الدانشمنديين لنجدته، وإنما استغلوا الفرصة وأغاروا بقيادة الأمير محمد الثاني على قيليقيا، ودمرت محصولاتها وذلك في سنة 532هـ/1137م[1]، كما استغل الأمير محمود الدانشمندي الظروف السيئة التي مرت بها قيليقيا، اثر الاجتياح البيزنطي لها في أواخر سنة 532هـ/1137م، فهاجم قيليقيا العليا سنة 533هـ/1138م وانتزع قلعة فاهاك، فضلاً عن مناطق جبلية أخرى[2]، مما جعله وجهاً لوجه مع البيزنطيين، الذين استردوا ما انتزعه من الأراضي القيليقية، فضلاً عن مساحات واسعة على حدود البحر الأسود وحتى إمارة طرابزون الواقعة على البحر الأسود [3].

وعلى الرغم من ذلك بقيت محاولات الدانشمنديين التوسعية قائمة في قيليقيا، في سنة 543هـ/1148م اشترك الأمير عين الدولة الدانشمندي مع السلطان نور الدين زنكي في مهاجمة المقاطعات التابعة للأمير الأرمني كوغ باسيل في كيسوم ورعبان، إلّا أنهم لم يتوغلوا في قيليقيا، بسبب المخاوف من الاصطدام مع البيزنطيين الذين كانوا هم الآخرين قد توغلوا في داخل قيليقيا[4].

إن الضعف الذي دب في جسم الإمارة الدانشمندية بعد سنة 543هـ/1148م، بسبب النزاعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة، فضلاً عن صراعهم المستمر مع البيزنطيين ودخولهم تحت حماية الإمبراطور البيزنطي، كما أن هجمات السلاجقة المتكررة على بلادهم إثرَ وفاة نور الدين زنكي، الحليف القوي لهم كل هذا أدى إلى انكفاء الإمارة الدانشمندية وإنهاء السلاجقة لها في سنة 570هـ/1174م[5].

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج2 / ص 221.

(2) المرجع نفسه: ج2 / ص 350؛
Setton, A History of the crusades, vol. II/ p.637.

(3) عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 580 - 581.

(4) Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 639.

(5) مورتمان " الدانشمندية " دائرة المعارف الإسلامية: مج 9 / ص 115.

ثانياً: العلاقات الأرمنية - الأرتقية (498 – 566هـ/1104 – 1171م)

ظهرت الإمارة الأرتقية في إقليم ديار بكر من بلاد الجزيرة الفراتية، وعاشت متزامنة مع نشاط الإمارة الأرمنية في قيليقيا، وارتبطت هاتان الإمارتان مع بعضهما بعلاقات متأرجحة بين الصراع تارةً ومحاولات المصالحة تارةً أخرى، كل ذلك بحكم الموقع الجغرافي والحدود المشتركة بين الطرفين، ولفهم العلاقة بشكل واضح لا بد من إعطاء نبذة مختصرة عن كيفية نشوء الإمارة الأرتقية.

ظهر الأراتقة كعائلة حاكمة في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، ويعد أرتق بن اكسب الجد الأكبر لها، لهذا استمدت تسميتها منه، لقد كان أرتق احد القادة التركمان التابعين للسلطان السلجوقي تتش، الذي اقطعه بيت المقدس وجعله نائباً عنه في سنة 479هـ/1086م[1].

استمر أرتق في حكم بيت المقدس حتى وفاته سنة 484هـ/1091م، فخلفه في نيابة بيت المقدس ولده سقمان، وتحت سيادة تتش وولده دقاق ملك بيت المقدس، إلّا أن هزيمة السلطان أمام الصليبيين في معركة ضورليوم سنة 490هـ/ 1097م، التي أدت إلى ضعف حكم السلاجقة وبالتالي ظهور الإمارات الشبه مستقلة التي لا تتعدى حدود مدينة أو قلعة، وأطلق عليها اسم الاتابكيات في بلاد الشام والجزيرة فكانت اتابكية بيت المقدس احدها[2].

استفاد الفاطميون في مصر من هذه الظروف، فأرسل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي (487 – 515 هـ/1094 – 1121م) وزير الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (495 – 524هـ/1101 – 1130م) حملة إلى بيت المقدس، وأرسل إلى سقمان (484

---

(1) ابن الأثير، الكامل: ج10 / ص 282؛ شافع ذيان الحريري، تنافس امراء المسلمين وتحالف بعضهم مع الصليبيين وأثره على الصراع الإسلامي الإفرنجي في بلاد الشام (بحث غير منشور مقدم إلى الندوة العلمية الأولى لقسم التاريخ جامعة اليرموك – الأردن في مناسبة مرور تسعمائة سنة على الغزو الإفرنجي لبلاد الشام، 1999/11/10)، ص 5.

(2) عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 116.

– 498هـ/ 1091 – 1104م) وايلغازي[1] أبناء أرتق بن اكسب يطلب منهم تسليم المدينة، فرفضا الاستسلام، ففرض الوزير الأفضل حصارا على المدينة ورماها بالمنجنيق حتى اضطر الأراتقة إلى مغادرة المدينة والتوجه إلى دمشق، ومنها توجهوا إلى الأقاليم الشمالية الشرقية المحيطة بديار بكر[2].

توفي سقمان بن أرتق سنة 498هـ/1104م بعد ان اخضع لسلطته كل من مدينة ماردين وحصن كيفا في ديار بكر[3]، وتولى السلطة بعده شقيقه ايلغازي الذي مد حدود إمارته على معظم بلاد الجزيرة وأرمينيا، بعد صراع طويل مع القوى الإسلامية والنصرانية المجاورة[4].

بعد أن أصبح للصليبيين كيانات في ديار الشام، بدأ أمراؤهم بنكران الجميل الذي قدمه لهم الأرمن من المؤن والإمدادات العسكرية، فاتبعوا سياسة العنف واستغلال السكان الأرمن المحليين في هذه الإمارات، ومما يعزز ذلك ما ذكره المؤرخ الأرمني متي الرهاوي، الذي كان معاصر للأحداث قائلا في وصف أمير الرها الصليبي بلدوين ((لقد اعتصر الرها واخذ الكثير من الأموال والذهب والفضة))[5] وسرعان ما أخذ الأرمن يتذمرون من خلال هذه المعاملة السيئة، ومحاولة فرض نظم جديدة عليهم لم يألفوها سابقاً، الأمر الذي دفعهم إلى تدبير

---

(1) ايلغازي: هو الأمير نجم الدين ايلغازي بن أرتق بن اكسب ويلقب بظهير الدين، وكان ذا شجاعة ورأي وهيبة وصيت، حارب الافرنجة اكثر من مرة، واخذ حلب من اولاد رضوان بن تتش، توفي في سنة 515هـ/1121م عن عمر ناهز اثنتين وثمانين سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء:ج 19/ص435؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر: خليل، الإمارات الأرتقية.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 135؛ الحريري، تنافس أمراء المسلمين وتحالف بعضهم مع الصليبيين، ص7.

(3) تستر ستين " سقمان " دائرة المعارف الإسلامية: مج 12 / ص 10.

(4) تاريخ الرهاوي المجهول: ج2 / ص 106.

(5) متي الرهاوي، حولية متي الرهاوي نقلا عن: محمود جبران، المصادر الأرمنية (بحث غير بمنشور مقدم إلى الندوة العلمية الأولى في قسم التاريخ – جامعة اليرموك، الأردن، بمناسبة مرور تسعمائة سنة على الغزو الفرنجي لبلاد الشام ومصر، 1999/11/10)، ص 11.

مؤامرة للتخلص من هذا الحاكم، فوجدوا في الأراتقة ضالتهم، خاصة وان ديار بكر اقرب إليهم من سائر القوى المعادية للصليبيين، فاتصلوا بهم سراً للحصول على مساعدة، إلّا أن بلدوين تمكن من إحباط هذه المؤامرة، لقيام أحد الأرمن بأخباره، وتمت معاقبة المتآمرين وأعدم معظم زعمائهم[1]، إلّا أن الأرمن اتصلوا ثانية بالأراتقة على إثر هزيمة الصليبيين في معركة حران سنة 497هـ/1103م، بسبب زيادة تذمرهم، ولكن إغارة إياز بن ايلغازي الأرتقي، الذي كان والده قد أرسله على رأس قوة عسكرية سنة 505هـ/1111م لقتال الصليبيين، فدفعته أطماعه وأهواؤه الشخصية إلى مهاجمة قوات أرمنية، كانت وراء توتر العلاقات فيما بين الطرفين[2]، الأمر الذي دفع الأرمن إلى عدم الثقة بالأراتقة والعودة إلى التحالف مع أبناء دينهم، حيث اشترك الأمير ليفون الأول مع الأمير روجر الأنطاكي أمير أنطاكيا في مهاجمة أعمال حلب سنة 512هـ/1118م [3]. فاستولوا على عدد من قلاعها، ورفضوا العرض الذي قدمه الأمير ايلغازي، والذي تضمن انسحابهم من هذه القلاع مقابل مبلغ من المال مستغلين الظروف الحرجة التي يمر بها ايلغازي والتي جعلته عاجزاً عن محاربتهم، حيث كان الأراتقة غير قادرين على توفير الأعلاف لدوابهم، بسبب قلة المحاصيل الزراعية من ناحية وزيادة النفقات على الحروب مع الصليبيين من ناحية أخرى [4].

واصل الأرمن تقديم الدعم للصليبيين، ففي سنة 514هـ/1120م ساهموا في التصدي لهجوم بلك بن بهرام الأرتقي ابن شقيق ايلغازي على إمارة الرها الصليبية[5]، وبهدف معاقبتهم توجه بلك بن بهرام إلى قلعة كركر فضيق على حاكمها ميخائيل الأرمني، مما دفعه إلى الاستنجاد بالصليبيين، فتوجه بلدوين ملك

(1) خليل، الإمارات الأرتقية، ص 216؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية:، ج 1/ص 297.

(2) خليل، المرجع نفسه، ص217، 225.

(3) Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 636.

(4) خليل، الإمارات الأرتقية، ص 237.

(5) المرجع نفسه، ص 276.

بيت المقدس لنجدته، إلّا أن محاولته باءت بالفشل بسبب وقوعه في الأسر مع قريبه جوسلين الأول أمير الرها، وعلى الرغم من كثرة جيوشهم مقارنة بالجيش الأرتقي فقد تم لبلك الاستيلاء على قلعة كركر وسميساط وقلعة خرتبرت وعندما وردت أخبار أسر كلاً من جوسلين وبلدوين في سنة 517هـ/1123م في خرتبرت عمل الأرمن على إنقاذهم وتم ذلك فعلاً، حيث اقتحم الأرمن القلعة، وأطلقوا سراح جوسلين الأول، ومن أهم الأسباب التي شجعتهم على تنفيذ هذه الخطة ان معظم سكان القلعة من الأرمن، وبعد إطلاق سراحه تم أخذ كل ما في القلعة[1]. وما أن علم بلك بن بهرام الأرتقي بذلك حتى قاد قوات ضخمة متقدماً إلى قلعة خرتبرت فنزل عليها وفتحها في 23 رجب سنة 517هـ/1123م، وقتل معظم من كان بها من الأرمن[2]، وفي سنة 531هـ/1136م أرسل الأمير ليفون الأول قافلة تجارية من سميساط إلى الرها، حاملة بضائع باهضة الثمن، يرافقها عدد كبير من الفرسان الصليبيين، فاعترض طريقها الأمير تمرتاش الأرتقي، وعندما حاولت عبور نهر الفرات، قرب قرية دافيال الواقعة على طريق الرها وبإمرته عشرة آلاف فارس، فتمكن من الإيقاع بهم وأسر عدد كبير منهم، وغنموا ثروة طائلة ودواب وبغال وخيل[3].

لم تلبث الإمارة الأرتقية ان تمزقت بعد وفاة ايلغازي الأرتقي سنة 517هـ/1123م، فاقتسم أفراد الأسرة هذه الممتلكات، فاخذ ابنه شمس الدولة سليمان مدينة ميفارقين (أي الجزء الشمالي من ديار بكر)، واخذ ابنه الثاني تمرتاش مدينة ماردين والجزء الجنوبي من ديار بكر، أما بلك بن بهرام وهو ابن شقيقه فقد احتفظ بقلعة خرتبرت من الشمال وحران من الجنوب، بينما استولى بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الأرتقي ابن شقيقه الآخر على حلب[4]، فكان من نتائج ذلك انفراط عقد

---

(1) تاريخ الرهاوي المجهول: ج2 / ص 113؛ سيغال، الرها، ص 290.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 210.

(3) تاريخ الرهاوي المجهول: ج2 / ص 137 - 138.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب: ج2 / ص 209؛ عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص 152.

الوحدة لهذه الإمارة التي دخل أمراؤها بعد انقسامهم في تبعية الإمارة الزنكية، التي أسسها عماد الدين الزنكي سنة 523هـ/1128م، فأخذت هذه الإمارة على عاتقها مهمة مقارعة القوى المجاورة من الأرمن والصليبيين، حيث اشترك أمراء الأراتقة إلى جانب نور الدين زنكي ابن عماد الدين في معركة حارم ضد القوات الأرمنية البيزنطية الصليبية المتحالفة في سنة 559هـ/1164م والتي أسفرت عن انتصار الزنكيين على القوات المتحالفة مع الأرمن[1]، كما انظم صاحب ماردين وحصن كيفا الأرتقيين إلى الحلف الذي عقد سنة 566هـ/1171م بين كل من نور الدين زنكي، والأمير مليح الأرمني شقيق الأمير توروس الثاني، حيث تمت مساعدة الأمير مليح من قبل الأراتقة والزنكيين معاً ضد أخيه توروس[2]، لأجل خلعه من حكم إمارة الأرمن في قيليقيا، وتعيين الأمير مليح، مما كان له الأثر الواضح على تحسن العلاقات الأرمنية - الأرتقية على عهد الأمير مليح، وبظهور الزنكيين بدأ دور الأراتقة يتلاشى في مقارعة كلاً من الأرمن والصليبيين والبيزنطيين.

ثالثاً: العلاقات الأرمنية - الزنكية (539 - 573هـ/1146 - 1177م)

عاشت الدولة العربية الإسلامية في الحقبة التي نشأت فيها الإمارة الأرمنية في قيليقيا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، حالة من الضعف والفوضى السياسية، بسبب تزايد الهجمات الصليبية الشرسة من ناحية، والتفكك الداخلي الناتج عن الأطماع الشخصية وتنافس الأمراء المسلمين فيما بينهم من اجل الاستحواذ على السلطة والتوسع كلاً على حساب الآخر، وفي هذه الفترة الحرجة، ظهرت قوة إسلامية جديدة ولدتها هذه الظروف، وأخذت على عاتقها أعباء مكافحة الأخطار الخارجية والعمل على توحيد الجبهة الإسلامية، ألا وهي الدولة الزنكية

---

(1) محمود سعيد عمران، التحالف البيزنطي الصليبي الأرمني، مجلة المؤرخ العربي، 1978: ع 8/ص92.

(2) Cahen, pre - ottoman, Turkey, p. 102.

التي أقامها عماد الدين زنكي وأرسى قواعدها ولده نور الدين زنكي.

يعتبر عماد الدين زنكي المؤسس الأول لهذه الإمارة، وكان والده آق سنقر احد المماليك الأتراك للسلطان السلجوقي ألب ارسلان وولده ملكشاه من بعده وكان احد أمرائه البارزين، بلغ من المنزلة أن منحه السلطان لقب قسيم الدولة، ثم عهد إليه بولاية حلب سنة 497هـ/1086م [1].

قتل آق سنقر في احد معاركه مع السلطان السلجوقي تتش في سنة 487هـ/1094م، وحرم ولده عماد الدين من أملاكه، فالتف حوله أتباع والده وأسندت إليه شحنكية البصرة في سنة 507هـ/1113م[2]، ثم تولى شحنكية العراق سنة 520هـ/1126م، فتمكن من تحقيق نجاح كبير في إخضاع القوى المحلية، ثم عين في سنة 523هـ/1128م من قبل السلطان السلجوقي أميراً على الموصل وبلاد الشام والجزيرة[3]، وانصرف إلى مقارعة الصليبيين وتوسيع إمارته وبعد مقتله سنة 541هـ/1146م خلفه ولده نور الدين محمود الذي واصل إكمال مهام والده في ترسيخ سيطرته على بلاد الموصل والشام والجزيرة ومقارعة الصليبيين، فأصبحت إمارته من أهم القوى السياسية التي هددت الأرمن في تلك الحقبة، ويرجع ذلك إلى عامل رئيس، إلّا وهو التآخم الحدودي بين كلٍ من الإمارة الزنكية والإمارة الأرمنية في قيليقيا بعد التوسع الذي شهدته إمارة الزنكيين، مما أدى إلى نشوء علاقات متباينة بين كلا الجانبين يسودها الصراع تارةً والمصالحة والتحالف تارةً أخرى، حسب ما تقتضيه الظروف، وإن كانت هذه العلاقات منذ بدايتها وحتى تحرير الرها سنة 539 هـ/1144م علاقات محدودة وطفيفة، حيث يرجع السبب في ذلك إلى انشغال الزنكيين عن الأرمن في إخضاع القوى المحلية والصليبية، ثم أخذت العلاقة تتضح بعد ذلك، لا سيما في عهد نور الدين زنكي الذي وسع ممتلكاته واخضع القوى

---

(1) أبو شامة، الروضتين: ج1 / ص 65 - 66؛ ابن واصل، مفرج الكروب: ج1 / ص 11.

(2) عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص 16.

(3) خليل، عماد الدين زنكي (الموصل: 1985)، ص 137.

المحلية لنفوذه، ولم يبق أمامه سوى القوى الصليبية التي لعبت دوراً في تأجيج الصراع بين الأرمن والزنكيين.

بدأت أولى العلاقات بين الإمارتين عندما أحس الأرمن بتعاظم نفوذ الزنكيين وزيادة خطرهم، الذي هدد قيليقيا في أعقاب تحرير عماد الدين زنكي للرها سنة 539هـ/1144م، والتي شكل الأرمن غالبية سكانها[1]، فكان رد الفعل الأرمني معادياً للإمارة الزنكية من خلال الدور الذي لعبه الأساقفة الأرمن، الذين ذهبوا من قيليقيا إلى روما بعد فترة وجيزة من سقوط الرها بيد زنكي لغرض استشارة البابا ديوجين الثالث في أمر توحيد كنيستي روما وأرمينيا من ناحية، ولإيقاف البابا على أحوال الشرق من ناحية أخرى، لغرض دفعه إلى توجيه حملة صليبية ثانية ضد عماد الدين زنكي [2]، كما دبر الأرمن من سكان الرها في سنة 540هـ/1140م مؤامرة، استهدفت إعادة السيطرة على الرها بعدما استدعوا جوسلين الثاني، إلّا أن زنكي سرعان ما تمكن من كشفها وقبض على مدبرها من أهل الرها، عندما كان في طريقه إلى دمشق[3].

وبعد وفاة عماد الدين زنكي سنة 541هـ/1146م تولى ولده نور الدين السلطة، فكان أول عمل قام به أن استولى مع الأمير الدانشمندي عين الدولة غازي على ممتلكات الأمير الأرمني كوغ باسيل في كيسوم ورعبان سنة 543هـ/1148م[4].

وفي سنة 545هـ/1159م فتح عدد من الحصون والمعاقل التابعة للأمير توروس الثاني[5] وذلك لتأمين حدود بلاده الشمالية من الصليبيين، وعلى ما يبدو أن تحركات نور الدين هذه استثارة الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، الذي كان يعتبر بان قيليقيا تقع ضمن مناطق نفوذه ولوضع حد لها توجه بقواته لمهاجمة

(1) عاشور، الحركة الصليبية: ج1 / ص 472.

(2) العريني، الشرق الأوسط: ج2 / ص 262 – 263.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 282؛ خليل، عماد الدين زنكي، ص 157.

(4) Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 639.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 354.

المعاقل الإسلامية فيها وعلى ما يبدو أن تلك الحملة كانت فاشلة بدليل موافقته على التنازل عن كيسوم ومرعش وبهسني ورعبان لنور الدين زنكي وذلك في سنة 555هـ/1160م[1].

استمرت هجمات نور الدين زنكي على مناطق نفوذ الأرمن والبيزنطيين والصليبيين، لا سيما في سنوات 556هـ/1161م و558هـ/1163م و559هـ/1164م، مما دفع هذه القوى إلى تشكيل تحالف أرمني صليبي بيزنطي لمواجهة تهديداته[2]، حيث اشترك كل من بوهيمند الثالث أمير أنطاكيا وريموند الثالث كونت طرابلس، وكولمان الحاكم البيزنطي لقيليقيا، والأمير توروس الثاني أمير قيليقيا ومعه ستة آلاف أرمني في مساندة صاحب حارم الصليبي، الذي حاصره نور الدين في رمضان سنة 559هـ/1164م[3]، وبلغ عدد الجند المتحالفين ثلاثين ألفاً، تاركين خلافاتهم جانباً، لأجل القضاء على نور الدين زنكي، لكونه الخطر الذي يهددهم جميعاً [4].

لقد وجد نور الدين نفسه في مواجهة قوات أرمنية بيزنطية صليبية ضخمة يقودها أربعة أمراء، فخطط لنصب كمين لهم، حيث قام بالانسحاب إلى قرية (عم) بالقرب من حارم لاستدراج هذه القوات والإيقاع بها، بعد إبعادهم عن مناطق نفوذهم.

نصح الأمير توروس الثاني الأمراء المتحالفين بعدم القتال حتى يصل الملك عموري ملك بيت المقدس الصليبي، لكي ينضم إليهم ويتقووا به، إلّا أنهم لم يأخذوا بنصيحته، لذلك هرب الأمير توروس الثاني وشقيقه مليح قبل وقوع

(1) أبو شامة، الروضتين: ج1/ ص 122؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا (القاهرة: 1973): ج3 / ص 36؛ العريني، الشرق الأوسط: ج1 / ص 618؛
Setton, A History of the crusades, vol. II/ p. 640.

(2) ابن الأثير، الباهر في التاريخ، ص 116؛ أبو بدر شاكر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية (بيروت: 1972)، ص 288.

(3) محمد بن راغب بن محمود ابن هاشم الطباخ، أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء (حلب: 1924): ج2 / ص 47؛ محمد كرد علي، خطط الشام (دمشق: 1926): ج2 / ص 18.

(4) William of Tyre, A History of Deeds Donse Beyond the sea (New York, 1943): vol. /p. 307.

المعركة[1].

وعلى ما يبدو أن هرب توروس وأخيه جاء لإدراكهما بحسن إعداد نور الدين زنكي للمعركة، وافتقار القوات المتحالفة للاستعداد، فضلاً عن انقسام القادة المتحالفين على أنفسهم على الرغم من كثرة قواتهم.

دارت المعركة على سهل ارتاح في شهر رمضان سنة 559هـ/ 1164م، فكان النصر من نصيب القوات الزنكية، حيث أشارت المصادر العربية الإسلامية إلى أن عدد قتلى القوات المتحالفة بلغ ما يقرب من (10000) رجل[2]. أما الأسرى فكان عددهم كبير والدليل على ذلك أن جميع قادتهم وقعوا في الأسر باستثناء الأمير توروس الثاني وشقيقه مليح، اللذان هربا قبل وقوع المعركة، بعدما تبين لهم عدم جدوى مقاومة القوات الزنكية[3].

أما الأسرى الأرمن فيروي المؤرخ ميخائيل السرياني، أن الأمير توروس الثاني أرسل إلى نور الدين بعض الهدايا الثمينة مقابل إطلاق سراحهم، إلّا أن نور الدين رفض هذا العرض الأمر الذي دفع الأمير توروس إلى مهاجمة مرعش التابعة لسلطة نور الدين، وقام بنهبها، واسر كل من كان بها من المسلمين، وعند ذلك تحول نور الدين إلى المصالحة وبودل الأسرى من كلا الطرفين [4]، والذي يمكن أن نلاحظه أن الخلاف دب بين الأمير توروس وأخيه بعد فرارهما من المعركة، ودار صراع اضطر فيه الأمير مليح إلى الهرب من توروس إلى حلب، والاتصال بنور الدين زنكي وتحسين علاقته به [5]، ويقال انه اعتنق الإسلام[6].

---

(1) عمران، التحالف البيزنطي الصليبي الأرمني، ص 93.

(2) ينظر: أبو شامة، الروضتين: ج1 / ص 134؛ ابن العديم، زبدة الحلب: ج2 / ص 320.

(3) William of Tyre, A History of Deeds Donse Beyond the sea: vol. II/ p. 307.

(4) Michel le Syrien Lachronigue, p. 359.

نقلا عن: عمران، التحالف البيزنطي الصليبي الأرمني، ص 97.

(5) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 214؛

Setton, A History of the crusades: vol. II/ p. 642.

(6) Elisseff, Nikite, Nur Ad - Din (Damas, 1967): vol. II/ p. 656.

توفي الأمير توروس الثاني سنة 564هـ/1169م، وما أن علم شقيقه الأمير مليح الذي كان في بلاط نور الدين زنكي بخبر وفاته حتى توجه إلى قيليقيا مباشرة، وهو يحتد غضباً، لأن شقيقه الأمير توروس الثاني قبل وفاته جعل ولده روبين الثالث أميراً تحت وصاية ابن خالته توماس بايل السفير الأرمني في إمارة أنطاكيا الصليبية، فأثار ذلك حفيظته لأنه كان يطمع بالوصاية على العرش في قيليقيا[1].

دخل مليح إلى قيليقيا سنة 565هـ/1169م، يدعمه نور الدين زنكي بفرقة من الجند، وبعد حرب مع الأمراء الأرمن الموالين للأمير روبين الثالث، تمكن مليح من طرد منافسيه وأعدائه، ثم اجتمع بعد ذلك بأمراء الأرمن وأعيانهم، واتفقوا على تعيين الأمير مليح على رأس السلطة[2]، كما استنجد الأمير مليح بالسلطان نور الدين زنكي بعد توليه السلطة في سنة 565هـ/1169م، عندما اجتمع عليه الأمراء والملوك الصليبيين، الذين عارضوا توليتهم، لذلك توجه نور الدين إلى حصن الكرك الصليبي، لأجل تقليل الضغط على الأمير مليح من خلال صرفهم عنه وانشغالهم بنجدة الكرك، وفي السنة ذاتها عاد جنود نور الدين الذين مكنوا مليح من السلطة محملين بالهدايا الثمينة، التي وهبها لهم[3].

استمرت فترة حكم مليح خمس سنوات، عمل خلالها على كسب ود ورضا السلطان نور الدين، فبدأ بحرب الأمراء الصليبيين، حيث كان يضمر لهم الحقد بسبب مساندتهم لمنافسيه، فكان يبيع الأسرى الصليبيين كرقيق للمسلمين[4]، وهكذا استفاد نور الدين زنكي من الأمير مليح كمساند له في مقارعة الصليبيين والبيزنطيين، كما حدث في سنة 568هـ/1175م، عندما توجه الأمير مليح لقتال

---

(1) المدور، الأرمن، ص 230؛
Elisseff, Nur Ad - Din: vol. II/ p. 656.

(2) William of Tyre, A History of Deeds Donse Beyond the sea: vol. II/ p. 307.

(3) قوام الدين الفتح بن علي البنداري، سنا البرق الشامي، تحقيق: رمضان ششن (بيروت: 1970): ج1 / ص 90؛
Stevenson, The Cruseders in the east, p. 201.

(4) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 215؛
Elisseff, Nur Ad - Din: vol. II/ p. 656.

الحاميات البيزنطية في العام ذاته، فحقق عليها نصراً عظيماً بمساندة السلطان نور الدين[1] وقتل واسر عدد كبير منهم، وكان من بين الأسرى ثلاثة من مقدمي الجيش البيزنطي، فأرسلهم إلى السلطان نور الدين زنكي، الذي سيرهم بدوره إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله[2]، فخلع نور الدين على الأمير مليح مقابل ذلك واخبره، وسير الرسل إلى بغداد ليعلم الخليفة بأمر مليح ويقول له ((انه من غلماني، وهو كير الروم واقطعه سيس)) منذ ذلك الوقت تولى مليح نيابة قيليقيا عن نور الدين زنكي[3].

كما شارك الأمير مليح مع نور الدين في حروبه ضد الصليبيين في سنة 565هـ/1169م واستولى على مرعش وبهسني وكيسوم ورعبان وصالح على قلعة الروم[4] مقابل خمسين ألف دينار جزية ثم عاد نور الدين إلى حلب[5]، وبوفاة نور الدين سنة 569هـ/1173م فقد الأمير مليح حليفاً وسنداً قوياً له[6] ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال حادثة قتل الأمير مليح في السنة ذاتها على أيدي أعدائه ومنافسيه، حيث لم يبق من يخشوه بعد وفاة السلطان نور الدين زنكي.

---

(1) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر الجزري، حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان (بيروت، 1988)، ص 276؛ المفضل بن أبي الفضائل ابن العميد، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد (باريس: 1932): ج2/ ص 231.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب: ج1 / ص 235 أبو الفضائل محمد بن علي الحموي، التأريخ المنصوري، باعتناء: بطرس غريازنيونج (موسكو: 1963م)، ص 180؛
Hussey , Cambridge Medieval History: vol.IV/p. 235.

(3) البنداري، سنا البرق: ج1 / ص 231؛ أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت: د.ت): ج4 / ص 225.

(4) قلعة الروم: وهي قلعة قديمة أطلق عليها فيما بعد اسم قلعة المسلمين وهي من جند قنسرين في البر الجنوبي الغربي من نهر الفرات من الجهة الشمالية الغربية من حلب إلى الغرب من البيرة وهي من القلاع الحصينة ومعظم سكانها من الأرمن. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ج8 / ص 124.

(5) البنداري، سنا البرق: ج1 / ص 137 – 138؛ أبو شامة، الروضتين، ج1 / ص 215، ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية في السيرة النورية (بيروت: 1971)، ص 221.

(6) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج2: ص 675.

وفي أعقاب مقتل الأمير مليح تولى السلطة ابن شقيقه الذي لقب باسم روبين الثالث(571 - 582هـ/ 1175 - 1186م) الذي عقد حلفاً مع الأمراء الصليبيين، وهاجم معهم حصن حارم بما يقارب ثلاثين ألف فارس، واستولوا عليها في سنة 573هـ/1177م، إلّا أن سوء معاملتهم لسكانها كان سبباً في تسليم الحصن إلى السلطان الصالح بن نور الدين زنكي في السنة ذاتها[1]، الذي سبق وأن كان الحصن تابعاً له قبل مهاجمة الأمير روبين الثالث للحصن، وبهذه الحادثة تتوقف المصادر التي بين أيدينا عن ذكر أية معلومات عن العلاقة بين الأرمن والزنكيين، سوى انضمام السلطان الصالح بن نور الدين للتحالف الذي أقامه صلاح الدين الأيوبي سنة 576هـ/1180م ضد القوى المعادية [2].

(1) تاريخ الرهاوي المجهول: ج2 / ص 218 - 219.

(2) العريني، الشرق الأوسط، ج1، ص 778 - 779؛ ناصر عبد الرزاق الملا جاسم، صلاح الدين الأيوبي في الدراسات الإستشراقية الانجليزية والأمريكية (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب - جامعة الموصل، 1992)، ص 180.


القسم الثاني
دراسات في تاريخ الكرج

الفصل الأول
مملكة الكرج في بلاد القوقاز

التمهيد: موطن الكرج وأصلهم ونشأتهم

أولا: جغرافية بلاد الكرج

1 - الموقع والتسمية

2 - الناحية الطوبغرافية

ثانياً: أصل الكرج

ثالثاً: مدخل إلى التأريخ السياسي لبلاد الكرج

(19 - 272هـ/640 - 885م)

رابعاً: مملكة الكرج والاعتراف العباسي والبيزنطي بها

(132 - 481هـ/749 - 1088م)

أولاً: جغرافية بلاد الكرج

يعد الموقع الجغرافي من أهم العوامل التي تساعد على فهم التأريخ قياساً بالعوامل الأخرى كالسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وكذلك فهو من اقل العوامل عرضة للتغيير نسبة إلى العوامل السالفة الذكر[1] وذلك نتيجة للدور الذي يؤديه في تحديد مصير أي دولة أولاً، وأهميته في فهم تطورات التأريخ السياسي

(1) لم تحدد المصادر التأريخية القديمة حدود بلاد الكرج أو تضاريسها بشكل دقيق، وان ذكرت شيئاً عنها فإنه يكون بشكل عام، وذلك لعدم وجود الحدود كما في وقتنا الحاضر، إذ إن حدود كل دولة من الدول آنذاك كانت تتسع كلما كانت قوية، وتنكمش في حالة ضعفها، وبما أن العامل الجغرافي من العوامل الثابتة التي لا تتغير، وان تغيرت فإن تغييرها يكون قليلاً وواضحاً، لذا فقد اعتمدنا على المراجع الجغرافية والتأريخية الحديثة، من أجل تقديم صورة واضحة عن طبيعة هذه المملكة.

لأي دولة ثانياً، لأن هيئة الأرض وتضاريسها كالجبال والسهول والمحيطات والبحار والأنهار تبقى ثابتة في أماكنها دون أن تتغير [1].

ولفهم الدور الكبير الذي أدته بلاد الكرج في مجريات الأحداث التي مرت بها منطقة القوقاز بشكل خاص [2]، وآسيا بشكل عام، وما بلغته من قوة في حقبة العصور الوسطى لا بد من التطرق إلى موقعها الجغرافي.

أ - الموقع والتسمية

تقع بلاد الكرج في الجزء الشمالي الغربي من آسيا في منطقة القوقاز[3] عند الحد الفاصل بين غرب آسيا وشرق أوربا، أي أنها تقع في الجهة المقابلة لأوربا [4]، وتشمل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز الكبير[5] وتتمتع بحدود طبيعية منيعة - جبال عالية - . من الشمال والجنوب، وتطل على البحر الأسود من الجهة الغربية، إلا أن حدودها الشرقية مفتوحة ومنها تتعرض للغزوات الخارجية على مر القرون [6]، أما موقعها في الوقت الحاضر[7]، فيحدها كل من تركيا وأرمينيا من الجهة الجنوبية [8] وأذربيجان من الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية، أما

---

(1) زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا الغربية وموقف القوى الدولية منها (بيروت: 1996م)، ص35.

(2) بلاد القوقاز: هي المنطقة التي تمتد من شمال غربي البحر الأسود إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين ويبلغ طول هذا الامتداد 1200كم وتبلغ مساحتها 324,200كم2. للمزيد من التفاصيل عن منطقة بلاد القوقاز. ينظر: محمود شاكر، التأريخ الإسلامي (بيروت: 1994م): ج21 / ص198 - 224.

(3) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي (موسكو: 1984م)، ص175.
V. Minorsky , Art:" Al Kurdj " , In Enc. Of Islam (London: 1981):Vol.5/ p.486.

(4) مسعود الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية (بيروت: د/م): ج8/ ص17.

(5) C. Toumanoff, Armenia And Georgia, In Cam. Med. His.(Cambridge: 1953): Vol.4/ p.594.

(6) ميخائيلوف، في ربوع الاتحاد السوفيتي (موسكو: 1974)، ص334.

(7) لكي يتسنى للقارئ الكريم معرفة الموقع التأريخي لبلاد كرج، فقد ارتأينا تحديد موقعها الحالي.

(8) سرويف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص254؛ جي. بي. كول، جغرافية الاتحاد السوفيتي،

من الجهة الشمالية الشرقية فيحدها كل من داغستان والشيشان بينما تشترك حدودها الشمالية مع أوستيا الشمالية وبلغارية وبلاد الشركس [1] وتبلغ مساحتها 70,000 كم2 [2].

أما بلاد الكرج التاريخية فقد مثلت أحد أقسام أرمينيا الكبرى منذ نشوئها في عصر ما قبل الميلاد وحتى حقبة الفتح العربي الإسلامي لأرمينيا، حيث أصبحت بلاد الكرج أحد كورها الأربع على وفق التقسيم الإداري الجديد الذي اتبعته الدولة العربية الإسلامية [3] وأطلق عليها تسمية كورة جرزان [4] إلا أنها أخذت تثبت حدودها، وتتجه نحو الاستقلال في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وضمت منطقة أبخازية[5] الواقعة على الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأسود إلى دائرة نفوذها لتصبح جزءاً من بلاد الكرج، وبذلك تحدد

ترجمة: وفيق الخشاب (الموصل: 1991م)، ص302.

(1) الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية:ج 8/ص17.

(2) شاكر، التأريخ الإسلامي: ج 21 / ص 219.

(3) طه، فتح العرب لأرمينية (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد: 1970م)، ص82؛ سيد، أرمينية، ص28.

(4) جرزان: ((جرزان بالضم ثم السكون وزاي وألف ونون، اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس، حكى ابن الكلبي عن الشرقي بن قطامي جرزان وأران، وهما مما يلي أبواب أرمينية، وأران هي أرض برذعة مما يلي الديلم، وهما ابنا كسلوخيم بن لنطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام، وقال علي بن الحسين في مروجه ثم يلي مملكة الأبخاز ملك الجرزية قلت أنا وهم الكرج، فيما أحسب فعرب فقيل جرز)). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج2/ ص125.

(5) أبخازية: ((أبخاز بالفتح ثم السكون والخاء معجمة وألف وزاي اسم ناحية من جبل القبق (القوقاز) المتصل بباب الأبواب، وهي جبال صعبة المسلك وعرة لا مجال للخيل فيها، تجاور بلاد اللان يسكنها أمة من النصارى يقال لهم الكرج، وفيها تجمعوا ونزلوا إلى نواحي تفليس، فصرفوا المسلمين عنها، وملكوها في سنة 515 هـ/1121م، ولم يزالوا متملكين لها، وأبخاز معاقلهم حتى قصدهم خوارزم شاه جلال الدين في سنة 612 هـ/1215م، فأوقع بهم واستنقذ تفليس من أيديهم، وهربت ملكتهم إلى أبخاز، ولم يبقَ من بيت الملك غيرها)). ينظر: المصدر نفسه: مج 1/ ص64.

موقعها الجغرافي بشكل واضح، فكان يحدها من الجهة الجنوبية كل من أرمينيا الكبرى وأذربيجان، بينما يحدها من الجهة الشمالية والشمالية الغربية جبال القوقاز[1]، كما تتاخم حدودها الشرقية مع الإمارة الشدادية وبلاد شروان الواقعتين على الساحل الغربي لبحر قزوين، وتطل حدودها الغربية على البحر الأسود.[2]

أما فيما يتعلق بالتسميات التي أطلقت على بلاد الكرج، فقد تعددت على وفق أسبابها فأطلق عليها اسم (إيبيريا) في عصر ما قبل الميلاد نسبة إلى اللغة التي تكلم بها السكان وهي اللغة الايبيرية القوقازية التي ما تزال أصولها غير معروفة [3] وهي تسمية ذات أصل يوناني [4].

كما سميت بـ (كرجستان) وهي كلمة تعني بلاد القوة والقدرة في اللغة الفارسية[5] وفي الوقت ذاته أطلق عليها المؤرخون المسلمون اسم (جرزان) أو (بلاد الجرزية) نسبة إلى تسمية الكرج الذين عرفوا آنذاك بالجرزية [6]، في حين أطلق قسم آخر منهم عليها تسمية (الكرج) [7] أو (بلاد الكرج) نسبة إلى تسمية الكرج التي تطلق عليهم، كما هو الحال بالنسبة إلى تسمية بلاد الأرمن وبلاد الروم

(1) صبرة، دراسات في تأريخ الحروب الصليبية، ص424.

(2) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب (القاهرة: 1973م)، ص16.

(3) الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية:ج 8 /ص 17.

(4) جمال رشيد أحمد، لقاء الكرد واللان في بلاد الباب وشروان، مطبعة التربية (اربيل: 2001)، ص36.

(5) عزت، تأريخ القوقاز، ص28؛ صبرة، دراسات في تأريخ الحروب الصليبية، ص424؛ الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية:ج8/ص17؛ زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية، ص35.

(6) أبو الحسن بن علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، باعتناء: عبد الله الصاوي (القاهرة: 1938م)، ص55؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر:ج 4 /ص18؛ عماد الدين أبو العباس إسماعيل بن عباس الملك الأشرف، العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر عبد المنعم (بيروت: 1975م): ج1/ ص 292، 426؛ طه، فتح العرب لأرمينيا، ص82؛ سيد، أرمينية، ص28.

(7) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون العرب (القاهرة: 1943 م):ج 14 / ص337.

وبلاد فارس[1] ، فذكر ياقوت الحموي ذلك ((لهم ولاية تنسب إليهم وملك ولغة)) [2] وأكّد كل من القلقشندي وابن تغري بردي من خلال روايتهما عن الكرج في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ((قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ولهم ولاية تنسب إليهم))[3].

كما سميت (بلاد الأبخاز) نسبة إلى اسم قوم الأبخاز الذين يقطنون الجهة الشمالية الشرقية المعروفة باسم أبخازية، وبما أنها أصبحت في فترات لاحقة جزءاً من بلاد الكرج، لذلك أطلق عليها تلك التسمية بل تلقب ملوكهم بملوك الكرج أو الملوك الأبخازيين [4]. كما أطلقت المصادر العربية الإسلامية عليها أسم (بلاد تفليس) [5]، نسبة إلى عاصمتها المشهورة تفليس التي أدت دوراً كبيراً في الأحداث التأريخية، وخاصة في حقبة التأريخ الإسلامي، إذ أصبحت إمارة عربية مستقلة تحت حكم بني الساج، وعندما تغلب الكرج عليها في بداية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، أطلق المصادر الإسلامية على حكامها لقب (متملك تفليس)، كما هو الحال في تسمية متملك سيس التي أطلقت على ملوك الأرمن[6] ومتملك قبرص على ملوك قبرص[7]، ومهما تعددت التسميات إلا أن المقصود بها جميعا بلاد الكرج التي سميت بذلك الاسم تيمناً بالقديس (جورجي المنور – سان جورج) الذي كان له دورٌ كبيرٌ في نشر الديانة النصرانية في كل من بلاد الكرج وأرمينيا الكبرى [8].

---

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: 1966م): ج3 /ص215؛ الفارقي، التأريخ الفارقي، ص42، 97 – 98؛ ابن الأثير، الكامل: ج10/ص 39 – 40، 65، 567 – 568، 614 – 615.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج4 / ص446.

(3) القلقشندي، صُبح الأعشى: ج8/ص27؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة:ج 12/ص219.

(4) كي لسترينج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: كوركيس عواد (بغداد: 1954م)، ص216.

(5) المسعودي، مروج الذهب:ج 3/ص215.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى: ج8/ص29.

(7) ابن فضل الله، التعريف، ص56؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ج8/ص 32.

(8) خوريناتـي، تأريخ الأرمن، ص205؛ Lang , Armenia, P. 158.

ب - الناحية الطوبغرافية

تميزت طوبغرافية بلاد الكرج بتنوعها، ويعد هذا أمراً مهماً في كثير من الجوانب سواء السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي، إذ ضمّت أشكالاً مختلفة من التضاريس كالجبال والسهول والأنهار، إذ يخترق بلاد الكرج عدد من السلاسل الجبلية [1] وتنبع منها مجموعة من الأنهار مع روافدها الصغيرة [2]، فضلاً عن مساحات واسعة من السهول ذات التربة الخصبة، وسنتناولها كما هو مؤشر تِباعاً:

1 - الجبال

انبثقت الجبال في بلاد الكرج التأريخية منذ العصر الجيولوجي غير البعيد قياسياً، وقد رافقت ظهور المنحنيات الجبلية إنقذافات بركانية شديدة، فإن بعض القمم في جبال القوقاز عبارة عن براكين خامدة ومن بينها جبل البروس (البروز)، وكازبيك وغيرها من الجبال في بلاد الكرج وامتازت تلك الجبال بكونها حدوداً طبيعية لبلاد الكرج لصعوبة اختراقها من جهتها الجنوبية، ويرجع ذلك إلى قلة الممرات وحتى الممرات الموجودة فيها فقد امتازت بالوعورة والضيق، فضلاً عن طول مسافتها لأكثر من أربعة فراسخ[3] في بعض الأماكن ومن أشهر الجبال في بلاد الكرج هي:

أ - سلسلة جبال القوقاز الكبير[4]

تقطع سلسلة جبال القوقاز الكبير منطقة ما وراء القوقاز بشدة، وتحد بلاد

---

(1) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص285؛ سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(2) سروييف، المرجع نفسه، ص285، 262.

(3) الفرسخ = 3 أميال، والميل = 1,650 متر ينظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي (عمان: 1970م)، ص95، وبذلك يكون طول الممر 4 فرسخ × 3 ميل = 12 ميلاً.

(4) كما أطلق عليها سلسلة جبال البرز نسبة إلى أعلى قمة فيها. ينظر: لسترنج، بلدان الخلافة، ص216، هامش (19).

الكرج من الجهة الشمالية[1]، فضلاً عن هيمنتها على جميع بلاد القوقاز، وتحاذيه من الجهة الشمالية سلسلة جانبية تتفرع عنه وتسير بصورة موازية له.

وتمتد سلسلة جبال القوقاز الكبير على طول المسافة الواقعة بين البحرين الأسود وقزوين وبطول ألف كيلو متر، ويقمم شاهقة مكللة بالثلوج ومنحدرات مغطاة بالغابات الكثيفة [2]، وعلى الرغم من أن السلسلة الجانبية اقصر غير أنها أعلى ارتفاعاً فعليها توجد قمم البروس (البروز) (5642م) [3] وكازبيك (4047م) إذ تفوق جبال القوقاز الكبير وجبال سيبيريا و(الشرق الأوسط) من حيث الارتفاع وكأنها جدار مسنن، وتنحدر أقصى نهاياته الغربية بقوة، وتتسم بطابع الجبال المتوسطة العلو وان مرتفعات الجبال الشمالية مائلة برفق، أما الجنوبية فتكون عمودية الشكل[4].

ب – سلسلة جبال القوقاز الصغير

وهي سلسلة من الجبال البركانية التي تمتد في جنوب بلاد الكرج، وتشكل حدوداً طبيعية[5]، وتتحد بجبال القوقاز الكبير بواسطة سلسلة جبال سورام غير الشاهقة، هذا فضلاً عن عدد من الجبال الأخرى مثل سلسلة جبال سورام وجبل اراغاتس (الاغيوز) وسلسلة جبال ليخسكي[6].

2 – السهول

تمتد السهول في بلاد الكرج على مساحات واسعة، وخاصة على ضفاف الأنهار التي تخترقها عادة، وتمتاز تلك السهول بنوعية تربتها الخصبة ذات اللون

---

(1) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(2) ميخائيلوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص330؛ بينما يشير عزت إلى أن طوله يصل إلى ألف ومائتي كيلومتر وللمزيد من التفاصيل. ينظر: تأريخ القوقاز، ص11.

(3) أحمد، لقاء الكرد واللان، ص33.

(4) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص253 – 254.

(5) Lang , Armenia , P. 28.

(6) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص258؛ سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

موقعها الجغرافي بشكل واضح، فكان يحدها من الجهة الجنوبية كل من أرمينيا الكبرى وأذربيجان، بينما يحدها من الجهة الشمالية والشمالية الغربية جبال القوقاز[1]، كما تتاخم حدودها الشرقية مع الإمارة الشدادية وبلاد شروان الواقعتين على الساحل الغربي لبحر قزوين، وتطل حدودها الغربية على البحر الأسود.[2]

أما فيما يتعلق بالتسميات التي أطلقت على بلاد الكرج، فقد تعددت على وفق أسبابها فأطلق عليها اسم (إيبيريا) في عصر ما قبل الميلاد نسبة إلى اللغة التي تكلم بها السكان وهي اللغة الايبيرية القوقازية التي ما تزال أصولها غير معروفة [3] وهي تسمية ذات أصل يوناني [4].

كما سميت بـ (كرجستان) وهي كلمة تعني بلاد القوة والقدرة في اللغة الفارسية[5] وفي الوقت ذاته أطلق عليها المؤرخون المسلمون اسم (جرزان) أو (بلاد الجرزية) نسبة إلى تسمية الكرج الذين عرفوا آنذاك بالجرزية [6]، في حين أطلق قسم آخر منهم عليها تسمية (الكرج) [7] أو (بلاد الكرج) نسبة إلى تسمية الكرج التي تطلق عليهم، كما هو الحال بالنسبة إلى تسمية بلاد الأرمن وبلاد الروم

---

(1) صبرة، دراسات في تأريخ الحروب الصليبية، ص424.

(2) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب (القاهرة: 1973م)، ص16.

(3) الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية:ج 8 /ص 17.

(4) جمال رشيد أحمد، لقاء الكرد واللان في بلاد الباب وشروان، مطبعة التربية (اربيل: 2001)، ص36.

(5) عزت، تأريخ القوقاز، ص28؛ صبرة، دراسات في تأريخ الحروب الصليبية، ص424؛ الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية:ج8/ص17؛ زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية، ص35.

(6) أبو الحسن بن علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، باعتناء: عبد الله الصاوي (القاهرة: 1938م)، ص55؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر:ج 4 /ص18؛ عماد الدين أبو العباس إسماعيل بن عباس الملك الأشرف، العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر عبد المنعم (بيروت: 1975م): ج1/ ص 292، 426، طه، فتح العرب لأرمينيا، ص82؛ سيد، أرمينية، ص28.

(7) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون العرب (القاهرة: 1943 م):ج 14 / ص337.

لأي دولة ثانياً، لأن هيئة الأرض وتضاريسها كالجبال والسهول والمحيطات والبحار والأنهار تبقى ثابتة في أماكنها دون أن تتغير [1].

ولفهم الدور الكبير الذي أدته بلاد الكرج في مجريات الأحداث التي مرت بها منطقة القوقاز بشكل خاص [2]، وآسيا بشكل عام، وما بلغته من قوة في حقبة العصور الوسطى لا بد من التطرق إلى موقعها الجغرافي.

أ - الموقع والتسمية

تقع بلاد الكرج في الجزء الشمالي الغربي من آسيا في منطقة القوقاز[3] عند الحد الفاصل بين غرب آسيا وشرق أوربا، أي أنها تقع في الجهة المقابلة لأوربا [4]، وتشمل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز الكبير[5] وتتمتع بحدود طبيعية منيعة - جبال عالية - . من الشمال والجنوب، وتطل على البحر الأسود من الجهة الغربية، إلا أن حدودها الشرقية مفتوحة ومنها تتعرض للغزوات الخارجية على مر القرون [6]، أما موقعها في الوقت الحاضر[7]، فيحدها كل من تركيا وأرمينيا من الجهة الجنوبية [8] وأذربيجان من الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية، أما

---

(1) زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا الغربية وموقف القوى الدولية منها (بيروت: 1996م)، ص35.

(2) بلاد القوقاز: هي المنطقة التي تمتد من شمال غربي البحر الأسود إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين ويبلغ طول هذا الامتداد 1200كم وتبلغ مساحتها 324,200كم2. للمزيد من التفاصيل عن منطقة بلاد القوقاز. ينظر: محمود شاكر، التأريخ الإسلامي (بيروت: 1994م): ج21 / ص198 - 224.

(3) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي (موسكو: 1984م)، ص175.
V. Minorsky , Art:" Al Kurdj " , In Enc. Of Islam (London: 1981):Vol.5/ p.486.

(4) مسعود الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية (بيروت: د/م): ج8/ ص17.

(5) C. Toumanoff, Armenia And Georgia, In Cam. Med. His.(Cambridge: 1953): Vol.4/ p.594.

(6) ميخائيلوف، في ربوع الاتحاد السوفيتي (موسكو: 1974)، ص334.

(7) لكي يتسنى للقارئ الكريم معرفة الموقع التأريخي لبلاد كرج، فقد ارتأينا تحديد موقعها الحالي.

(8) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص254؛ جي. بي. كول، جغرافية الاتحاد السوفيتي، -

الأحمر، مّما ساعد على ممارسة الجزء الأكبر من سكانها الزراعة، وخاصةً زراعة البساتين، فضلاً عن اشتهارها بأخشاب الاكالبتوس والخيزران التي تزرع في مناطق المستنقعات، كما تزرع فيها أنواع الحمضيات وبساتين الفاكهة، وأجود أنواع العنب وخاصة في حوض نهر الازان (منطقة كاخثيا) [1]، فضلاً عن غناها بالموارد المعدنية على اختلاف أنواعها كالفضة والنحاس والرصاص، إذ اهتم الخلفاء والسلاطين والأمراء في استخراج تلك الخامات [2]، وان من ابرز سهول بلاد الكرج ما يأتي:

أ - سهل كولخيدا

يقع سهل كولخيدا (كولخيس القديمة)[3] إلى الغرب من سلسلة جبال سورام، وهو ذو شكل مثلث، ويمتد على ضفاف نهر ريفون، وتحده سلسلة جبال القوقاز الكبير من الجهة الشمالية الشرقية، وجبال القوقاز الصغير من الجانب الجنوبي، بينما ينفتح على ساحل البحر الأسود من جهته الغربية، ويمتاز بتربته الطينية الخصبة المتكونة من الرواسب النهرية[4].

ب - سهل كورا(أراكس)

أما سهل كورا (أراكس) فهو محاط أيضا بسفوح جبال القوقازين الكبير والصغير إلا انه على العكس من سهل كولخيدا، فهو ينفتح على ساحل بحر قزوين الذي يمتاز بتربته الخصبة، مّما أدى إلى اشتهاره بكثرة الإنتاج الزراعي، فساعد بالتالي على ثراء سكانه وغناهم [5]، فضلاً عن سهول أخرى تمتد على شكل أشرطة ضيقة على ضفاف الأنهار الأخرى وروافدها كسهل لينكوران وغيره [6].

---

(1) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(2) حسن إبراهيم حسن، تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (القاهرة: 1967 م): ج4/ص391.

(3) أحمد، لقاء الكرد واللان، ص34.

(4) عزت، تأريخ القوقاز، ص32.

(5) المرجع نفسه، ص32.

(6) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص258.

3 - الأنهار

أما بالنسبة للأنهار فإن العديد منها عبارة عن سيول وتيارات جارفة تنحدر من المنطقة الجبلية، وهي ذات تغذية (جليدية - ثلجية)، إذ إنها تحصل على المياه وبصورة رئيسة من الثلوج والقطع الجليدية الذائبة في الجبال، كما أن سرعة سيرها في المجاري العليا عظيمة جداً، وتسيل بضجة داوية جارفة معها الأحجار الصغيرة والكبيرة، ومكونة مساقط مائية عديدة وأودية عميقة، وعند خروجها من الأودية إلى السهول، فإنها تسير بشكل بطيء، ونظراً لكونها أنهار جبلية فهي غير صالحة للملاحة، باستثناء بعض الأجزاء الواقعة في المنطقة السهلية[1]، وتنقسم أنهار بلاد الكرج من حيث اتجاه سيرها نحو الشرق لتصب في بحر قزوين ونحو الغرب لتصب في البحر الأسود[2]. وعلى ما يبدو أن ذلك يرجع إلى وجود هضبة قليلة الارتفاع في وسط بلاد الكرج، فالمياه المنحدرة من جبال القوقاز يتجه قسمٌ منها نحو الغرب عبر الأراضي الكرجية لتصب في البحر الأسود، أما القسم الآخر فينحدر نحو الشرق ليصب في بحر قزوين، بما فيها نهر كورا وروافده وكذلك إنهار هضبة أرمينيا، ففي نقاط التقاء السفحين يجري نهر كورا إلى الشرق ونهر ريفون إلى الغرب [3].

ومن أهم الأنهار في بلاد الكرج ما يأتي:

أ - نهر كورا :

يعُد نهر كورا من أطول الأنهار في بلاد الكرج، وينبع من سفوح جبال القوقاز الكبير الواقع شمال بلاد الكرج، وتقع على جانبيه العديد من المدن وعدد كبير من القرى، فضلاً عن ذلك شمل حوضه مساحات واسعة من السهول الصالحة للزراعة، ويمر في مدينة تفليس عاصمة بلاد الكرج ويشطرها إلى نصفين، ويتابع

---

(1) سروويف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص261 - 262.

(2) Polo , The Travels , P.19.

(3) شاكر، التأريخ الإسلامي:ج 21/ص219، موريس دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة: معروف خزنة دار (بيروت: 1981م)، ص281.

سيره باتجاه الشرق لينضم إلى نهر الرس الذي يجري في الأراضي الأرمنية، وقد أشار المسعودي إلى ذلك قائلاً: ((ونهر الكر الذي يجتاز ببلاد تفليس ومدينة صغدبيل من أرض جرزان، ثم بلاد برذعة ويجتمع مع نهر الرس الذي هو نهر ورثان فيصبان جميعاً فيه))[1] ، ليشكل أحد روافده ويتابع جريانه عبر الأراضي الأذربيجانية ليصب في بحر قزوين[2].

ب - نهر ريفون

تقع منابع ذلك النهر في سفوح جبال القوقاز الكبير أيضاً، وهو أحد أعظم الأنهار التي تجري عبر الأراضي الكرجية باتجاه الغرب ليصب في البحر الأسود، إلا أنه غير صالح للملاحة، فضلاً عن وجود عدد من الأنهار الصغيرة كنهر بتيرك ونهر ايورا وايـنغوري والازان والانجور وغيره[3]، إذ تؤدي تلك الأنهار دوراً كبيراً في ري مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في بلاد الكرج.

4 - المناخ

يعد المناخ الذي تميزت فيه بلاد الكرج من أهم العوامل الطبيعية التي أدّت دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ممّا اثر بالتالي في الحياة السياسية التي عاشتها خلال الحقب التأريخية المختلفة.

أما عن طبيعة المناخ في بلاد الكرج، فإنها تمثلت بكثرة الأمطار بنسبة عالية، ممّا ساعد على قيام الزراعة فيها بشكل جيد، كما أن إطلالها على سواحل البحر الأسود المحمية بجبال القوقاز العالية من الرياح الشمالية الباردة، فقد جعل ذلك شتاءها دافئاً رطباً وإن متوسط درجة الحرارة على السواحل في شهر كانون الثاني

(1) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص55.

(2) زهر الدين، سياسة الدولة العثمانية، ص36؛
Minorsky , Studies In Caucasian History (London:1953) , P. 164.

(3) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص258، 262؛ سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، 176؛ بارتولد، ، مادة " ابخاز"، دائرة المعارف الإسلامية:ج 1/ص20.

تبلغ سبع درجات مئوية فوق الصفر[1]، ولما كانت سفوح جبال القوقاز الكبير معرضة للشمس التي تكون قليلة السطوع في بلاد روسيا، فقد ساعد ذلك على قيام أفضل المشافي[2] ، فضلاً عن وجود الكثير من الينابيع الحارة ذات المياه المعدنية التي تتسم بخواص صحية، فقد افتتحت عليها مصحات للعلاج، حيث يذهب إليها عدد كبير من السكان للعلاج واستعادة الصحة[3].

كما أن التنوع المناخي لبلاد الكرج من ناحية، ووجود الأنهار من ناحية أخرى التي تمتد على مساحات واسعة منها، فضلاً عن جودة تربتها الحمراء، أدى إلى تنوع الإنتاج الزراعي [4] وأشار الاصطخري إلى ذلك من خلال قوله: ((وهي خصبة جداً كثيرة الفواكه والزروع)) [5].

5 - أهم المدن

مما هو واضح أن المنطقة - موضوع الدراسة - كان لها موقع طبيعي واقتصادي مهم مما جعل لها مكانة تأريخية، فضلاً عن نشوء عدة مراكز حضارية فيها تحولت على مر السنين إلى عواصم ومدن كبيرة وكثيرة، إذ كانت مركزاً لتجمع السكان، فيها فضلاً عن كونها مراكز اقتصادية، ومن بين أهم المدن التأريخية التي ظهرت في بلاد الكرج أذكرُ ما يأتي:

أ- مدينة تفليس

بنيت مدينة تفليس قبل ألف وخمس مائة سنة ونيف على يد كسرى انو شروان ملك الفرس، وحصنها بعدَهُ إسحق بن إسماعيل مولى بني أُمية، وسكانها

---

(1) ميخائيلوف، في ربوع الاتحاد السوفيتي، ص335سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(2) شاكر، التأريخ الإسلامي:ج 21/ص219.

(3) سرويف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص 259.

(4) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(5) إبراهيم بن محمد الفاسي، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر (القاهرة: 1961م)، ص 110.

خليط من المسلمين والنصارى [1]واغلب بنائها من خشب الصنوبر[2]، وتعد الحصون والمجادل القديمة شاهداً على تأريخها العريق، وتتميز بموقعها الوسطي في أراضي منطقة القوقاز، وعلى بعد ستين ميلاً عن ساحل البحر الأسود، ونظراً لذلك الموقع الهام اتخذ منها الملوك الكرج عاصمة لهم[3]، ومما يدلل على دورها الكبير وأهميتها بين المدن الأخرى في بلاد الكرج، ما ذكره القلقشندي أثناء حديثه عن مملكة الكرج قائلاً: ((لها ملك دائم وأُمها مدينة تفليس)) [4] كما أكدّ ابنُ واصل مسألة حصانة المدينة وأهمية موقعها من خلال قوله: ((وهي مدينة عظيمة من أحسن البلاد وأحصنها وامنعها وكانت قبل الإسلام أعظم الثغور ضرراً على مجاوريها من الفرس)) [5].

تقع مدينة تفليس في أعالي وادي نهر كورا[6] إلى الغرب من مدينة باب الأبواب ويشطرها ذلك النهر إلى نصفين، وتحيط بها أراض سهلية واسعة[7] كما أشار الاصطخري إلى أنها مدينة ذات أراض خصبة كثيرة الزروع والفواكه، وفيها حمامات طبيعية حارة بنيت على منابع المياه المعدنية الحارة ((وبها حمامات مثل حمامات طبرية ماؤها ساخن من غير نار))[8].

ب - مدينة سوخوم

تقع مدينة سوخوم في الجهة الشمالية الشرقية من بلاد الأبخاز، الواقعة في

---

(1) أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التأريخ (بيروت: د/ت)، ص274.

(2) مؤرخ مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق (ليدن: 1869م): ج3/ص548.

(3) فهمي، طرق التجارة، ص16؛ Polo ,The Traveles,P19.

(4) صبح الأعشى: ج8 /ص 127.

(5) مفرج الكروب:ج 4 /ص 181.

(6) لسترنج، بلدان الخلافة، ص216.

(7) أبو القاسم النصيبي ابن حوقل، صورة الأرض (بيروت: 1934م)، ص292؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج 2/ج36.

(8) المسالك والممالك، ص110؛ سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص259؛ دانتسيغ، الرحالة الروس، ص279.

غرب بلاد الكرج، وعلى ساحل البحر الأسود، وهي مدينة موغلة في القدم[1]، وتميزت بمكانة مرموقة بين مدن إقليم الأبخاز، وأصبحت عاصمةً لحكامه، وقد أكدَّ ذلك القلقشندي من خلال قوله: ((أما في التثقيف فقد ذكر إن للكرج ملكين [أحدهما] صاحب تفليس المقدم ذكره، وذكر انه كان اسمه إذ ذاك "داوْد " والثاني الحاكم (بسوخوم) (وابخاس) وهما مدينتان على جانب بحر القرم من الجانب الجنوبي)) [2].

ج – مدينة كاختيا

إن مدينة كاختيا من المدن المهمة، التي أدّت دوراً كبيراً في التأريخ السياسي لبلاد الكرج خاصة وإنها كانت مقراً لإحدى الأسر الإقطاعية الكرجية القديمة، واستفحل أمر تلك الأسرة في حكم المدينة والمناطق المحيطة بها، وعرفوا بملوك كاختيا، وتقع على الجهة اليسرى لنهر كورا، لذا فهي تمتلك أراضي زراعية خصبة، ممّا مكّن سكانها على العمل في مجال الزراعة [3].

د – مدينة باطوم

تُعدُّ باطوم المرفأ البحري الأول في بلاد الكرج، وتقع على الجهة الغربية منها، وعلى الساحل الشرقي للبحـر الأسود، ومن خلالـه كانت التجارة في بلاد الكرج تتجـه نحو أوروبا[4]، فضلاً عن ذلك فقد احتوت بلاد الكرج على مدن أخرى أدّت دوراً كبيراً في تأريخها السياسي والحضاري كمدينة ميتسخت عاصمة الأسرة الإقطاعية الاوربلية، التي سعت من اجل الاستحواذ على الحكم في بلاد الكرج، وكذلك الحال بالنسبة لكل من مدينة بوتي وبورجومي وكوتايسي ومنجرزيليا وامغيشيا وخرثيليا، كما أنها ضمت العديد من القلاع الحصينة كقلعة كندمان

(1) أحمد، لقاء الكرد واللان، ص34.

(2) صبح الأعشى: ج8/ ص28 – 29.

(3) Minorsky ,Art:"Al Kurdj " , In Enc. Of Islam: vol. 5/ p.487; Studies In Caucasian History , P. 28.

(4) سولوفييوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص177؛ شاكر، التأريخ الإسلامي: مج21/ص220؛ بارتولد، مادة " أبخاز"، دائرة المعارف الإسلامية: مج1 / ص21.

ويرذعة وجنزة وشمكور وخونان وكردمان وقلعة الرستاق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر كورا بالقرب من تفليس العاصمة [1].

ثانياً: أصل الكرج

يُعد الكرج من الشعوب الآرية الهندو - أوربية، كالفرس والهنود والأرمن التي نزحت من موطنها الأصلي في أواسط آسيا في حدود الألف الرابع قبل الميلاد[2] على شكل موجتين كبيرتين نحو الجزء الغربي من آسيا، واستقرت بها ردحاً من الزمن [3] ثم انقسمت تلك الشعوب إلى مجموعتين، دخلت الأولى إلى بلاد الهند وفارس والقوقاز وأرمينيا وبعض مناطق آسيا الصغرى، وأطلق على ما استقر منها في بلاد القوقاز وبلاد الكرج وأذربيجان تسمية الشعوب القوقازية[4].

أما المجموعة الثانية فقد انتقلت إلى أوربا، وعاشت فيها أجيالاً عديدة، ثم تفرقت شيعاً وجماعات، وما لبث أن اتجه البعض منها كالأرمن إلى آسيا الصغرى، ومنها وصل إلى أرمينيا الكبرى واستقر بها، وذلك في حدود الألف السابع قبل الميلاد[5].

وبناءاً على انقسام الشعوب الآرية الهندو - أوربية في هجرتها إلى قسمين، الأول استقر في آسيا، بينما اتجه القسم الآخر إلى أوربا، لذا فقد أطلق على المجموعة الأولى تسمية الشعوب الهندو - أوربية الآسيوية، وعلى المجموعة الثانية تسمية الشعوب الهندو - أوربية الأوربية[6]، وبذلك يكون الكرج ضمن المجموعة الأولى.

---

(1) Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 164.

(2) المدور، الأرمن، ص30؛ سيد، أرمينية، ص30.

(3) طه، الحياة العامة في أرمينيا، ص49 – 50؛ حميدي، مملكة أرمينية الصغرى، ص13.

(4) المدور، الأرمن، ص96.

(5) للمزيد من التفاصيل عن هذه الجماعات ينظر: سيد، أرمينية، ص30؛ طه، الحياة العامة، ص 50؛ ارسلان، أرمينية الأمة والدولة، ص24؛ حميدي، مملكة أرمينية الصغرى، ص13 – 14.

(6) المدور، الأرمن، ص96.

اتفق المؤرخون العرب المسلمون والأرمن على آرية الشعب الكرجي من خلال الروايات التي ذكروها سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، فقد أشار القلقشندي أثناء حديثه عن أصل الكرج بأنهم والكرد من أصل واحد، ويقال لهم ((في المسلمين الكرد وفي الكفار الكرج، وحينئذ فيكون الكرد والكرج نسبا واحدا)) [1].

إن هذه الرواية تدفعنا إلى اعتقاد واحد، وهو أن انتشار الإسلام في بلاد القوقاز، ووصوله إلى بلاد الكرج، ودخول قسم من الكرج فيه، وبقاء القسم الآخر على نصرانيته، فأطلقت تسمية الكرد على من دخل الإسلام، بينما تسمية الكرج تطلق على النصارى منهم وإذ ما صحت رواية القلقشندي، واحتمالية ما تطرقنا إليه، فإننا نخلص بأنه أراد القول بأن الكرد والكرج من عرق واحد أي ما يعرف اليوم بالشعوب الآرية الهندو - أوربية.

كما أكدت بعض المصادر العربية الإسلامية، فضلاً عن المصادر الأرمنية على أن الكرج والأرمن أبناء عمومة ((الكرج إخوة الأرمن))[2]، ويرتبطون بصلة نسب واحدة إذ إن كل منهم يدعي انتماءهُ إلى يافث بن نوح عليه السلام [3].

وإذا ما صح ذلك الادعاء الذي نشك في صحته، وبعد عرض هذه الروايات وتمحيصها، فإننا نخلص من خلالها إلى أن ارتباط الكرج بصلات نسب مع أي قوم من الأقوام الآرية الهندو - أوربية، مهما اختلفت سواء الأكراد أم الأرمن هو بحد ذاته يُعدُّ دليل إثبات على آرية الشعب الكرجي.

ويبدو ذلك وبشكل جلي، إذ ما تتبعنا نتائج الأبحاث في علم اللغات، فإننا نلحظ أن الشعب الكرجي مرتبطٌ مع الشعوب الهندو - أوربية، ضمن فصيلة لغوية

---

(1) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري (بيروت: 1982م)، ص31؛ صبح الأعشى:ج 8 /ص 27.

(2) ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون:ج 5/ص127.

(3) خورنياتسي، تأريخ الأرمن، ص45؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج2 /ص 36؛ عزت، تأريخ القوقاز، ص28؛ Nrsessian , The Armenians , P. 21 ; F. Richard , Area and Book For The Republic Of Turkey (Washington:1973) , P. 105.

واحدة[1] وهي اللغة الأيبيرية القوقازية القديمة التي تشكل أحد فروع اللغة الهندو – أوربية [2]، وتعد تلك اللغة من اللغات القديمة التي تمتاز بترابطها، وعنها تفرعت اللغات القوقازية الأخرى كاللغة الكرجية والأرمنية والأبخازية وغيرها من اللغات الأخرى[3]، فضلاً عن أن اختراع الأبجدية الكرجية والأرمنية، كان على يد القديس ميسروب الأرمني في بداية القرن الرابع الميلادي[4]، ومن خلال ذلك يمكننا القول، بأن هذا الارتباط بحد ذاته يعد دليلاً آخر على إثبات آرية الشعب الكرجي، فضلاً عن الأدلة التي أشرنا إليها آنفاً.

كما أشار كل من النويري وابن العبري إلى أن الكرج هم الخزر ((خرج الكرج وهم الخزر إلى بلاد الإسلام)) [5].

إن هذه الرواية بعيدة عن الصحة، وذلك لأن معظم الخزر كانوا وثنيين، بينما كان الكرج من النصارى، ويبدو ان التقارب الجغرافي أو وجود طائفة من الخزر على أطراف بلاد الكرج، جعل أولئك المؤرخين يخلطون في رواياتهم بين الخزر والكرج.

أما الاحتمال الآخر فقد يكون الكرج أحد الشعوب المتفرعة عن الخزر، وذلك ما أشار إليه ابن خلدون قائلاً: ((الخزر هم التركمان الا أن يكون الكرج من بعض شعوبهم فيمكن)) [6] وعلى الرغم من ذكره لهذه الرواية إلا أنه لم يجزم فيها على أن الكرج هم الخزر إذ إنهُ يختتمها بكلمة ((فيمكن)) [7] وهي كلمة تحتمل

---

(1) الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية: ج8/ص17؛
Richard , Area Hand Book , P.105.

(2) أحمد، لقاء الكرد واللان، ص36.

(3) P. Brezzi , History Of Mankind Cultural And Scientific Development (London:1965):Vol. 2/ p. 57 ; Minorsky , Art:" Al Kurdj " , In Enc. Of Islam:Vol. 5 / p.486.

(4) خوريناتسي، تأريخ الأرمن، ص264 – 265.

(5) النويري، نهاية الارب: ج14/ص337؛ ابن العبري، تأريخ مختصر الدول، ص201.

(6) ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: ج 5/ص49.

(7) المصدر نفسه:ج 5/ص49.

الصواب والخطأ.

أما فيما يتعلق بتسمية الشعب الكرجي، فقد أطلق المؤرخون عليه عدة تسميات منها قارقول نسبة إلى قارتلوس[1] بن يافث بن نوح ﷺ الذي يدعي الكرج بأنهم من أحفاده، وانه رأس الأمة الكرجية التي استقرت في حوض نهر الكر والرس منذ حوالي سنة 210ق. م،[2] وان صح ذلك الادعاء الذي نشك في صحته، فإنه يعد دليلاً آخر على آرية الشعب الكرجي، وانهم من الشعوب الهندو - أوربية التي قطنت بلاد القوقاز.

في حين أطلق البعض الآخر تسمية الشعب الكارتفيلي أو كارتفيل أو كارتفيلكا[3] وعلى الرغم من اختلاف اللفظ، إلا أنهم جميعاً عنوا به قارقول الذي يعد الاسم القومي للكرج قياساً بالأسماء القومية للشعوب الأخرى.

كما أطلق عليهم تسمية الأبخاز، ولقب ملوكهم بالملوك الأبخازيين نسبة إلى أحد مناطق نفوذهم التي تقع في غربي بلاد الكرج[4] ، فضلاً عن تسميتهم بالايبيريين نسبة إلى أسم أيبيريا الذي أطلق على بلاد الكرج في عصور ما قبل الميلاد [5]، إلا أن تسمية الكرج هي التي طغت على جميع التسميات في حقبة العصور الوسطى وان اشتقاق كلمة الكرج جاء من أمرين هما:

---

(1) على الرغم من إشارة المراجع الحديثة إلى هذه التسمية، إلا أننا لم نتمكن من معرفة أصلها، وبعد البحث والتمحيص في المصادر التأريخية القديمة المتعلقة بالموضوع، لم نجد سوى اشارتين يوردهما كل من ياقوت الحموي والقلقشندي، وهما يختلفان في الاسم، فياقوت الحموي ينسبهم إلى يافث بن نوح، ينظر: معجم البلدان: مج 4/ص446، أما القلقشندي، فينسبهم إلى اشوذ أو اشوط بن سام بن نوح ينظر: قلائد الجمان، ص31.

(2) عزت، تأريخ القوقاز، ص28.

(3) دانتسيغ، الرحالة الروس، ص300؛ أحمد، لقاء الكرد واللان، ص 36؛
Lang , Armenia , p. 28 ; Minorsky , Art: " Al Kurdj " , In Enc. Of Islam:Vol. 5 / p.286.

(4) Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 19.

(5) الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية:ج 8/ص17؛
Toumanoff , Armenia And Georgia, In Cam. Med. His.: vol 4/ p. 621.

أ - إن ما تتمتع به بلاد الكرج من قوة وحصانة، فقد أطلق عليها اسم (كرجستان) أي بلاد القوة والقدرة.

ب - سميت بلادهم بكرجستان نسبة إلى القديس (جورجي سانت جورج [كريكور المنور]) والشهير عند النصارى بالصلاح والتقوى، وكان له دورٌ كبيرٌ في انتشار النصرانية في كل من بلاد الكرج وأرمينيا، لذا فقد حظي عندهم باحترام ومكانة كبيرة[1].

أما فيما يتعلق بديانة الشعب الكرجي، فقد كانوا وثنيين بحكم حركة التأثير والتأثر فقد تأثروا بالمعتقدات الدينية السائدة في المنطقة آنذاك، حيث عبدوا الآلهة الآشورية كبرشام ونناني، والفارسية كمثرا واهورمزدا ونينا [2] فضلاً عن الآلة التي عبدها الأرمن كالشمس والقمر وآلهة خاصة بهم، وبمجرد ظهور الديانة النصرانية اعتنقها الكرج [3] ولم يتخلوا عنها على الرغم من التنكيل والاضطهاد الفارسي بهم، من اجل حملهم على ترك ديانتهم النصرانية [4]، وكان اعتناقهم لها متزامناً مع اعتناق أبناء عمومتهم الأرمن على يد القديس جورجي - كريكور المنور - إذ أعلنوا الديانة النصرانية ديناً رسمياً لهم في سنة 330م، ويرجع ذلك إلى كون قسم كبير من بلادهم يقع تحت سيطرة مملكة أرمينيا الكبرى [5]، فضلاً عن التجاور الجغرافي بين كل من بلاد الكرج ومملكة أرمينيا، فكانت نصرانيتهم على المذهب الأرثوذكسي كاليونان واليعاقبة والنساطرة في بداية الأمر [6]، إلا أن الأرمن لم يلبثوا في عام 527م أن اعتنقوا مذهب الوحدانية الذي ظهر في القرن الخامس الميلادي،

---

(1) عزت، تأريخ القوقاز، ص27 - 29؛ صبرة، دراسات في تأريخ الحروب الصليبية، ص224.

(2) Lang , Armenia , Pp. 126 _ 127.

(3) المدور، الأرمن، ص270.

(4) رنيه كروسيه، الحروب الصليبية صراع الشرق مع الغرب، ترجمة: أحمد ايبش (بيروت: 2002م)، ص 24 - 25.

(5) أميل، تأريخ أرمينيا، ص18؛
Minorsky , Art: " Al Kurdj" , In Enc. Islam:Vol. 5 / p.287.

(6) رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية، : ج2 /ص140؛ زهر الدين، الأرمن، ص28.

وحُرِّمَ في مجمع خلقيدونة عام 451م، والقائل بوجود طبيعة واحدة للسيد المسيح، وهذا ما وضع أرمينيا في خلاف جذري مع الأرثوذكسية اليونانية [1] التي بقيت المذهب الرسمي لمملكة الكرج [2].

ثالثاً: الأسر الإقطاعية المتنفذة في بلاد الكرج [3]

لقد عامل الخلفاء المسلمون بلاد القوقاز معاملة مناطق التخوم والثغور الأخرى في الدولة العربية الإسلامية، إذ اتبع فيها نظام السلطتين سلطة الوالي المسلم وسلطة الأمراء المحليين، إذ نلمس ذلك من خلال روايات بعض المؤرخين [4] عن تمردات أولئك الحكام ضد الولاة المسلمين وشكلوا باستمرار أسراً حاكمة تتوارث الحكم، وتشكل نوعاً من السلطات الإقطاعية التي تمتلك مع الكنيسة التي يرأسها (الجاثليق) [5] معظم الأراضي [6] ونتيجة لذلك برز في بلاد الكرج العديد من الأسر الإقطاعية، ومن أبرز تلك الأسر التي ارتبطت بالحياة السياسية آنذاك، هي الأسرة البقراطية والأسرة الأوربلية [7]، لذلك سنقتصر على تقديم نبذة موجزة لكل من الأسرتين:

---

(1) كروسيه، الحروب الصليبية، ص 25.

(2) رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية:ج 2 /ص140؛ زهر الدين، الأرمن، ص28.

(3) لم تقدم مصادر التأريخ الإسلامي إلا إشارات قليلة عن الأسر الكرجية الإقطاعية والصراع الذي نشب فيما بينها وأصول هذه الأسر، لذا فقد اعتمدنا على المراجع الحديثة سواءاً العربية منها أم الأجنبية التي اعتمدت في الوقت ذاته على مصادر بيزنطية وكرجية وأرمنية قديمة لم نتمكن من الوصول إليها لعدم توفرها في مكتباتنا.

(4) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي (بيروت: د/ت):ج 2 / ص 481، 489؛ الطبري، تأريخ الرسل: ج9 / ص187 - 188.

(5) الجاثليق: لقب يطلق على رئيس الكنيسة الأرمنية والكرجية، وواحدة من الدرجات الكهنوتية المسيحية، ويعد أعلى مركز ديني وروحي لدى الكرج والأرمن، وأول من انتخب لتولي هذا المنصب كريكور المنور. للمزيد من التفاصيل ينظر: المدور، الأرمن، ص 278، 279، 286؛ براور، عالم الصليبيين، ص 83.

(6) شاكر مصطفى، دولة بني العباس (الكويت: 1974م): ج2 / ص489.

(7) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: vol. 4/ pp. 621 - 623.

أ. الأسرة البقراطية

تعد الأسرة البقراطية من أبرز الأسر الإقطاعية في بلاد الكرج ذات أصل أرمني بل وفرع من أفرع الأسرة البقراطية في أرمينيا الكبرى، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها الأمير بقراط، ولقد ارتبط الفرع البقراطي الكرجي بالإمبراطورية البيزنطية لكونهم من الأسر الأرستقراطية التي تسير في خط السياسة البيزنطية،[1] وكان ذلك على العكس من أبناء عمومتهم حكام أرمينيا الكبرى الذين ارتبطوا بالدولة العربية الإسلامية منذ سنة 19هـ/640م بحكم العامل الجغرافي والسياسي أي تبعيتهم لسلطة الخليفة المسلم [2].

وعلى الرغم من ذلك فقد حصلت الأسرة البقراطية الكرجية على دعم حكام أرمينيا بحكم صلة القربى التي تربطهم، ممّا مكنهم من التفوق على الأسر الإقطاعية الأخرى، ولم يكد العصر الأموي يشرف على الانتهاء في النصف الأول من القرن الثاني الهجري / النصف الأول من القرن الثامن الميلادي إلا وأصبح الأمراء البقراطيون يتوارثون حكم البلاد بشكل رسمي عن طريق اعتراف الخلافة بهم، وخاصة في عهد الخليفة مروان بن محمد (127 – 132هـ/744 – 750م) آخر خلفاء بني امية، الذي عيّن الأمير آشوط بطريقاً على أرمينيا وبلاد الكرج في سنة 114هـ/ 732م، وكان ذلك مكافأة له وللأمراء البقراطيين الآخرين على تعاونهم مع الولاة المسلمين في حفظ الأمن والاستقرار في البلاد [3]، واستمر ذلك التعاون خلال العصر العباسي الأول، إذ شعر الخلفاء ولا سيما أبو جعفر المنصور (136 – 158هـ/ 754 – 775م) منهم بضرورة التعاون مع أولئك الأمراء لإقـــرار الأمن وضمان تبعية تلك البلاد لدولته الجديدة [4].

---

(1) Charles Diehl , Byzantium: Geatness And Decline , Tran. From The French By: Naomi Walford (New Jereey: 1957) , P. 114.

(2) صبرة، دراسات في تأريخ الحروب الصليبية، ص 436.

(3) المدور، الأرمن، ص 202؛ طه، الحياة العامة، ص 112.

(4) الطبري، تأريخ الرسل:ج 8 /ص 27؛ أبو الفضائل، تاريخ المنصوري، باعتناء، ص 91؛ المدور، الأرمن، ص 202؛ مصطفى، دولة بني العباس: ج2/ ص293.

أخذت سلطة الأمراء البقراطيين تزداد شيئاً فشيئاً بسبب الأوضاع السياسية المضطربة التي عاشتها المنطقة آنذاك، فأصبحوا يتولون الحكم بشكل وراثي، ثم توجوا ملوكاً باعتراف كل من الخليفة العباسي المعتمد(256 - 279هـ/870 - 892م) والإمبراطور البيزنطي باسيل الأول (253 - 273هـ/867 - 886م) في سنة 272هـ/ 885م [1]، وعلى الرغم من ذلك فقد دخلوا في صراع مع أمراء الأسرة الأوربلية التي أخذ نفوذها يتعاظم إلى درجة التنافس مع الأسرة البقراطية على حكم البلاد، من خلال إعلانها التمرد لأكثر من مرة، فضلاً عن قيامها بمناصرة الأمراء البقراطيين أحدهم على حساب الآخر [2]، وهذا ما سنوضحه في الصفحات التالية.

ب. الأسرة الأوربلية

برزت هذه الأسرة إلى جانب الأسرة البقراطية، وهي أسرة كرجية قديمة استوطنت الوادي الشمالي لمدينة ميتسخت العاصمة القديمة لبلاد الكرج في حوالي سنة 350ق م، وأرجع بعض المؤرخين أصولها التأريخية إلى الصين [3].

إن هذا الرأي ليس مؤكداً، إذ لا يوجد ما يدلل على ذلك بشكل قاطع، لذا فإن احتمالية رجوع أصولها إلى العرق الكرجي أقرب إلى الصواب، وممّا يدفعنا إلى ترجيح هذا الرأي هو قِدَمُ استيطان هذه الأسرة في بلاد الكرج الذي يتزامن تقريباً مع الحقبة نفسها التي استوطن فيها الشعب الكرجي في موطنه الأول عقب هجرته من أواسط آسيا، واستقراره في حوض نهر، الكر وشكلت أسرةً من أعرق الأسر الإقطاعية الكرجية الكبيرة من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا إذا ما تتبعنا أسماء أفراد هذه الأسرة، فإنهم حملوا أسماء وكنى يغلب عليها الطابع القوقازي كأوربليان وايفان، إذ يكثر استخدام الألف والنون في أسمائها.

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس: ج2/ ص290؛ الكساندر خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية، ترجمة: شوكت يوسف (دمشق:1993م):ج 1 /ص 290؛
A. A. Vazilive , History Of Byzantine Empire " 324 - 1456 " (Athens: 1985): vol. 1/ 378 ; Sanjian , The Armenian Communities In Syria , P. 7.

(2) عزت، تأريخ القوقاز، ص 29.

(3) المرجع نفسه.

اعتمدت هذه الأسرة على النظام الوراثي الإقطاعي كأي أسرة إقطاعية أخرى[1] ويعد أن قوي مركزها مع بدايات استقلال بلاد الكرج في سنة 272هـ/ 885م، بدأت تتطلع إلى اتخاذ دورها في الحياة السياسية في بلاد الكرج، ولا سيما بعد أن بدأ أمراؤها يتولون المناصب في بلاد الكرج ثم نقل مركزها إلى ولاية ثرياليت التي تعد من مدن بلاد الكرج الكبيرة [2].

سميت هذه الأسرة بالأسرة الأوربلية نسبة إلى كبيرها المدعو أوربليان، كما أنها دخلت في صراعات ومشاحنات قوية مع ولاية أذربيجان الإسلامية منذ قيامها في سنة 278هـ/900م من أجل الاستحواذ على مناطق النفوذ، وازداد هذا الصراع عندما أخذت الأسرة الساجية [3] تستقل بحكمها عن سلطة الخلافة العباسية في بغداد، فبلغت الأسرة الأوربلية الإقطاعية من القوة ما جعلها من أكبر المنافسين السياسيين للأسرة البقراطية الحاكمة في بلاد الكرج [4].

ج.الصراع البقراطي الأوربلي على الحكم في بلاد الكرج

إنَّ ما وصلت إليه الأسرة الأوربلية من نفوذ سياسي في بلاد الكرج جعلها من أقوى الأسر المنافسة للأسرة البقراطية من أجل الاستئثار بحكم البلاد إلا إنها بلغت أوج قوتها في عهد الأمير ليبريت الثالث، الذي يعد من أبرز أمراء تلك

---

(1) خاتشاتريان، ديوان النقوش: ج1 /ص 39؛ Sanjian , Armenian Communities , P. 7.

(2) عزت، تأريخ القوقاز، ص 28؛
Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 57.

(3) الأسرة الساجية: بعد أن قضى محمد بن أبي الساج الملقب بالافشين في عهد الخليفة المعتصم بالله على تمرد بابك الخرمي، تولى حكم أرمينيا وأذربيجان، إلا أنه لم يلبث أن خرج عن طاعة الخليفة في سنة 220هـ/817 م، ولم يزل والياً على أرمينيا وأذربيجان، وفي سنة 303هـ/915م تولى الأمير بن أبي الساج الذي بقي على عصيانه، ولم تفلح المحاولات التي وجهت من أجل إخضاعه، وأصبح شبه مستقل بالمناطق التي يحكمها. ينظر: أحمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط (القاهرة: 1982م): ج1/ 59 - 72؛ موفق سالم نوري، العلاقات العباسية البيزنطية (132 - 247هـ/750 - 861م) (بغداد: 1990م)، ص 237 - 244.

(4) صبرة، دراسات في تأريخ الحروب الصليبية، ص 443 - 444؛ عزت، تأريخ القوقاز، ص 209.

الأسرة، إذا عاصر الملك الكرجي بقراط الرابع (481 - 465هـ/1027 - 1072م) [1].

سعى ليبريت جاهداً من أجل كسب ود الإمبراطورية البيزنطية للحصول على تأييدها ودعمها في صراعه مع أمراء البيت البقراطي فعقد تحالفاً معها [2] وأصبح الحليف الأول لها ممّا شجعه على مهاجمة مدينة تفليس، فدخلها وأسر واليها المسلم جعفر الساجي التابع لوالي أذربيجان، فكان لأسرهِ اثرٌ كبيرٌ في نفس الملك بقراط الرابع الذي توسط من أجل إطلاق سراحه حتى تم له ذلك [3]، ولم يكن ذلك حباً وخشيةً على الأمير جعفر، وإنما لمنع وقوع المدينة بيد الأمير ليبريت، لإدراكه التام بأن وقوعها بيده سيقلب ميزان القوة لمصلحة الأسرة الأوربلية، ويزيد من نفوذها، فيصبح ليبريت منافساً قوياً له، مّما اضطر البيزنطيين إلى التدخل فيما بينهما، ونجحوا في حل النزاع في سنة 439هـ / 1047م [4]، وعلى الرغم من ذلك واصل الأمير ليبريت نشاطه، وخاصةً في بداية المد السلجوقي في عهد طغرلبك[5] باتجاه بلاد القوقاز في الجهات الواقعة غرب بحر قزوين، فشكل تحالفاً مع البيزنطيين لإيقاف الزحف السلجوقي، إلا أن ما شغله عن تنفيذ مشروعه دخوله في صِدام مع الملك بقراط الرابع في سنة 430هـ/1038م، وأسفر ذلك عن نجاح ليبريت في تحقيق مكاسب على حساب النفوذ البيزنطي، ومد مناطق نفوذه إلى الجزء

---

(1) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: vol. 4/p. 622.

(2) Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 61.

(3) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: vol. 4/p. 622.

(4) Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: vol. 5/ p. 178.

(5) طغرلبك: وهو ركن الدولة أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق، ويعد طغرلبك (429 - 455هـ/ 1037 - 1063م) مؤسس الدولة السلجوقية وأول سلاطينها، ، منحه الخليفة العباسي لقب السلطنة بعد أن دخل بغداد في سنة 447هـ/1055م. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم (بيروت: 1413هـ): ج15/ ص139؛ ج18 / ص106؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج12/ ص431؛ القلقشندي، مآثر الانافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (الكويت: 1985م): ج1/ ص338؛ ميسون هاشم مجيد، أوضاع بلاد الشام العامة قبيل الغزو الصليبي (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل: 1996م)، ص 18.

الغربي من بلاد الكرج خلال السنوات (437 - 439هـ/ 1045 - 1047م)، ممّا أضطر الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع (432 - 447هـ / 1042 - 1055م) إلى التدخل من أجل حل النزاع الذي نشب بين حليفه ليبريت الثالث والملك بقراط الرابع [1] الأمر الذي ساعد على تخفيف حدة الصراع وإنهائه بحدوث تسوية بين الطرفين مُنِح بموجبها الأمير ليبريت بعض الاقطاعات، فضلاً عن اقطاعاته القديمة، كما تسنم الأخير بموجب هذه التسوية مركزاً مرموقاً ومنصباً مهماً في الأمور السياسية للمملكة إذ نُصِّبَ قائداً عاماً للقوات الكرجية [2]، فقاد جيوش المملكة سنة 440هـ/1048م متوجهاً إلى أرمينيا الكبرى لصد القوات السلجوقية التي يقودها الأمير إبراهيم أينال شقيق السلطان طغرلبك لأمِّهِ [3]، إلا أنه فشل في ذلك، فوقع في الأسر السلجوقي بعد أن هزمت قواته [4].

عاد ليبريت إلى بلاد الكرج في سنة 443هـ/1051م بعد أن فُكَ أَسرُهُ، واستقر به الحال في ولاية ثرياليت حيث مقر عائلته ومارس منصبه السابق، إلا أنه أخذ بالتقرب من البيزنطيين أكثر من ذي قبل، ممّا ساعده على تحقيق أهدافه مستغلاً سوء العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية والملك بقراط الرابع، الذي أُحتجِزَ في القسطنطينية إثر زيارته لها في سنة 446هـ/1054م، وبقي محتجزاً فيها ما يقارب ثلاث سنين، فأصبح العرش شاغراً لمن يشغُلهُ، فقام الأمير ليبريت بحكم منصبه بتنصيب أحد أبناء البيت البقراطي ملكاً على بلاد الكرج، وجعل من نفسه وصياً عليه، إلا أن سياسته الاضطهادية التي اتبعها تجاه الأمراء الكرج، وتسلطه على أمور الحكم في المملكة دفع أولئك الأمراء إلى التعاون مع الملك بقراط الرابع بعد إطلاق سراحه، فنجح في إلقاء القبض على ليبريت في سنة 451هـ/1059م وأدخله

---

(1) Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 57 ; Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: vol. 5 / p. 178.

(2) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: vol. 4 / p. 622.

(3) ابن الأثير، الكامل: ج9 / ص456؛ سليمان، المسلمون والبيزنطيون: ج1/ ص223.

(4) ابن الأثير، المصدر نفسه: ج9 / ص456؛

Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 57.

الدير، ونُصِّبَ بقراط الرابع ملكاً على بلاد الكرج للمرة الثانية بعد أن أنقذ المملكة من استبداد الأمير ليبريت [1]، ممّا أدى إلى استياء أمراء الأسرة الأوربلية، فأعلنوا التمرد والعصيان، إلا أن الملك بقراط نجح في مواجهة ذلك التمرد واحتوائه من خلال تقديم التنازلات لهم، واستمر ولده الملك جورج الثاني (465 - 482هـ/1072 - 1089م) في إتباع سياسة الاحتواء تجاه الأسرة الأوربلية وأمرائها [2].

إن اعتلاء الملك داؤد الثالث العرش (482 - 518هـ/1089 - 1124م) كان مقروناً بازدياد تهديدات البيت الأوربلي، فقد قامت العديد من التمردات بقيادة الأمير إيفان إلا أنه نجح في إفشالها بالقوة، واتبع سياسة مغايرة لسياسة أسلافه التي كانت قائمة على إبعادهم عن تولي المناصب العليا في المملكة، وبموت الملك داؤد الثالث في سنة 518هـ/1124م [3] اتبع ولده ديمتري الأول (518 - 551هـ/1125 - 1155م) السياسة ذاتها حتى أيامه الأخيرة حيث ترهبن ودخل الدير، ولم يترك وريثاً للعرش سوى ولده الصغير داؤد الرابع الذي لم يبلغ سن الرشد، ممّا اضطره إلى تسليم الحكم لشقيقه الصغير جورج الثالث (551 - 580هـ/1155 - 1184م) ليدير أمور المملكة على أن يسلم العرش لولده الصغير حال بلوغه، كما أوصى الأمير إيفان الاوربلي بالإشراف على الوصية وتنفيذها عندما يحين موعدها [4].

اعتلى الملك جورج الثالث العرش بموجب تلك الوصية، فأدرك ضرورة تقوية العائلات الإقطاعية، ولا سيما الأسرة الأوربلية، وتوثيق أواصر الود والصداقة معها من خلال إسناد المناصب العليا لهم لغرض الحصول على مساندتهم ودعمهم لبقائه في الحكم عندما يبلغ ابن شقيقه سن الرشد، كما زاد ذلك من مكانة ونفوذ الأسرة الأوربلية وأميرها إيفان الذي كان له دورٌ كبيرٌ في الهجوم الكرجي سنة 556

(1) Toumanoff, Armenia And Georgia, In Cam. His.: vol. 4/ p. 622.

(2) Ibid: vol. 4 / p. 623.

(3) الذهبي، العبر: ج 4 /ص 42.

(4) Toumanoff, Armenia And Georgia, In Cam. His.: vol. 4 / p. 623.

هـ/1160م على مدينة آني [1] العاصمة القديمة لأرمينيا الكبرى والتابعة للحكام المسلمين من بني شداد منذ الفتح السلجوقي في سنة 545هـ/1063م،إذ حقق الكرج انتصاراً على بني شداد، فتمكنوا من السيطرة على المدينة في السنة ذاتها [2]. ويرجع الفضل في الانتصار الذي حققه البقراطيون إلى الأمير إيفان الأوربلي ورجال الأسرة الأوربلية، من خلال تشجيعه واغراءه المتواصل للملك جورج الثالث في استعادة مدينة آني وغيرها من بلاد الكرج والأرمن التي خرجت من أيدي البقراطيين، ونظراً لما تمتع به الأمير الشاب ايفان من ذكاء ومقدرة عسكرية فقد حظي بمكانة مرموقة، وأصبح مقرباً من الملك جورج الثالث، إلا أنه لم يلبث أن دخل في صراع طويل معه [3].

ففي سنة 573هـ/1177م وصل الأمير داؤد الرابع إلى سن الرشد، فكان لا بد له أن يُنَصب ملكاً على البلاد بدلاً من عمه الملك جورج الثالث، على وفق الوصية السابقة الذكر، وكان ذلك بتشجيع أمراء البيت الأوربلي والعائلات الإقطاعية الأخرى، ممّا أدى إلى توتر العلاقات بين الملك جورج الثالث وأمراء تلك الأسر، وخاصةً الأسرة الأوربلية التي عدت نفسها المسؤولة عن تنفيذ الوصية، فانقلبت سياسته من مهادنتهم وكسبهم إلى إتباع سياسة العنف والقوة معهم، ممّا اضطر الأمراء الاوربليون إلى القيام بعدة محاولات للتخلص منه [4].

إنّ هذا التغيير الذي طرأ على سياسة الملك جورج الثالث تجاه الأسر الإقطاعية كان محفزاً للأمير داؤد الرابع على المطالبة بحقه في وراثة العرش مستغلاً

---

(1) آني: بنيت مدينة آني في عهد الملك آشوط الثالث (341 – 367هـ/925 – 977م) وأصبحت مقرّ ملكهِ وعاصمة أرمينيا الكبرى. للمزيد من التفاصيل ينظر: سترك، مادة " أرمينيا " دائرة المعارف الإسلامية: ج1 / ص 647.

(2) C. E. Bosworth , The Political And Dynastic History Of The Iranian World , In Cam. His. Of Iran (Cambridge: 1975): vol. 6 / p. 179 ; C. Cahen , Pre - Ottoman Turkey (London: 1968) , P. 70 ; W. Madelung , The Minor Dynasties Of Northern Iran , In Cam. His. Of Iran: vol. 4 / p. 243.

(3) صبرة، دراسات في تأريخ الحروب الصليبية، ص 465.

(4) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: vol. 4 / p. 622.

تذمر هذه الأسر التي ما أن وجدت في الأمير داؤد الاستعداد التام لاعتلاء العرش حتى هرعت إلى تأييده ضد عمه، فما كان من الأمير ايفان الذي بقي حافظاً لعهد الملك ديمتري الأول، ومتذكراً الوصية التي أوصاه بها، فتبنى قضية الأمير داؤد مع عمه [1]، وانضم إليهم في حركتهم هذه ما يقرب الثلاثين ألفا من سكان مملكة لوري الأرمنية [2] ولكن وصول الأخبار بتحرك الاتابك ايلدكز [3] صاحب أذربيجان إلى بلاد الكرج [4] أدى إلى انسحاب أنصار الأمير ايفان الأوربلي خشيةً من وصول القوات الإسلامية إلى مملكتهم، فتركوه تحت رحمة الملك جورج الثالث الذي ألقى القبض عليه وأودعه السجن، ثم أمر بسمل عينيه، ولم يكتفِ بذلك بل قام بطرد جميع رجال ونساء الأسرة الأوربلية من اقطاعاتهم التي ورثوها من قبل [5].

لقد كان الرد الأوربلي على إجراء الملك جورج الثالث حيث تولى أمر المقاومة الأمير ليبريت الخامس شقيق الأمير ايفان، إلا أنه لم يتمكن من تحقيق هدفه بسبب ضعف قوة الأسرة الأوربلية مقارنةً بما كانت عليه في السابق من ناحية

---

(1) Ibid: vol. 4 / p. 623.

(2) لوري: مملكة أرمنية صغيرة قامت في أواخر القرن العاشر الميلادي في شمال أرمينيا الكبرى، إثر انقسامها، للمزيد من التفاصيل ينظر: أميل، تأريخ أرمينيا، ص 27.

(3) ايلدكز: هو شمس الدين ايلدكز المؤسس الأول للأسرة الايلدكزية، وكان في بداية حياته مملوكاً لكمال الدين الشهيد بن السلطان محمود، ولما قتل الكمال سار إلى السلطان، وترقى في كتب الولاية ولما تولى السلطان مسعود ولاه على ارانية، فاستولى عليها، وبقيت طاعته للملوك على البعد فاستولى على معظم أذربيجان، وأصبح اتابكاً للسطان ارسلان بن مسعود، فنجح في تثبيت مركزه، ثم ملك همذان وأصفهان والري، وخطب لابن زوجته السلطان ارسلان، وبلغ عسكره خمسين ألفا واتسعت دائرة نفوذه من تفليس إلى مكران، وأصبح ايلدكز متحكما على ارسلان، وبذلك اصبح أقوى حاكم مسلم في بلاد القوقاز إلى درجة تلقبه بالاتابك الأعظم. ينظر: ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: ج5/ ص83؛ ستانلي لين بول، الدولة الإسلامية، تصحيح: بارتولد، ترجمة: محمد صبحي فرزان (دمشق: 1974م): ج1 / ص365.

(4) R. Grousset , Histoire Des Crisades (Paris: 1936): vol. 3 / p. 231.

(5) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: vol. 4 / p. 622 - 623.

والقوة التي تمتع بها الملك جورج الثالث من ناحية أخرى، إذ نجح في ضبط الأمور من خلال الضرب على أيدي الأمراء الذين يشك في أمرهم، ممّا اضطر الأمير ليبريت الخامس إلى ترك البلاد متوجهاً إلى بلاد فارس وبصحبته ولده الكبير، أما ولده الأصغر فقد اتجه إلى مدينة كنجة [1] وبذلك يكون أمر هذه الأسرة قد ضعف تماماً وتلاشى في مرحلة تكوين المملكة، إلا أنها لم تلبث أن عادت إلى معترك السياسة في بلاد الكرج في عصر القوة والازدهار، وتابع أمرها أبناء الأمير ليبريت الخامس، لكنهم أصبحوا أمراء تابعين للبيت البقراطي، وتولوا مناصب عليا في المملكة، فكانوا بحق من بُناة عصرها الذهبي وزيادة قوتها ونفوذها، لا سيما في عهد الملكة الكرجية تمارا (580 - 609هـ/1184 - 1212م) [2].

رابعاً: مدخل إلى التاريخ السياسي لبلاد الكرج (19 - 272هـ/640 - 885م)

لقد كان للموقع الجغرافي المتميز، والتآخم الحدودي بين بلاد الكرج من جهتها الجنوبية وآسيا الصغرى من جهتها الشمالية دورٌ كبيرٌ في دخولها ضمن دائرة الصراع الأرمني - البيزنطي، والصراع الأرمني - الفارسي، إذ أصبحت بلاد القوقاز بشكل عام وبلاد الكرج وأرمينيا بشكل خاص، مسرحا للصراع الفارسي - البيزنطي آنذاك، ممّا أدى إلى تأثرها بالجوانب السياسية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية لكل من الإمبراطوريتين كتطور فنون العمارة والبناء وازدهار الناحية التجارية، [3] واعتناق الأديان السائدة آنذاك في كل منهما [4].

(1) صبرة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص 466.

(2) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: vol. 4 / p. 622 - 623.

(3) أرسلان، أرمينيا الأمة والدولة، ص40؛
Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. Mad. His.: vol. 4 / p. 605 ; Minorsky, Art:"Al Kurdj" , In The Enc. Of Islam: vo.. 5/ p. 487.

(4) أميل، تأريخ أرمينيا، ص18؛رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية: ج2 / ص140؛ زهر الدين، الأرمن، ص28؛

إن ظهور الإسلام وقيام الدولة الإسلامية في القرن السابع الميلادي، كان له أثرٌ عظيمٌ في حياة شعوب الشرق، إذ اضعف كلا من الإمبراطوريتين العظيمتين (البيزنطية والساسانية) من خلال الانتصارات التي حققتها الدولة الإسلامية أثناء عمليات الفتح والتحرير.

ونظراً لاعتناق الكرج للديانة النصرانية، فقد قاوموا عمليات الفتح الإسلامي بدعم وتشجيع من أبناء دينهم البيزنطيين، إلا أن المسلمين نجحوا في الوصول إلى بلاد الجزيرة وأرمينيا للمرة الأولى في سنة 19هـ/640م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (13 - 23هـ/634 - 643م) الذي أَمَّرَ عياض بن غنم ﷺ [1] على رأس الجيش الإسلامي لفتح بلاد الجزيرة، ونجح في فتح كل ما وقع في طريقه من المدن والقرى الجزرية حتى وصل إلى مدينة بدليس [2]، وافتتحها في السنة ذاتها وتوجه بعد ذلك إلى خلاط [3]، ثم عادت الجيوش العربية الإسلامية بعد أن أقرت البلاد المفتوحة بدفع الجزية للمسلمين [4].

أما الحملة الثانية فقد أرسلت إلى بلاد القوقاز سنة 22هـ/642م بقيادة سراقة بن عمرو ﷺ [5] وبعد أن أتم فتح أذربيجان توجه إلى المناطق الجبلية

Minorsky , Art: " Al Kurdj " , In Enc. of Islam: vol. 5 / p. 287.

(1) عياض بن غنم: هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن هلال بن وهب بن فهر القريشي، صحابي جليل أسلم قبل الحديبية، قاد عملية فتح الجزيرة وصالح أهلها، وهو أول من عبر الدروب إلى الروم، توفي سنة 20هـ/640م. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البناء وآخرون (بيروت: د/ت): ج2/ ص327 - 328.

(2) بدليس: بلدة من نواحي أرمينيا بالقرب من خلاط، ذات بساتين كثيرة ويضرب بها المثل في الجودة والكثرة والرخص. للمزيد من التفاصيل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج 1/ص 358.

(3) خلاط: بلدة مشهورة تمثل قصبة أرمينيا وبلادها، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة. ينظر: المصدر نفسه، ج2/ ص380؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ص54.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص200 - 201؛ الطبري، تأريخ الرسل: ج4/ ص157.

(5) سراقة بن عمرو: صحابي جليل أرسله عمر بن الخطاب ﷺ إلى منطقة باب الأبواب وجعل

المحيطة بأرمينيا الكبرى وموقان [1] وتفليس، ونجح في فتح بلاد الكرج بعد أن منح سكانها الأمان[2]، فاستقر المسلمون في مدينة تفليس،[3] وشكلوا حكومة عربية إسلامية، أصبحت تلك المدينة فيما بعد قاعدة لنشر الإسلام [4]، كما سيَّرَ والي الشام معاوية بن أبي سفيان جيشاً شامياً بقيادة حبيب بن مسلمة سنة 31هـ/ 652م [5] بناءاً على أمر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (23 - 36هـ/643 - 656م)، فتمكن من الدخول فدخل إلى أرمينيا في السنة ذاتها [6].

استمرت عملية الفتح عبر بلاد الكرج المعروفة آنذاك بكورة جرزان للوصول إلى تفليس التي تمثل المركز الرئيس لإدارتها، فأرسل إليه سكانها مبعوثاً من بطريقها يحمل الهدايا ويطلب منه عقد الصلح معهم فوافق الأمير حبيب على طلبهم وتم عقد الصلح بعد أن اقروا له بدفع الجزية، فسار حبيب لفتح ما تبقى من مدن الإقليم، ومن الجدير بالذكر أن عمليات الفتوح توقفت بعد استشهاد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ باستثناء بعض العمليات البسيطة التي تمت ضد بعض

- على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، فصالح آهل أرمينيا على دفع الجزية، وتوفي في السنة ذاتها. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ج 2/ ص330.

(1) موقان: ولاية في أذربيجان فيها مروج وقرى كثيرة، ويمر بها عبر الجبال القاصد من أردبيل إلى تبريز. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج 5/ص225.

(2) للمزيد من التفاصيل عن فتح بلاد الكرج ونص كتاب الأمان الذي منحه سراقة بن عمرو لأهل تفليس ينظر: الطبري، تأريخ الرسل: ج4/ ص157، 162؛ ابن الأثير، الكامل: ج 3/ 29-31، 85.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج1/ص358؛ سيد، أرمينية، ص63.

(4) Art: " Georgia " , In Encyclopaedia Britannica: 10 / 229.

(5) حبيب بن مسلمة: هو حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن شيان بن محارب بن فهر القرشي ﷺ ، وهو صحابي جليل، يكنى أبا عبد الرحمن ويقال له حبيب الدروب، أو حبيب الروم لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم، سيَّرَهُ معاوية إلى أرمينيا والياً عليها فمات بها سنة 42هـ/662م. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: ج1/ ص448 - 449.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص200 - 201؛ الطبري، ، تأريخ الرسل: ج4 / ص157.

من نكث العهود السابقة[1].

وبعد انتقال الحكم إلى الأمويين سنة 42هـ/662م أصبحت بلاد الكرج (جرزان) إحدى كور أرمينيا الأربع على وفق التقسيم الإداري الإسلامي، وتحت حكم الولاة المسلمين المعينين على أرمينيا من قبل الخلفاء الأمويين، وقد عمد بعض خلفاء بني أمية إلى تعيين الولاة من بينهم لادارة حكم بلاد الكرج[2]. أما سلطة البطارقة الأرمن والكرج فقد بقيت قائمة بشكل أسمي لإدارة الأمور الخاصة برعاياهم[3] فوقع اختيار الخليفة مروان بن محمد على الأمير اشوط، وهو أحد أبناء البيت البقراطي الأرمني الحاكم في أرمينيا فعينه بطريقاً على كور أرمينيا الأربعة ويضمنها بلاد الكرج، إذ توالى أبناء تلك الأسرة على منصب البطريق فيما بعد[4]، ونجح الولاة المسلمون في إحباط جميع المؤامرات والدسائس التي حاولت الإمبراطورية البيزنطية استغلالها لإيقاف عمليات الفتح العربي الإسلامي[5] فضلا عن المحاولات المتعددة للكرج من أجل استعادة السيطرة على بلادهم من ناحية، وطبيعة البلاد الجبلية التي امتازت بالوعورة من ناحية أخرى[6].

وفي العصر العباسي بقي إقليم بلاد الكرج خاضعاً لسلطة المسلمين، وقد انتقلت إدارته إلى العباسيين بعد سنة 132 هـ/ 749م، وامتاز بقوة إدارته وانضباطها في ذلك العصر، خاصة وان ولاته كانوا يعينون مباشرة من قبل الخليفة العباسي، وذلك يعني أن العباسيين قد اتبعوا الأسلوب الإداري نفسه الذي اتبع في تلك البلاد منذ الفتح الإسلامي في العهد الراشدي وطوال العهد الأموي، وهو تعيين ولاة

(1) للمزيد من التفاصيل عن تحركات الجيش الاسلامي واستشهاد الخليفة عثمان ﷺ ينظر: ابن الأثير، الكامل: ج3/ ص31؛ طه، الحياة العامة، ص42.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص208؛ الطبري، تأريخ الرسل: ج7/ ص91.

(3) مصطفى، دولة بني العباس: ج2/ص489.

(4) طه، الحياة العامة، ص190.

(5) عزت، تأريخ القوقاز، ص35.

(6) صبرة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص427؛ مصطفى، دولة بني العباس: ج2/ص 288.

مسلمين إلى جانب أمراء كرج محليين (البطارقة) من البيت البقراطي الحاكم، وبشكل وراثي على العكس من نظام الولاية في بقية البلاد الإسلامية الأخرى، ففي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور تم تعيين ساهاك البقراطي بطريقاً على أرمينيا[1] وكانت مهمة الدفاع عن بلاد الكرج وأرمينيا من مسؤوليات الدولة العباسية، فقد أرسل الخليفة المنصور جيشاً لقتال الأتراك [الخزر] الذين أغاروا على أرمينيا وبلاد الكرج في سنة 148هـ/ 765م ودمروا عدداً من مدنها المهمة ((وعاثوا بتفليس))[2] إلا أنهم لم يدركوهم بسبب انسحابهم عنها، وأشار أبو الفضائل إلى الرواية نفسها، إلا أنه اختلف في ذكر سنة وقوعها، فقد أشار إلى أنها كانت في سنة 149 هـ/766م. كما عَيَّنَ المهدي(159 - 169هـ/775 - 785م) تاجات انتزفاستي بطريقا، واتبع الخليفة الرشيد (170 - 193هـ/786 - 808م) سياسة أسلافه نفسها فعين اشوط بن سمباط البقراطي بطريقا على أرمينيا في سنة 190هـ/806م، كما عَيَّنَ الخليفة المعتصم بالله (218 - 227هـ/833 - 842م) سهل بن سمباط بطريقا للبطارقة، ومنحه تاج البطرقة لتعاونه مع الجيش العربي الإسلامي في القضاء على ثورة بابك الخرمي والقبض عليه [3]، وجمع الخليفة المعتصم لسهل بن سمباط كُور أران وبلاد الكرج وأرمينيا [4].

لقد كان لكل من الأميرين المهام الخاصة بهما، فيتولى الأمير العربي المسلم جباية الجزية والخَراج وقيادة الحامية الإسلامية، بينما يتولى الأمير المحلي

---

(1) طه، الحياة العامة، ص190.

(2) الطبري، تأريخ الرسل:ج 8/ص27؛ الحموي، التأريخ المنصوري، ص91.

(3) بابك الخرمي: رجل فارسي الأصل خرج عن طاعة العباسيين في سنة 201هـ/816 م، وادعى النبوة واتبعه الداويدانية أصحاب جاويدان بن سهل صاحب البذ، وادعى أن روح جاويدان دخلت فيه، وأخذ في العبث والفساد وتفسير جاويدان الدائم الباقي، ومعنى خرم فرج، وهي مقالات المجوس والرجل منهم ينكح أمه وأخته وابنته، ولهذا يسمونه دين الفرج، ويعتقدون مذهب التناسخ، وأن الأرواح تنتقل من حيوان إلى غيره، فارسل المعتصم قائده الافشين لحربه، ونجح في إلقاء القبض عليه في سنة 220هـ/817 م، وتم صلبه في سأمراء. للمزيد من التفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ الرسل: ج5/ ص139؛ ابن الأثير، الكامل: ج5/ ص432.

(4) طه، الحياة العامة، ص190.

(البطريق) مهمة حفظ الأمن والاستقرار في البلاد وإدارة الأمور الخاصة بالسكان، وقد ساعد ذلك الإجراء على استمرار تبعية البلاد الإدارية للدولة الإسلامية، ودفع الجزية والخراج طوال العصر العباسي الأول [1].

أما في العصر الثاني فإن مجيء خلفاء ضعاف، لم يكونوا بحنكة الخلفاء الأولين ومقدرتهم من جانب، وسيطرة العناصر الأجنبية على مؤسسة الخلافة من جانب آخر، مّما أدى إلى ضعف الحكم العربي الإسلامي في تلك البلاد، كما شجع الأمراء المحليين على التمرد ضد الولاة العباسيين[2] من أجل إبعادهم عن حكم الإقليم والانفراد به، وظهر ذلك واضحاً في تمرد البطريق بقراط بن اشوط في مدينة خلاط طالباً الإمارة على ذلك الإقليم في سنة 237هـ/854م [3]، وقد استجاب لدعوته جميع بطارقة أرمينيا، وقتلوا الأمير العربي المسلم يوسف بن محمد المروزي[4] فوجه الخليفة العباسي المتوكل (232 – 247هـ/846 – 861م) قائده بغا على رأس جيش في السنة ذاتها[5] لغرض إخضاعهم والثار لمقتل الأمير يوسف فدخل معهم في قتال، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم، وأسر اشوط ثم دخل مدينة دبيل [6] ومنها إلى تفليس فأخضعها في سنة 240هـ/855هـ [7]، إلا أن بلاد

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس: ج 2/ ص489.

(2) اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي:ج2/ص481، 489؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق:ج 3/ص546 – 547.

(3) الطبري، تأريخ الرسل: ج9/ص187 – 188؛ ابن الأثير، الكامل: ج7/ص59.

(4) ابن العبري، تأريخ مختصر الدول، ص144؛ تأريخ الزمان، ص38؛ طه، الحياة العامة، ص 192، 226.

(5) بينما يشير الحموي إلى أن ذلك تم في سنة 240هـ/854م. ينظر: التأريخ المنصوري، ص109. إلا أن الأصح هو 237هـ/854م، وذلك لاتفاق المؤرخين عليه، فضلا عن كونهم أقرب زمنياً إلى الحدث.

(6) دبيل: مدينة في أرمينيا تتاخم مع إقليم اران، وكانت ثغرا فتحه حبيب بن مسلمة في أيام الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وصالح أهلها.ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج2/ص 439.

(7) الطبري، تأريخ الرسل: ج 9/ص187 – 188؛ ابن الأثير، الكامل: ج7/ص89.

الكرج انقسمت إثرَ تلك الحوادث إلى قسمين بلاد الكرج الأصلية وبلاد الأبخاز، وكل من المقاطعتين تجزأت إلى أجزاء صغيرة تحت حكم الأمراء المحليين، وبذلك انهارت وحدة البلاد ودبت الفوضى[1]، ممّا شجع الأمراء البقراطيين على السعي من أجل الاستقلال بحكم البلاد وتوحيدها تحت نفوذهم.

وعلى الرغم من أن اشوط بن سمباط البقراطي قد قام بحركات التمرد المتكررة، فقد اختير بطريقاً للبطارقة في سنة 247هـ/862م، مقابل وقوفه في نهاية الأمر إلى جانب القوات العباسية ضد حركات العصيان، وبذلك انتهى حكم الولاة العرب المسلمين، وأُعتُرِفَ للكرج والأرمن بحكم إقليمهم منذ سنة 272هـ/885م، فكان سمباط بن آشوط أول من تلقب بالملوكية، واعتلى عرش أرمينيا الكبرى التي شملت معظم بلاد [2].

خامساً: قيام مملكة الكرج والاعتراف العباسي والبيزنطي

إنَّ قصة العلاقات الكرجية – العباسية في تلك الحقبة ما هي إلا قصة ظهور مملكة أرمينيا الكبرى وبلاد الكرج على يد العائلة البقراطية الأرمنية الحاكمة في كل منهما [3]، إذ إن تلك الأسرة نجحت في كسب جانب الخلفاء المسلمين منذ العهد الأموي عن طريق مؤازرتهم ضد مناوئيهم على الحكم، وخاصةً قتالهم إلى جانب الخليفة الأموي مروان بن محمد ضد الخلافة العباسية في بداية قيامها سنة 132هـ/ 749م، ممّا كان له اثرٌ واضحٌ في سياسة العباسيين الأولين اتجاههم، فكان ذلك سبباً في إبعادهم عن الأمور الإدارية في أرمينيا في بداية العصر العباسي الأول، ممّا

---

(1) عزت، تأريخ القوقاز، ص35؛ بارتولد، مادة " ابخاز "، دائرة المعارف الإسلامية: مج1/ص 21.

(2) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية، : ج1/ ص37؛ مصطفى، دولة بني العباس: ج2/ص290؛
A.K.Sanjjian ,The Armenian Communities In Syria Under Ottoman Dominion (Cambridge: 1965) , P. 7.

(3) مصطفى، دولة بني العباس: ج2/ص 490؛ خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: ج1 /ص 38.

جعلهم يتخذون موقفاً معادياً للعباسيين بل، وتعدوا ذلك إلى إعلان تمردهم في سنة 137هـ/754م إلا أن الخليفة أبا جعفر المنصور تمكن من إعادة الاستقرار إلى أرمينيا، عندما أعاد هذه الأسرة إلى دست الحكم (1)، بعد أن شعر بضرورة التعاون مع الأمراء البقراطيين، وكسب ودهم لصد هجمات الخزر التي تعرضت لها أرمينيا، وقد أشار الطبري إلى القوات التي أرسلها المنصور لصد الهجمات الخزرية في سنة 148هـ/765م، إلا أن الخزر انسحبوا قبيل وصول القوات العباسية بعد أن دمروا عدداً من المدن والقرى ((وعاثوا بتفليس)) (2).

استمر خلفاء العصر العباسي الثاني على إتباع السياسة نفسها التي اعتمدها أسلافهم كالمنصور والمهدي، إلا أن كثرة حركات التمرد والعصيان في المنطقة بسبب طبيعتها الجبلية الوعرة، وضعف الإدارة العربية الإسلامية فيها شجع الأمراء البقراطيون على السعي من أجل الاستقلال بحكم البلاد والتمرد على سلطة الخليفة مستغلين الموقع المهم لبلادهم التي مثلت حاجزاً بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية (3)، فضلاً عن موقعها على طرق التجارة القادمة من العراق وفارس وعبر أرمينيا إلى ميناء طرابزون البيزنطي الواقع على سواحل البحر الأسود، والذي يمثل ميناء التبادل الوحيد مع بيزنطة، ممّا ساعد هذه المملكة على النمو الاقتصادي بشكل كبير، وبلوغها درجة كبيرة من الرخاء والازدهار في عهد الأسرة البقراطية التي سطع نجمها بفضل كبار ملوكها كالملك جورج الثالث والملكة تمارا وغيرهم (4)، وخاصةً بعد أن منح الخليفة المتوكل (232 - 247هـ/847 - 861 لقب أمير أمراء أرمينيا الكبرى لآشوط بن سمباط البقراطي في سنة 247هـ/862م (5).

وعلى ما يبدو أن الخليفة المتوكل كان يسعى من وراء إجراءه هذا إلى تحقيق

---

(1) المدور، الأرمن، ص 202؛ طه، الحياة العامة، ص 112.

(2) الطبري، تأريخ الرسل: ج 8 /ص 27؛ أبو الفضائل الحموي، التأريخ المنصوري، ص 91؛ المدور، المرجع نفسه، ص 202؛ مصطفى، دولة بني العباس: ج2 / ص293.

(3) الطبري، تاريخ الرسل: ج9 /ص 187 - 188؛ ابن الأثير، الكامل: ج7 /ص 59.

(4) مصطفى، دولة بني العباس: ج2 /ص 490.

(5) المدور، الأرمن، ص 209.

هدفين رئيسين: هما الحفاظ على أمن واستقرار المنطقة واستمرار تبعيتها للدولة العربية الإسلامية ولو بشكل اسمي هذا من ناحية، وكسبهم إلى جانبه والاستعانة بهم في صراعه مع البيزنطيين من ناحية أخرى، كما سعى الإمبراطور البيزنطي في الوقت ذاته إلى كسب ود الكرج والأرمن مستغلاً حالة الضعف التي تمر بها الدولة العباسية بسبب الظروف السياسية المضطربة التي عاشتها آنذاك، والناتجة عن سيطرة العناصر الأجنبية على مقدرات الخلافة العباسية.

ومع تدهور الأوضاع السياسية لكل من القوتين المتنافستين آنذاك اعني [العباسية والبيزنطية] [1] ازداد نفوذ الأسرة البقراطية، فقرر الخليفة العباسي المتوكل في سنة 247هـ/862م أن يمنح لقب أمير أمراء أرمينيا لآشوط بن سمباط (245 – 277هـ/859 – 890م) وذلك في السنة الثانية من حكمه لقاء ما قدمه من خدمات وتعاون مع الخلافة من أجل حفظ الأمن والاستقرار في أرمينيا الكبرى [2].

لم يكتفِ الأمير آشوط بلقب أمير أمراء بل كان يطمح إلى الحصول على لقب الملك ومن ثم الاستقلال التام عن سلطة الخلافة، وبعد وفاة المتوكل سنة 247هـ/862م [3] وتولي المعتمد على الله الخلافة، أصبحت الفرصة سانحة أمام آشوط وخاصةً عندما تعاون مع الخلافة العباسية التي قادها الموفق شقيق الخليفة العباسي المعتمد على الله، إذ أدى دوراً كبيراً في القضاء على التمردات التي قامت ضد الخلافة العباسية، فمنحه الخليفة المعتمد لقب أمير أمراء أرمينيا وبلاد الكرج وبلاد القوقاز، فأصبح حاكماً رسمياً في سنة 272هـ/885م [4] فهنأة الإمبراطور

---

(1) نوري، العلاقات العباسية البيزنطية، ص 227 – 228.

(2) صبرة، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، ص 429 – 430.

(3) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تأريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: 1976م)، ص 349.

(4) استارجيان، تأريخ الأمة الأرمنية، ص 170 – 171؛ محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين (بيروت:د/ ت):مج1 / ج1 / 212؛ أميل، تأريخ أرمينيا، ص 24؛ سيد، أرمينية، ص 146.

البيزنطي باسيل الأول وأرسل إليه لقب الملوكية فضلاً عن الهدايا الثمينة [1].

فأصبحت بلاد الكرج جزءاً من مملكة أرمينيا الكبرى بشكل رسمي وبتفويض من الخليفة العباسي في بغداد، وهذا ما يدفعنا إلى الظنّ بان الخليفة هدفَ في ذلك إلى زيادة سلطة الخلافة على بلاد الكرج، التي كانت تتمتع بشبه استغلال وذلك بحكم بعدها عن مركز الخلافة أولا والاستعانة بالملوك الأرمن الموالين لهم ثانياً من أجل إفشال المخططات والمحاولات الكرجية - البيزنطية التي تستهدف إزالة السيادة العربية الإسلامية عن المنطقة.

وعلى الرغم من الاتفاق على أن تأريخ الاعتراف بالأمير آشوط بن سمباط ملكاً قد تم في سنة 272 هـ / 885 م إلا أن شاكر مصطفى، ذهب إلى أن الاعتراف بالأمير آشوط كملك تم منذ زمن الفتنة بين الأمين والمأمون ابني الخليفة الرشيد، إذ منح الخليفة الأمين حكم أرمينيا وبلاد الكرج للأمير آشوط بن سمباط وأرسل إليه الإمبراطور البيزنطي لقب التشريف [2] الذي كان يطلقه على أقرباءه وهو لقب (قربلاط) [3]، إلا أن الذي يمكن ملاحظته من خلال الرواية التي أوردها شاكر مصطفى، هو عدم الجزم بإعطاء تأريخ محدد، إذ أنه ابتدأ بقوله: ((ويبدو أن ذلك كان زمن الأمين)) [4] من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن مدة حكم آشوط بن سمباط لا تتفق مع ما ذكره، إذ أنه يحدد المدة الزمنية لحكمه بـ (194 - 218هـ/809 - 833م) في حين أن مدة حكمه الحقيقية التي اجمع عليها المؤرخون كانت (245 - 277هـ/859 - 890م) وهي لا تتزامن مع حكم كلاً من الخليفة الأمين أو المأمون،

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس: ج2 / ص 290؛ خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: ج1 / ص 290؛ Vasiliev , History Of Byzantine: V0l.1 /p. 378.

(2) مصطفى، دولة بني العباس: ج2 / ص291.

(3) قربلاط: لقب تشريفي أطلقه الإمبراطور البيزنطي على أمراء الأسرة البقراطية الكرجية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وكان يطلق سابقاً على أفراد الأسرة الإمبراطورية كابنه وأخيه، ومعناه " سيد القصر ". ينظر: قاسم، ندوة التاريخ الإسلامي الوسيط (القاهرة: 1982م):ج 1 /ص 188؛ Art " Georgia " , Encyclopaedia Britannica: V0l.10 /p. 290.

(4) مصطفى، دولة بني العباس:ج 2 /ص 489.

وإنما تتزامن مع حكم الخليفة المعتمد على الله.

وبعدَ موت آشوط الأول سنة 277هـ/ 890م تولى الحكم ولده سمباط الأول (277 - 302هـ/890 - 914م)، وباعتراف كّلٍ من الخليفة العباسي والإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني الذي أرسل إليه بالتاج الملكي [1] وعُرِفَ الملك سمباط الأول بنشاطه وحيويته، ممّا دفع أمراء الأقاليم المجاورة بما فيها بلاد الكرج إلى تقديم فروض الطاعة والولاء له [2].

انقسمت الأسرة البقراطية إثر حصولها على حكم أرمينيا الكبرى بشكل كامل إلى فرعين، حكم الفرع الأول منطقة أرمينيا وهو القسم الأكثر اتصالاً من الناحية الجغرافية (الموقع والحدود) والسياسية (الحكم) مع الخلافة العباسية في بغداد [3]، بينما تمتع الفرع الثاني بنوع من الاستقلال في حكم بلاد الكرج، وكان هذا الفرع أكثر ارتباطاً بالإمبراطورية البيزنطية بل ويسير في فلك السياسة البيزنطية، إذ قاموا بالعديد من المحاولات ضد الولاة العرب المسلمين في بلاد القوقاز بشكل عام وفي بلاد الكرج بشكل خاص [4]، وممّا يدلل على وجود صِدامات عسكرية بين الطرفين الكرجي والعباسي، والتي قد تكون بدفع من حلفائهم البيزنطيين، وهذا ما اورَدَهُ ابن الجوزي عن ورود أسرى كرج إلى بغداد في سنة 307هـ/919م ((وفي ربيع الآخر ادخل إلى بغداد مائة وخمسون أسيراً من الكرج)) [5].

وإذ ما أمعنا في النظر في هذه المسألة، فإننا نلحظ بشكل واضح أن هذا الارتباط بين كلا الطرفين يرجع إلى أمرينِ مُهمينِ هما التآخم الحدودي بين بلاد الكرج والإمبراطورية البيزنطية، فضلاً عن بعد بلاد الكرج عن مركز الخلافة

---

(1) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: ج1 /ص 277؛
Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran:Vol. 4 /p. 243.

(2) Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium:Vol. 5 /p. 91.

(3) مصطفى، دولة بني العباس: ج2 /ص 489.

(4) Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium:Vol. 5 /p. 91 ; Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran:Vol. 4 /p. 243.

(5) ابن الجوزي، المنتظم في تأريخ الملوك والأمم:ج 6 /ص 53.

العباسية قياساً بالإمبراطورية البيزنطية.

أما الأمر الثاني فقد تمثل بالجانب الديني لأن الكرج والبيزنطيين أبناء دين ومذهب واحد، إذ اعتنق الكرج النصرانية وعلى المذهب الأرثوذكسي، وبذلك فإن الكنيسة الكرج تخضع في تبعيتها للكنيسة البيزنطية على العكس من كنيسة الأرمنية التي استقلت عن الكنيسة البيزنطية في العقد الأول من القرن السادس الميلادي [1].

لقد ارتبطت بلاد الكرج وأرمينيا من الناحية السياسية فيما بينهما، وذلك لعلاقة القربى والنسب التي ارتبط بها الحكام البقراطيون، فالأسرة البقراطية الحاكمة في بلاد الكرج فرع من الأسرة البقراطية الحاكمة في أرمينيا، لذا فإن حركات التمرد جميعاً والمشاكل السياسية التي حدثت في أرمينيا، أثرت بشكل سلبي أو إيجابي في بلاد الكرج، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل مباشر من خلال اعتراف الخليفة العباسي والإمبراطور البيزنطي، بحكم سمباط الأول على أرمينيا الكبرى ومنحه لقب ملك [2]، فكان لذلك الاعتراف أثرٌ كبيرٌ على أبناء عمومتهم حكام بلاد الكرج الذين لقبوا في الوقت ذاته بلقب قربلاط وهو اللقب الذي منحه الإمبراطور البيزنطي لأمراء أسرة داؤد البقراطي وظلّوا يتوارثون ذلك اللقَب والمنصب تِباعاً [3].

لقد كان لأبناء تلك الأسرة دورٌ كبيرٌ في توحيد بلاد الكرج التي كانت منقسمة إلى قسمين الأول بلاد الأبخاز والثاني بلاد الكرج الأصلية (بلاد الكرج الشرقية)، فنجح البقراطيون في توحيد جميع أجزاء بلاد الكرج تحت حكمهم وإنهاء الحكم الإسلامي، وعاضدتهم في ذلك الكنيسة الأرمنية وطبقة رجال الدين والنبلاء الأرستقراطيين، ممّا مكّنَ الأمير داؤد الأول البقراطي من توحيد بلاد الكرج، وإخضاع بلاد الأبخاز على الرغم من تصديهم له بشتى أنواع الوسائل ولم يلبث الكرج أن ضموها إلى دائرة نفوذهم في سنة 481هـ/1088م، وبشكل نهائي في

---

(1) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص 355.

(2) مصطفى، دولة بني العباس: ج2 /ص 290؛ خانشاتريان، ديوان النقوش العربية: ج1 / ص 290؛ أميل، تاريخ أرمينيا، ص 24؛ سيد، أرمينية، ص 147.

(3) العريني، الدولة البيزنطية، ص 694؛
Art " Georgia " , Encyclopaedia Britannica: Vol. 10 /p. 290.

عهد الملك بقراط الثالث [1] وبذلك قامت مملكة نصرانية جديدة في المنطقة [2] كان لها دورٌ فعالٌ في مجريات الأحداث التاريخية التي عاشتها بلاد القوقاز فيما بعد.

***** ***** *****

---

1 Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: vol. 4 /p. 621.

(2) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص 356.

الفصل الثاني
مدينة تفليس
دراسة تاريخية من الفتح الإسلامي
وحتى سنة 515هـ/1121م

توطئة

إن ما شكلته بلاد القوقاز بشكل عام وبلاد الكرج بشكل خاص كجزء من الدولة العربية الإسلامية في حقبة العصور الوسطى، جعلها في حركة تأثير وتأثر بالأوضاع السياسية التي سادت المنطقة آنذاك، وكانت سبباً في خلق الكثير من المتاعب التي واجهتها الدولة العباسية، وشغلتها عن مواجهة الأخطار الخارجية الأخرى، ويرجع ذلك إلى أسباب منها الموقع الجغرافي المتميز من ناحية، وتعدد الأعراق والأديان فيها من ناحية أخرى.

عاشت مملكة الكرج زهاء خمسة قرون ابتداءً من سنة 272هـ/885م حين اعترف بها كل من الخليفة العباسي المعتمد والإمبراطور البيزنطي باسيل الأول، وحتى سنة 790هـ/1388م حيث الغزو التيموري، الذي أدى إلى انهيار المملكة وضياع استقلالها، معاصرة بذلك العديد من القوى الإسلامية كالعباسيين والسلاجقة والإمارات الإسلامية في بلاد القوقاز كالشداديين[1]

(1) الشداديون: أسرة حاكمة في إقليم أران الواقع في أذربيجان الحالية للفترة من (340 – 596هـ/ 951 – 1199م)، وانحدرت من المغامر شداد الكردي، الذي نصب نفسه حاكما على مدينة دوين في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. للمزيد من التفاصيل ينظر: إسماعيل شكر رسول، الإمارة الشدادية (اربيل: 2001م)؛ حميدي، مملكة الكرج دراسة في العلاقات السياسية، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب (جامعة الموصل: 2005م)، ص 95.

والشروانيين [1] واتابكية اذربيجان [2] فضلاً عن الخوارزميين والمماليك، كما عاصرت قوى غير إسلامية كالبيزنطيين والأرمن والمغول.

إن الموقع الجغرافي المهم من الناحية الطبيعية والاقتصادية جعل لها مكانة تاريخية، كانت تقف وراء نشوء عدة مراكز حضارية في بلاد الكرج تحولت على مر السنين إلى عواصم ومدن كبيرة وكثيرة، إذ أصبحت مركزاً لتجمع السكان فيها، فضلاً عن كونها مركزاً اقتصادياً، فكانت مدينة تفليس القديمة تاريخياً إحدى هذه المدن التي تبنت حركة الدولة وأصبحت قلب المملكة النابض، ولا سيما بعد أن أصبحت عاصمتها السياسية وحاضرتها الاقتصادية والتاريخية.

أولاً: مدينة تفليس الموقع الجغرافي والتسمية والخطط

1 - الموقع الجغرافي للمدينة

تقع مدينة تفليس في أعالي وادي نهر الكر (كورا) [3] إلى الغرب من مدينة باب الأبواب، ويقسمها هذا النهر إلى قسمين، وتحيط بها أراضي سهلية واسعة [4] تمتاز بخصوبة تربتها، مما أدى إلى نماء اقتصاد المدينة بسبب كثرة إنتاجها الزراعي،

---

(1) الشروانيون: أسرة عربية يرجع نسبها إلى يزيد بن مزيد الشيباني (183 - 185هـ /799 - 801م)، وأسست إمارة إسلامية للحقبة (333 - 622هـ/944 - 1225م) في بلاد القوقاز أي المنطقة المعروفة حالياً بـ (أذربيجان) والواقعة على الساحل الغربي لبحر قزوين وكانت عاصمتهم مدينة شروان أو باب الأبواب التي انتسبوا إليها، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج4/ص36؛ بارتولد، مادة " دربند "، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتاوي وآخرون (القاهرة: 1969م): مج 9/ص178.

(2) اتابكية أذربيجان: أسسها الأمير شمس الدين ايلدكز وظهرت كقوة إسلامية جديدة ولدتها الظروف الصعبة والانقسامات التي عاشتها الدولة السلجوقية، وأخذت هذه الاتابكية على عاتقها أعباء مكافحة الأخطار الخارجية، والدرء عن مناطق نفوذ السلاجقة التي كانت تحت سلطتهم. ينظر: خلدون، تأريخ ابن خلدون: ج5/ ص83.

(3) لستريج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 216.

(4) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 292؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج2 / ص36.

فساعد بعد ذلك على ثراء سكانها [1]، كما أشار الاصطخري إلى أنها ((مدينة ذات أراضي خصبة كثيرة الزروع)) [2]، كما ويطل عليها تل عالي ((تل مطل على المدينة)) [3].

تميزت مدينة تفليس بحصانتها العالية، واغلب بنائها كان من خشب الصنوبر [4]، ومما يشهد على حصانتها وتاريخها العريق تلك الحصون القديمة الموجودة فيها، كما أنها احتلت موقعاً وسطياً في منطقة القوقاز وعلى بعد ستين ميلاً [5] عن ساحل البحر الأسود ونظراً لهذا الموقع الهام اتخذ منها الملوك الكرج عاصمة لهم [6]، ومما يدلل على حصانتها وأهمية موقعها ما أشار إليه ابن واصل من خلال قوله: ((وهي مدينة عظيمة من أحسن البلاد وأحصنها وامنعها، وكانت قبل الإسلام أعظم الثغور ضرراً على مجاوريها من الفرس)) [7]، كما أكد القلقشندي على دور المدينة الكبير من بين مدن بلاد الكرج أثناء حديثه عن مملكة الكرج قائلاً: ((لها ملك دائم وأمها مدينة تفليس)) [8].

2 – تسمية المدينة وخططها

أما تسميتها فقد أطلق عليها عدة تسميات منها تفليسي أو تبليسي، وهي كلمة كرجية الأصل مشتقة من كلمة تفلي أي بمعنى حار، قد تكون هذه الكلمة مستمدة

---

(1) عزت، تاريخ القوقاز، ص 32.

(2) الطبري، تاريخ الرسل:ج 5 /ص 316؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص 110.

(3) الطبري، المصدر نفسه:ج 5 /ص 316.

(4) الطبري، المصدر نفسه:ج 5 /ص 316؛ مؤرخ مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق:ج 3 / ص548.

(5) الميل = 1650م، 60ميل ×1650م = 100كم.

(6) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص 177؛ فهمي، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص 16؛
Marco polo ,The Travels ,Trans. By: Ronald Latham (London:1958) p.19.

(7) ابن واصل، مفرج الكروب:ج4 /ص 181.

(8) القلقشندي، صبح الاعشى:ج 8 /ص27.

من منابع تفليس الحارة، كما عرفت في اللغة الأرمنية باسم تفخيس، وفي اللغة العربية تفليس، وهي كلمة غير عربية اعتمد في إطلاقها على الأصل الكرجي [1]، وكذلك الحال في إطلاق تسمية طفليس عليها من قبل بعض المؤرخين [2].

أما فيما يتعلق بخططها، فعلى الرغم من عدم تقديم المصادر التاريخية صورة واضحة عنها، إلا أنها أوردت بعض الإشارات القليلة والبسيطة، فقد كانت مدينة تفليس كأي مدينة يدخلها الإسلام، إذ يتم فيها بناء مسجد جامع للمسلمين تقام فيه صلاة الجمعة وخطبتها، وقد ذكر ذلك الحنبلي أثناء حديثه عن وفاة الملك الكرجي داؤد الثالث (518 - 559هـ/1124 - 1160م) قائلاً: ((كان عادلاً في الرعية يحضر الجمعة ويسمع الخطبة ويحترم المسلمين)) [3]، كما بنا فيها الملك داؤد الربط للصوفية [4]. أما على جانب التحصينات فقد أشار الإدريسي إلى تحصينات المدينة مؤكداً على إحاطتها بسورين من الطين ((ولها سوران من طين)) [5]، كما كان لها خمسة أبواب ذكرها الطبري، وهي باب الميدان وباب قريس وباب الصغير وباب الربض وباب صغدبيل، فضلاً عن وجود ربض وميدان في المدينة ((فأتاهم زيرك مما يلي الميدان، وأبو العباس مما يلي الربض)) [6]، في حين يضيف ابن الأثير [7] اسماً جديداً لأحد أبواب تفليس وهو باب المرقص.

وبعد التدقيق في هذه الرواية تبين لنا أن هذا الباب هو باب الربض ذاته، وهذا ما أشار إليه الطبري في روايته.

---

(1) مادة " تفليس "، دائرة المعارف الإسلامية: مج5 /ص 375.

(2) البلاذري، فتوح البلدان:ج1/ ص204.

(3) الحنبلي، شذرات الذهب:ج 2 /ص 58.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء:ج19/ص436.

(5) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري (الدار البيضاء: 1997م):ج1 /ص 205؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: إبراهيم الزيبق (بيروت: 1989م): ج2 /ص 825.

(6) تاريخ الرسل: ص 5 / ص 316.

(7) ابن الأثير، الكامل: ج6 / ص 116.

كما ويتوسط المدينة قصر للإمارة، ويعد المركز الإداري الرئيس فيها [1]، وامتازت المدينة بوجود عدد من الحمامات الحارة التي بنيت على عيون الماء المعدنية الموجودة فيها ((وبها حمامات مثل حمامات طبرية ماؤها ساخن من غير نار)) [2]، فضلاً عن بيمارستان [مستشفى] في المدينة خاص لعلاج المسلمين قام ببنائه الملك ديمتري الأول بن داؤد الثالث، عندما اقترح عليه الوزير الزنكي صلاح الدين الأصفهاني [3] (521 - 559هـ/1127 - 1163م) ببنائه في تفليس سنة 557هـ/1161م [4].

أما عن التركيبة السكانية للمدينة فتتكون من الأرمن والكرج النصارى ممن دخلوا في ذمة المسلمين، ودفعوا الجزية لهم بموجب كتاب الأمان الذي منحه لهم حبيب بن مسلمة منذ الفتح الإسلامي، فضـلاً عن العرب المسلمين الذين بدؤوا الاستقرار في المدينة واتخذوا منها موطناً بعد استقرار المنطقة سياسياً في العهد الأموي، والمسلمون يتكونون من قسمين:

الأول: المسلمون العرب ممن هاجروا إليها على شكل قبائل كاملة.

الثاني: المسلمون من السكان الأصليين (الكرج والأرمن) الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح الإسلامي.

---

(1) ابن الأثير، الكامل:ج 6 / ص 116.

(2) الناصري، الاستقصا: ج2 /ص 91؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص 110؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ج2 /ص 825.

(3) جمال الدين الأصفهاني: هو أبو جعفر محمد بن علي الأصفهاني، كان احد أمراء الاتابك عماد الدين زنكي ولاه منصب الاشراف على الديوان، فلما تولى الأمير سيف الدين غازي بن عماد الدين الحكم في الموصل، عُين جمال الدين وزيراً له، وإدارة الدولة بحنكة سياسية، واستبد بالأمور في عهد الأمير قطب الدين مودود بن عماد الدين، حتى تم اعتقاله في عهد قطب الدين بسبب الوشاية عليه وحُبس في القلعة، عاماً كاملاً حتى توفي في سنة 559هـ/1162م، اثر مرض الم به، فدفن في الموصل ثم نقل إلى المدينة المنورة من قبل اسد الدين شيركوه، ودفن بها. للمزيد من التفاصيل ينظر: الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، ص 280.

(4) المصدر نفسه، ص280.

ثانياً: تفليس قبل الفتح الإسلامي

لم تحدد المصادر التاريخ الدقيق لبناء مدينة تفليس، إلا أنها أشارت إلى أن بناءها تم قبل ما يقرب من ألف وخمسمائة وخمسين سنة، على يد ملك الفرس كسرى انوشروان [1] وأدت دوراً كبيراً في الحياة السياسية والحضارية والاقتصادية، إذ أنها تقع في وسط منطقة سهلية خصبة صالحة للزراعة كما أشرنا آنفاً، فقد خضعت حالها حال مدن بلاد الكرج للسيطرة الفارسية، ولا سيما وان بلاد الكرج كانت مسرحاً للصرع السياسي والعسكري بين القوى العظمى آنذاك كالفرس والبيزنطيين، بسبب حدودها المفتوحة من جهتها الشرقية التي جعلتها عرضة للغزوات الخارجية على مر التاريخ [2]، وعلى الرغم من الأحداث التي عاشتها البلاد آنذاك، لم تأخذ مدينة تفليس دورها كعاصمة سياسية ومركز حضاري رئيس إلا في بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، عندما نقل الملك داؤد الثالث بن جورج الثاني (482 - 518هـ/1089 - 1124م)عاصمة مملكته إليها في سنة 515هـ/1121م [3].

ثالثاً: الفتح العربي الإسلامي لمدينة تفليس

لقد تزامن ظهور فجر الإسلام، وقيام الدولة العربية الإسلامية خلال النصف الأول من القرن السابع الميلادي مع ضعف الإمبراطوريات الشرقية والغربية العظمى التي كان لها الغلبة في ذلك العصر (الإمبراطورية الساسانية والبيزنطية)، فاستطاعت هذه الدولة الوليدة قهر دولتي الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين مستغلة حالة النزاع والصراع الذي أضعفهما بشكل كبير [4]، فضمت جميع الأراضي

---

(1) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول، ص274.

(2) للمزيد من التفاصيل عن الأوضاع السياسية آنذاك ينظر: محمد جمال صادق أبه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس والجركس (دمشق: 1996م): ج1 / ص 181 - 192.

(3) أبه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس: ج 1/ص 181.

(4) عزت، تاريخ القوقاز، ص 23 - 24.

التابعة للفرس في كل من العراق وإيران وأفغانستان، كما ضمت أراضي البيزنطيين في الشام ومصر وبعض أجزاء آسيا الصغرى، وواصلت تقدمها شرقاً وغرباً، حتى بلغت أقاليم ما وراء النهر، وأصبحت دولة الخلافة تضم قوميات وأعراقاً متعددة إلى جانب العرب [1].

تمكنت دولة الخلافة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من فتح أرمينيا الكبرى بعد قهر الجيوش البيزنطية، ففتحتها في سنة 22هـ/640م وضمت إلى حظيرتها الجزء العلوي من منابع نهري دجلة والفرات، فمنح سراقة بن عمرو الأمان لسكانها، وكتب لهم بذلك كتاباً شهد عليه عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله ومرضي بن مقرن [2]، فوجه سراقة بعد ذلك بكير بن عبد الله إلى موقان وحبيب بن مسلمة إلى تفليس وحذيفة إلى جبال اللان، وفي أثناء ذلك توفي سراقة بن عمرو، فولى الخليفة عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن ربيعة بدلاً عنه، واستمر القادة الثلاثة الذين عينهم سراقة في أداء مهامهم، إلا أنهم لم يحققوا ما كلفوا به سوى بكير بن عبد الله الذي فتح موقان، وكتب لأهلها كتاب أمان بذلك، وفي طريق حبيب بن مسلمة إلى تفليس قصبة بلاد الكرج آنذاك، وقعت حادثة ((ذات اللجم)) حيث أشار البلاذري إلى أن فريقاً من الجيش العربي الإسلامي بلغ في طريقه إلى تفليس مرعى على نعر، فنزلوا فيه وسرحوا خيولهم ودوابهم وفي أثناء ذلك، وبينما هم في راحة هاجمهم قوم من سكان المنطقة، ونتيجة للمباغتة عجزوا عن لجم خيولهم فتركوها، وبعد انسحاب القوم عنهم، قاموا بجمع ما تبقى من خيولهم، ولحقوا بالمغيرين، ونجحوا في استرجاع ما أُخذ منهم، ومنذ ذلك الحين أطلق العرب المسلمون على الموضع تسمية ذات اللجم [3].

وصل الأمير جبيب إلى جرزان [بلاد الكرج] فخرج إليه رسول البطريق المدعو نيقولا تيوفيلاس، وقدم إليه رسالة من أهل بلاد الكرج يطلبون فيها الأمان،

---

(1) ارسلان، أرمينيا الأمة والدولة، ص 37 - 38.

(2) الطبري، تاريخ الرسل: ج2 /ص 540 - 541.

(3) سيد، ارمينية، ص 61.

كما قدم إليه الرسول هدية نفيسة، فكتب إليهم حبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

((أما بعد فإن تفلي رسولكم قدم علي وعلى الذين معي من المؤمنين، فذكر عنكم أنا أمة أكرمنا الله وفضلنا، وكذلك فعل الله وله الحمد كثيراً وصلى الله على محمد نبيه وخيرته من خلقه وعليه السلام، وذكرتم أنكم أحببتم سلمنا وقد قومت هديتكم وحسبتها من جزيتكم، وكتبت لكم أماناً اشترطت فيه شرطاً فإن قبلتموه ووفيتم به وإلا فأذنوا بحرب من الله ورسوله والسلام على من اتبع الهدى)) [(1)].

وافق الكرج على ذلك، واقروا ما جاء في كتاب حبيب، فاستأنف طريقه إلى تفليس قصبة الإقليم الرئيسة، وخرج أهلها للصلح فكتب إليهم الأمان التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

((هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس من جرزان ارض الهرمز بالأمان على أنفسكم وصوامعكم وبيعكم على الإقرار بالصغار والجزية على كل أهل بيت دينار وان لنا نصحكم ونصركم على عدو الله وعدونا وقري المجتاز ليلة من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرابهم وهداية الطريق في غير ما يضر فيه بأحد منكم، فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة وأديتم الزكاة فإخواننا في الدين ومواليننا ومن تولى عن الله ورسله وكتبه وحزبه، فقد أذناكم بحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين شهد عبد الرحمن بن خالد والحجاج وعياض وكتب رباح واشهد الله وملائكته والذين آمنوا وكفى بالله شهيداً)) [(2)].

وأورد البلاذري نص الكتاب وهو مشابه من حيث المضمون لما أورده الطبري، إلا انه أورد تفاصيل وشروط أكثر دقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

((هذا كتاب حبيب بن مسلمة لأهل طفليس من منجليس من جرزان الهرمز بالأمان على أنفسكم وبيعكم وصوامعكم وصلواتكم ودينكم على إقرار بالصغار

(1) البلاذري، فتوح البلدان: ج1 /ص 204.

(2) الطبري، تاريخ الرسل: ج2 /ص 544 – 545.

والجزية على كل أهل بيت دينار، وليس لك أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفاً للجزية ولا لنا أن نفرق بينه استكثاراً منها، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما استطعتم وقري (الإحسان إليه) [1] المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا وان أبتم وأقمتم الصلاة فإخواننا في الدين وإلا فالجزية عليكم وان عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيدا)) [2].

إن كتب الأمان التي كتبت بين المسلمين والكرج لخير دليل على التسامح الإسلامي تجاههم بل تجاه أصحاب الأديان الأخرى، ومدى ما منحهم الإسلام من حقوق، فإن العرب المسلمين برغم الفوارق الدينية بينهم وبين بعض سكان المناطق التي فتحوها، لم يحاولوا قط القضاء على دين مخالف، أو استئصال أمة أو صهر عنصر غير عربي في المجتمع العربي، لقد كانت دعوتهم عند كل فتح واضحة وهي الإسلام أو الجزية أو الحرب، وقد أساء بعض الباحثين فهم هذه الدعوة، وما انطوت عليه من سمو، فالإسلام فرض على المسلمين أن لا يبدؤوا بقتال الوثنين أو غير أصحاب الديانات السماوية إلا بعد دعوتهم إلى الإسلام، وان رفضوا الدخول في الإسلام فلا إكراه في الدين، كما ورد في القرآن الكريم، ولكن كان يترتب عليهم عندئذ دفع الجزية، وفرضت الجزية على غير المسلم، وكان ذلك من مقتضيات الدفاع عن الدولة وحمايتها لرعاياها الذين أعفوا من الخدمة في الجيش، حيث كان الطابع الغالب آنذاك على العلاقات الدولية اتخاذها الطابع الديني، وكان من الطبيعي أن لا يحارب غير المسلم طالما عزف عن اعتناق الإسلام بمحض إرادته ولا يمكن أن يحارب شخص لنشر عقيدة دينية لا يؤمن بها، فقد كانت الجزية عبارة عن ضريبة دم تعفي صاحبها عن الخدمة الإجبارية ولتغطية نفقات

---

(1) قرى: القرى هو الإحسان، وقري الضيف الإحسان اليه. ينظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح (بيروت:1981م)، ص533.

(2) البلاذري، فتوح البلدان: ج1 /ص 204 – 205.

الحرب، وقد اعفي من دفع الجزية كل من القسس ورجال الدين والنساء والأطفال والشيوخ المقعدين [1].

لذلك كان الكرج من سكان تفليس ممن لم يدخلوا الإسلام رعايا تابعين للدولة العربية الإسلامية، والواجب عليها حمايتهم طالما التزموا بدفع الجزية، أما من دخل الإسلام من سكان تفليس فقد أرسل إليهم الأمير حبيب بن مسلمة فقيهاً ليعلمهم أصول الإسلام ومبادئه وتعاليمه [2].

رابعاً: تفليس في العصر الأموي

استقرت الأوضاع في بلاد القوقاز بعد الفتح العربي الإسلامي بسبب التعامل الحسن الذي أبداه المسلمون تجاههم، واستمر ذلك حتى العهد الأموي، ومما يؤكد ذلك أن جماعات المهاجرين العرب بدأت بالهجرة نحوها للإقامة في حواضرها والبدء بحياة جديدة وتجعل منها موطناً مستقراً، وكانت تفليس من أهم المدن التي استقبلت أفواج المهاجرين الأوائل [3]، فضلاً عن المدن الأخرى كبرذعة وخلاط ودبيل ومنازكرد وأرجيش، وقد استقر العرب أولاً في قرى أقاموها إلى جانب هذه المدن ليكونوا عوناً للحاميات العربية الإسلامية فيها، ثم ما لبثوا أن دخلوا تلك المدن واستقروا فيها، واتخذوا منها قاعدة وثغراً وعدّوا بعد أجيال جزءً منها [4].

أصبحت تفليس تحت السيادة الأموية يعينون عليها الولاة والأمراء المسلمون من أبناء الخلفاء وإخوانهم طيلة العهد الأموي. كما ضربت النقود فيها سنة 85هـ/ 704م على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65 - 68هـ/684 - 687م).

أقر يزيد بن عبد الملك (101 - 105هـ/ 719 - 723م) لأهل تفليس بما منحهم إياه حبيب بن مسلمة، وكان ذلك الإقرار من قبل الجراح بن عبد الله أمير

---

(1) ارسلان، أرمينيا الأمة والدولة، ص 39.

(2) مادة " تفليس "، دائرة المعارف الإسلامية: مج5 /ص 377.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج 2 /ص 125.

(4) سيد، أرمينية، ص78.

الخليفة يزيد فيها [1]، وفي سنة 111هـ /729م عزل هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة عن أرمينيا وأذربيجان، وولي عليها الجراح بن عبد الله الحكمي [2].

خامساً: تفليس في العهد العباسي

انهارت الدولة الأموية في سنة 132هـ /750م وآل الحكم إلى العباسين الذين بسطوا نفوذهم على جميع مناطق نفوذ الأمويين، فَعُومِلَت ولاية أرمينيا كما كانت عليه في العصر الأموي، وتم تعين الولاة فيها من العرب المسلمين، ففي ولاية عامر بن إسماعيل سنة 141هـ /759م حدث تمرد من قبل النصارى الصنارية في أرمينيا، إلا أن والي تفليس عامر بن إسماعيل نجح في إلحاق الهزيمة بهم، وعاد إلى تفليس[3] وفي سنة 147هـ/765م استغل الخزر فرصة انشغال العباسيين في توطيد أركان دولتهم، فأغاروا على مدينة تفليس، فتصدى لهم المسلمون بقيادة الأمير جبريل بن يحيى، إلا أنهم لم يتمكنوا من صدهم، وقتل مقدمهم حرب بن عبد الله الراوندي [4].

أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور في سنة 148هـ /766م قائده حميد بن قحطبة الطائي، لغزو الخزر الذين أغاروا على تفليس وعاثوا بإعمالها نهباً وسلباً، إلا انه لم يجد منهم أحداً لهروبهم قبل وصوله [5]، استمرت ولاية أرمينيا وأذربيجان في تبعيتها للخلافة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد، وهي على أحسن حال من الأمن والاستقرار والأمن ويرجع ذلك إلى حسن معاملة ولاتها للرعية من

---

(1) مادة " تفليس "، دائرة المعارف الإسلامية:مج 5 /ص 378.
(2) أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمري (بيروت: 1397هـ):ج 1 /ص 341.
(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج2/ ص464؛ مادة " تفليس "، دائرة المعارف الإسلامية: ج5 / ص378.
(4) الطبري، تاريخ الرسل:ج 4 / ص482؛ الحنبلي، شذرات الذهب: ج1/ ص219؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج10 /ص 103.
(5) ابن كثير، البداية والنهاية: ج10 /ص105.

المسلمين والنصارى على حدٍ سواء حتى سنة 180هـ/ 795م حيث ولى الرشيد الأمير خزيمة بن خازم التميمي، فقتل الملوك والبطارقة وعامل الرعية معاملة سيئة، مما أدى إلى انتفاض سكانها، فوجه الخليفة الرشيد إليهم الهيثم بن شعبة التميمي للقضاء على التمرد، فنجح الهيثم في تحقيق الهدف المرجو وانصرف إلى تفليس، وبقي خزيمة التميمي والياً عليها حتى سنة 181هـ/796م، وولي بعده سليمان بن يزيد بن الأصم العامري فاستقرت الأمور فيها [1]، بينما تولى اسحق بن إسماعيل التفليسي على مدينة تفليس، التي أصبحت القاعدة التي تنطلق منها القوات الإسلامية للتصدي للأخطار الخارجية وأي محاولة تمرد ضد الخلافة العباسية [2].

وعندما آلت الخلافة إلى المأمون (198 - 218هـ/813 - 833م) ولى الحسن بن علي الباذغيسي على أرمينيا وأذربيجان فكتب الأخير إلى اسحق بن إسماعيل أمير تفليس، يأمره بحمل الأموال إليه، فحاول اسحق الامتناع عن دفع الأموال ورد رسل الوالي الحسن بن علي فزحف الأخير إلى تفليس، وبمجرد سماع اسحق بذلك خرج إليه واستقبله وسلمه الأموال التي طلبت منه، فانصرف عنه الحسن تاركاً المدينة تحت حكمه [3].

سادساً: تفليس مقراً لإمارات إسلامية شبه مستقلة

لم يلبث اسحق بن إسماعيل أن استقل بحكم تفليس كإمارة في بلاد الكرج للحقبة (215 - 239هـ/830 - 845م) مستقلاً بعدها عن بغداد مركز الخلافة طيلة عهد المعتصم (218 - 227هـ/833 - 841م)، وعندما تولى الواثق (227 - 232هـ/ 841 - 846 م) اقر اسحق على تفليس بل وتعدى ذلك أن أطلق يده في بلاد أرمينيا الكبرى إلا أن والي أرمينيا يوسف بن محمد بن خالد نجح في ردع الأمير اسحق

---

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج2 / ص464.

(2) ينظر: مادة " تفليس " دائرة المعارف الإسلامية: مج5 / ص378.

(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج2 / ص464.

عما كان يهدف إليه[1].

أما بطارقة أرمينيا فقد خرجوا على واليها يوسف بن محمد بن خالد فقتلوه في سنة 238هـ/844م، مما دفع بالخليفة المتوكل إلى تجهيز حملة عسكرية لتوجيه ضربة تأديبية لهم، وعين على رأسها الأمير بغا الكبير، فالتقى بقواتهم عند مدينة دبيل ونجح في إلحاق الهزيمة بهم، مكبداً إياهم بخسائر بشرية ومادية فادحة، ثم أمره الخليفة المتوكل بالتوجه إلى تفليس [2]، التي تغلب عليها الأمير اسحق بن إسماعيل مولى بني أمية، بعد أن خلع طاعة الخليفة العباسي في بغداد اثر مساندته من لدن سكان المدينة المسلمين ممن كانوا معه، فضلاً عن العناصر غير العربية التي نجح في إخضاعها لسلطته، فأذعنوا إلى دفع الجزية إليه [3].

عندما وصل الأمير بغا إلى الجهة الشرقية لنهر الكر أمر قادته زيرك التركي والأمير أبو العباس الواثي النصراني بالعبور إلى الجهة الغربية، فوصل الأمير زيرك إلى ميدان تفليس، وأبو العباس إلى منطقة الربض، مما جعل الأمير اسحق أمام موقف حتم عليه الخروج لمواجهتهم ومقاتلة القوات العباسية، فاصطدم بزيرك ودارت بينهما مناوشات، وكان الأمير بغا يراقب سير القتال من التل المطل على المدينة الذي أقام عليه معسكره، فأمر النفاطين بضرب المدينة بالنار اليونانية بوساطة المنجنيقات المنصوبة حولها، مما أدى إلى اشتعال النار فيها، وساعد هبوب الرياح على ذلك، ولا سيما إن اغلب بناء المدينة من خشب الصنوبر، وعندما شاهد اسحق النيران وهي تلتهم قصره وجواريه، فأحاطت به أدرك عدم قدرته على الاستمرار في القتال، فوقع في الأسر مع ولده عمر، واقتيد إلى الأمير بغا الذي أمر بقتله، وعلقت جثته على نهر الكر، واسر عدداً كبيراً من قواته، ومُنح الأمان لزوجته مع القوات التي ترافقها في مدينة صغدبيل، مقابل تسليم أسلحتهم

(1) مادة " تفليس " دائرة المعارف الإسلامية: مج5 / ص379.

(2) الذهبي، العبر: ج1/ص 425؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج1 / ص317؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج2 / ص219؛ الحنبلي، شذرات الذهب: ج 2 /ص 57.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج2/ص 125؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج12/ص36.

وعدتهم ومغادرة المدينة [1].

عادت القوات العباسية إلى مدينة سامراء عاصمة الخليفة المتوكل، وهي تحمل رأس إسحق بن إسماعيل بعد ان استغرقت مدة ثلاثين يوماً، فقال الشاعر في ذلك:

أهــلا وســهلا بــك مــن رســول جــئت بمـــا يــشـفي الغلــيل
بجملـــةٍ تغنـــي عـــن التفـــصيل بـــراس اســحق بـــن إســـماعيل [2]

كانت هذه أول بادرة تمرد في تفليس وأعمالها على طاعة الخليفة العباسي، وكانت سبباً في ضعف هيبة الخلافة فيها وظهور حركات تمرد أخرى [3].

كان لتخريب الإمارة الإسلامية في تفليس غلطة لا يدرك إصلاحها، وقعت فيها الخلافة، ولا سيما وان هذه الإمارة أصبحت المركز الذي تجمع حوله المسلمون الآهلون في المنطقة، ويرى المؤرخون العرب المسلمون أن سلطان الدولة العربية الإسلامية في بلاد القوقاز بدأ بالاضمحلال منذ ذلك الحين [4]، إذ أن الكفار من مختلف الأعراق كانوا يحيطون بسكان تفليس من كل جانب، إلا أنهم على الرغم من ذلك بقوا متمسكين بها بكل شجاعة وصمود، يساعدهم في ذلك عددهم الكبير فيها، وبعض الإمدادات التي تصل إليهم بين حين وآخر [5].

على الرغم من انهيار إمارة اسحق بن إسماعيل في تفليس، فقد قامت محلها في سنة 276هـ/886م إمارة إسلامية أخرى، نجحت في القبض على مقاليد الأمور بيد قوية مع خضوعها لبغداد، وهي الأسرة الساجية (276 - 317هـ/ 886 - 927م) فسار الأمير يوسف إلى تفليس في سنة 302هـ/912م لمساعدة المسلمين فيها والشد من أزرهم، وكان أميرها آنذاك جعفر بن أبي الساج، كما مثلت مدينة متسخيتا (مسجد ذو القرنين) العاصمة الرئيسة للكرج، وأشارت المصادر التاريخية إلى أن

---

(1) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل: ج5 /ص 316.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج3 / ص410.
(3) المصدر نفسه: مج 2 / ص125.
(4) ياقوت الحموي، المصدر نفسه: مج2 / ص58؛ مادة " تفليس "، دائرة المعارف الإسلامية.
(5) مادة " تفليس "، دائرة المعارف الإسلامية: مج 5 / ص380.

هذه الحملة كانت فيما بين (308 - 313هـ/ 918 - 923م) حيث نجحت قوات الأمير جعفر في الاستيلاء على العاصمة الكرجية متسخيتا على الرغم من أن المصادر الإسلامية قد أغفلت ذكرها [1].

سادت الاضطرابات السياسية المنطقة خلال السنوات 370 - 406هـ/ 980 - 1014م فاستغل الملوك الكرج الفرصة فوحدوا بعض أجزاء بلادهم، مما دفع بفضلون الشدادي (375 - 422هـ/ 985 - 1030م) أمير دوين إلى غزو مناطق في بلاد الكرج وأرمينيا الكبرى، إلا انه كُبِدَ بخسائر أمام القوات الكرجية، وفي سنة 420هـ/1030م اتبع ملك الكرج بقراط الرابع (419 - 464هـ/1027 - 1072 م) سياسة فرق تسد بين القوى الإسلامية، فشن بالتعاون مع الأمير ليبريت الاوربلي صاحب كاخثيا الكرجي يعاونهم الأمير جعفر بن أبي الساج أمير تفليس هجوماً على مناطق نفوذ الأمير فضلون [2]، وبعد تخلص الكرج من خطر الأمير فضلون الذي توفي في سنة 425هـ/1033م استغلوا الفرصة للانفراد بالأمير جعفر فهاجم الأمير ليبريت مدينة تفليس، واسر الأمير جعفر الذي بقي أسيراً عنده حتى تشفع له الملك الكرجي بقراط الرابع وأطلق سراحه [3]، وعلى ما يبدو أن توسط الملك الكرجي بقراط الرابع لإطلاق سراح الأمير جعفر لم يكن خوفاً عليه أو احتراماً لعلاقات الجوار والتعاون المشترك ضد الأمير فضلون، وإنما خشيته من سيطرة الأمير ليبريت على تفليس، لا سيما ان الأخير كان يمثل منافساً قويا للملك بقراط الرابع، ويسعى دائماً إلى إخضـــاع أراض كرجيـة أخرى إلى مناطق نفوذه.

وعلى الرغم من ذلك فقد هاجم الملك بقراط الرابع مدينة تفليس في سنة 429هـ/1037م، وفرض عليها حصاراً قاسياً، إلا أن سكانها صمدوا بوجه الحصار

---

(1) مادة " تفليس "، دائرة المعارف الإسلامية: مج5 /ص 380 - 381.

(2) أبو حامد الاندلسي، تحفة الالباب، ص 118 نقلا عن: رسول، الإمارة الشدادية، ص 85؛ V. Minorsky , Art:"Al Kurdj" , In Enc. Of Islam (London:1981):Vol.5/ p. 289;W. Madelung , The Minor Dynasties Of Noethren Iran , In Cam. His. Of Iran:Vol. 4 /p. 243.

(3) مادة " تفليس " دائرة المعارف الإسلامية: مج5 /ص 381.

المفروض عليهم، مما اضطر الملك بقراط الرابع إلى عقد الصلح مع الأمير جعفر بن أبي الساج والانسحاب عن المدينة [1].

يعزو ابن الأثير انسحاب القوات الكرجية إلى أسباب أخرى منها صمود السكان بوجه الحصار الكرجي الذي فرضه الملك بقراط الرابع على الرغم من نفاذ المؤن والإمداد من ناحية، وإرسالهم إلى أذربيجان يطلبون المساعدة والإمدادات بالعدة والرجال من ناحية أخرى، فلما علم الكرج باستعداد المسلمين في أذربيجان للسير إليهم، خشوا من بطشهم فانسحبوا عن المدينة [2].

توفي الأمير جعفر في سنة 430هـ/1038م فسلم أعيان المدينة مفاتيحها للملك بقراط الرابع، فاحتل احد قلاعها الواقعة على ضفتها اليمنى، مما اضطر السكان القاطنين في جهتها الشمالية إلى قطع الجسر الذي يربط بين ضفتي المدينة، فأمر الملك بقراط برميها بالمنجنيقات [3] الا انه اضطر إلى الانسحاب عن المدينة بسبب الضغط الداخلي الذي شكله بعض الأمراء الكرج المتمردين على حكمه [4].

سابعاً: تفليس في العهد السلجوقي

عندما ظهر السلاجقة كقوة عسكرية في المنطقة اثر معركة ملاذكرد سنة 463 هـ/1071م التي اخضعوا فيها أرمينيا الكبرى لسلطتهم، فضلاً عن آسيا الصغرى وإيران وبعض أجزاء بلاد الجزيرة الفراتية، فبدءوا بالإغارة على مدينة كنجة في بلاد القوقاز سنة 445هـ/1053م، إلا أن البيزنطيين المتحالفين مع الملك بقرط الرابع نجحوا في التصدي لهم، فاستدعى أهل تفليس مرة أخرى الملك الكرجي، فاسترد جزءاً من الحصون والقلاع التابعة له [5].

لقد تزامن ذلك مع بدء السلطان ألب ارسلان بالإغارة على بلاد الكرج

(1) مادة " تفليس " دائرة المعارف الإسلامية: مج5 / ص380.

(2) ابن الأثير، الكامل:ج 8 /ص 226.

(3) مادة " تفليس " دائرة المعارف الإسلامية: مج5 /ص 381.

(4) حميدي، مملكة جورجيا، ص 87 - 88.

(5) L. Brehier , The Life And Death of Byzantium (New York: 1977),178.

بالتعاون مع الأمير الشدادي فضلون الثاني (459 - 484هـ/1066 - 1091م) ونجح في استعادة تفليس لسلطان المسلمين بعد أن قَتَلَ وأَسَرَ عدداً كبيراً من الكرج وجنى كماً هائلاً من الغنائم [1]، فعوض السلطان ألب ارسلان الأمير فضلون الثاني عما فقده، ومنحه حكم مدينة تفليس في سنة 460هـ/ 1068م [2].

وعلى ما يبدو أن قيام السكان في تفليس باستدعاء الملك بقراط الرابع لتسليمه المدينة في هذه المرة لم يكن تواطؤاً أو تهاوناً، وإنما خشيةً من بطشه وإمعانه في تدمير المدينة، وتقتيل سكانها الآمنين، كما فعل في المرة السابقة سنة 429هـ/1068م عندما تم قطع الجسر.

عاد الملك بقراط إلى عاصمته ميسخيتا في سنة 461هـ/1068م، إلا انه عاود مهاجمة مدينة تفليس والحق بقوات الأمير فضلون خسائر فادحة مما اضطره إلى الفرار وترك المدينة، لكنه وقع أسيراً بيد الأمراء الكرج وأطلق الملك بقراط سراحه بعد أن تنازل له عن تفليس، فضلاً عن عدد من القلاع كالدسكرة والحسين، فسار السلطان ألب ارسلان إلى مدينة تفليس وأغار عليها ونجح في اعادتها إلى حكم الأمير فضلون [3].

بعد وفاة الملك بقراط الرابع في سنة 464هـ/1072م تولى الحكم ولده جورج الثاني (464 - 481هـ/1072 - 1089م) فنقل عاصمته من مدينة متسخيتا إلى كوتايس [4]، وبقيت مدينة تفليس تحت الحكم الشدادي حتى سنة 515هـ/1121م.

اعتلى الملك داؤد الثالث العرش بعد وفاة والده في سنة 481هـ/1089م

---

(1) ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 169؛ صدر الدين بن علي الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، اعتناء:محمد إقبال (بيروت:1984م)، ص 47؛ رسول، الإمارة الشدادية، ص94.

(2) V. Minorsky , Art:" Al Kurdj " , In Enc. Of Islam:Vol. 5/p.289 ; Studies In Caucasian History (London:1953) , P.23 ; C. Toumanoff, Armenia And Georgia,In Cam. Med. His.(Cambridge: 1953):Vol. 4/p.23.

(3) Minorsky , Art:" Al Kurdj " , In Enc. Of Islam: Vol.5/ p.289 ; A History Of Sharvan And Darband In The 10th - 11th Centuries (Cambridge: 1958) , P.67.

(4) Toumanoff, Armenia And Georgia,In Cam. Med. His.: vol.4/ p.623.

ونشطت السياسة العدائية الكرجية ضد المسلمين في عهده، فبدؤوا بمهاجمة الأراضي الإسلامية المجاورة في أرمينيا وأذربيجان في سنة 513هـ/1119م، واستولى الملك داؤد الثالث على بعض أجزائها عندما هاجم مدينة تفليس في سنة 515هـ/1121م [1]، إلا أن تلك السيطرة لم تدم سوى بضع أشهر إذ تمكن المسلمون من طردهم واسترداد المدينة [2].

أعاد داؤد الثالث ملك الكرج مهاجمة المدينة في السنة ذاتها، واستعان بعناصر من قوميات أخرى في مهاجمة المدينة كالخزر والقفجاق [3]، وأشار ابن العمراني إلى أن هذه الحملة كانت في سنة 516هـ/1122م [4] بينما يشير حسنين إلى أن تاريخ الحملة كان في سنة 513 هـ/1119م، وان دخول الكرج إلى مدينة تفليس كان سنة 514هـ/1120 [5].

وبعد البحث والتمحيص في كلا الروايتين لم نتمكن من التوصل إلى المصادر التي نقلوا عنها، وان التاريخ الدقيق للحملة الكرجية هو سنة 515هـ/ 1121م، وذلك لإجماع المؤرخين عليه كابن القلانسي وياقوت الحموي وغيرهما.

جهز السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي (512 - 525هـ/1118 - 1131م) حملة عسكرية إلى الأراضي الكرجية لتوجيه ضربة تأديبية لملكها، وانضم إليه ولده طغرلشاه صاحب ارضروم والأمير نجم الدين ايلغازي بن أرتق الأرتقي (498 - 515هـ/1104 - 1121م) صاحب ماردين ودبيس بن صدقة [6] أمير

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 269؛ الحسيني، اخبار، ص 81، أبو عبد الله محمد بن علي العظيمي، تاريخ العظيمي: الموسوعة الشامية الشاملة، تحقيق: سهيل زكار (دمشق: 1995م):ج 1 /ص 62.

(2) رسول، الإمارة الشدادية، ص 94.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 168؛ الذهبي، العبر: ج4 /ص 31.

(4) للمزيد من التفاصيل ينظر: محمد بن محمد بن علي، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي (ليدن:1973م)، ص 304.

(5) دولة السلاجقة، ص 104.

(6) دبيس بن صدقة:هو دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي، وكان مقيماً في خدمة السلطان منذ سنة 505هـ/1111م. ينظر: الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني =

العرب [1]، إلا أن تلك القوات كُبدت بخسارة على يد الملك الكرجي داؤد على الرغم من تفوقها العددي، وقُتِلَ عدد كبير من رجالها، واسر ما يقرب من أربعة آلاف رجلاً، كما تعرض الأمير ايلغازي نفسه لخطر القتل أو الأسر لولا استماتة صهره دبيس بن صدقة في الدفاع عنه [2]، فكانت تلك الخسارة سبباً في دخول القوات الكرجية إلى مدينة تفليس في السنة ذاتها [3].

ويعزو ابن الأثير سبب تلك الخسارة واستيلاء الكرج على تفليس إلى المكيدة التي دبرها الملك داؤد الثالث إذ أمر مائتي رجل من القفجاق المتحالفين معه بالخروج إلى القوات الإسلامية، فظنوا أنهم استسلموا لهم وأنهم طالبوا أمان، وبمجرد أن أصبح هؤلاء الرجال بين صفوفهم اخذوا في إطلاق النشاب، مما أدى إلى اضطراب القوات الإسلامية وإرباكها وظن معظمهم أنها الهزيمة فتركوا ساحة المعركة، فكانت خسائرهم فادحة، فحاصرت القوات الكرجية المدينة ودخلها بالقوة [4] وبقيت في أيدي الكرج على الرغم من المحاولات العديدة التي بذلت لاستردادها في سنة 517 هـ/1123م، إلا أن الفشل كان من نصيبها [5].

وعلى ما يبدو أن الاستيلاء الكرجي على مدينة تفليس، كان يرجع إلى عدم وجود مقاومة بشكل يمكن من الحفاظ عليها، وذلك لضعف الأسرة الشدادية المسلمة التي تتولى حكمها بالنيابة عن السلاجقة بسبب الصراعات الداخلية بين

-

البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق (بيروت: 1960م)، ص 115؛ كمال الدين أبو القاسم عمر بن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تعليق واعتناء: علي سويم (انقرة: 1976م)، ص225 – 235.

(1) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، الموسوعة الشامية الشاملة، تحقيق: سهيل زكار (بيروت: 1988م): ج7 /ص 3482.

(2) للمزيد من التفاصيل، ينظر: خليل، الإمارات الأرتقية، ص 256 – 257.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 204 – 205؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 202؛ ابن واصل، مفرج الكروب:ج 4 /ص 182.

(4) ابن الأثير، الكامل:ج10/ص567؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص202.

(5) ابن واصل، مفرج الكروب: ج4/ص182؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: ج5/ص49.

أبنائها على تولي الحكم في المدينة من ناحية، ومجيء أمراء ضعاف سياسيا ويفتقرون إلى الحنكة، وغير قادرين على التصدي للكرج من ناحية أخرى لانهماكهم في أمور اللهو والمرح مما ادى إلى قلة الاهتمام بحماية المناطق والسكان، وبذلك خرجت مدينة تفليس - التي مثلت أحد الثغور الإسلامية المهمة بالنسبة للدولة العربية الإسلامية واحد المراكز التي تجمع حولها مسلمو بلاد القوقاز - من أيدي المسلمين لتخضع لسيطرة الكرج الذين اتخذوا منها عاصمة لملكهم بدلاً من مدينة كوتابسي في سنة 515هـ/1121م، ويدفعهم في ذلك أسباب أشرنا إليه آنفاً كموقعها الجغرافي المهم، وحصانتها المتميزة، فضلاً عن سعيهم لمنع أي محاولة إسلامية تهدف إلى إعادتها إلى أيدي المسلمين، ولا سيما وأنهم اخذوا بإضافة تحصينات أخرى تعزز من قدرة صمودها بوجه الأخطار الخارجية، فأصبحت قاعدة كرجية لضرب المسلمين بعد أن كانت قاعدة إسلامية مهمة في بلاد القوقاز.

***** ***** *****

الفصل الثالث

المصاهرات السياسية بين الأسرة الكرجية الحاكمة وبعض أمراء المسلمين في العصر العباسي

مثلت حالات المصاهرات السياسية بين الأسرات الحاكمة من مختلف الأعراق والأديان وعلى مر العصور التاريخية نوع من أنواع المهادنة والمصالحة الهادفة إلى إقرار الأمن والاستقرار وإرساء قواعد السلام بين الدول المتجاورة، لا سيما في الأوقات التي يعتري فيها الضعف بعضها في اغلب الأحيان، ولم يقتصر عند هذا الحد بل أن الكثير من الدول عقدت بينها صفقات المصاهرات السياسية، وهي تعيش حالة قوة سياسية وعسكرية وازدهار ورخاء اقتصادي، وكانت المصاهرات السياسية بين هذه الأسر تتم على أربعة أشكال وهي:

الأول: أن تكون الدولتان في حالة قوة وازدهار سياسي واقتصادي واجتماعي، فتسعى كل من الأسر الحاكمة فيهما إلى كسب ود الطرف الآخر، من اجل تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية لكليهما.

الثاني: أما الشكل الثاني فيكون على عكس الشكل الأول من حيث الإطار الخارجي، إذ تعقد المصاهرات بين الأسر الحاكمة لدولتين ضعيفتين سياسياً وعسكرياً، إلا أنهما يشتركان في هدف أساسي، وهو تحقيق الاستقرار وضمان الحفاظ على ممتلكاتهم أمام الأخطار الخارجية المحدقة بهما.

الثالث: أن تكون إحدى هاتين الدولتين في حالة ضعف سياسي وعسكري، فتكون غير قادرة على الدفاع عن أراضيها وممتلكاتها أمام هجمات القوى المجاورة، فتسعى إلى عقد المصاهرات مع إحدى الدول القوية من اجل تحقيق هدفين: احدهما الحفاظ على أراضيها

وضمان عدم مهاجمتها من قبل تلك الدولة، وثانيهما: ضمان الحصول على تأييدها ضد الأخطار الخارجية الأخرى، فتكون هذه المصاهرة بمثابة اتفاقية دفاع مشترك بينهما.

الرابع: عندما يعتري الضعف دولة من الدول، وتدخل في حالة حرب مع دولة أخرى أقوى منها عسكرياً ومستقرة سياسياً واقتصادياً، فتهزم أمامها، فتفرض عليها شروط من لدن الطرف المنتصر، وغالباً ما يكون احد الشروط أن يزوج الطرف الخاسر إحدى بناته أو شقيقاته للطرف المنتصر.

إن هذه المصاهرات السياسية كثيرة من حيث الدول والفترات التاريخية، لذلك سنقتصر وبحكم تخصصنا على قوة واحدة، وهي مملكة الكرج التي ارتبطت مع العديد من القوى الإسلامية، وعبر فترات مختلفة بعلاقات زواج ومصاهرات سياسية مثلت الأشكال الأربعة الأنفة الذكر وسنتناولها حسب التسلسل التاريخي، بغض النظر عن تلك القوى والمناطق التي كانت تحكمها، وسندرجها جميعاً كطرف إسلامي أمام طرف غير إسلامي.

ومن اجل فهم الموضوع وامتداداته بشكل أكثر دقة وتفصيل لا بد من الحديث عن الموقع الجغرافي لبلاد الكرج والأوضاع السياسية التي عاشتها، ومن ثم تقديم نبذة مختصرة عن القوى الإسلامية التي عاصرتها سواء المجاورة أم غير المجاورة التي ارتبطت معها بمصاهرات سياسية.

تعد المنطقة التي تقع فيها بلاد الكرج من المناطق التي شغلت الدولة العربية الإسلامية كثيراً، بسبب ما خلقته من متاعب ومصاعب، نتيجة اختلاف الأجناس والأديان فيها، وخاصةً بعد أن بدأت تستقل عن الخلافة العباسية تحت حكم الأسرة البقراطية الإقطاعية القديمة، التي تمادى أمرائها في الإغـارة على الأراضي الإسـلامية المجاورة [1].

وقد أدى استفحال أمرهم إلى الاعتراف بهم كمملكة مستقلة في سنة272هـ/

(1) مصطفى، دولة بني العباس: ج2/ ص489؛
L. Brehier , The Life And Death Of Byzantium (New York: 1977):Vol. 5/p.91.

885م من قبل الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية [1].

ونظراً لموقع بلاد الكرج المتميز من ناحية، واستقرارها داخلياً وخارجياً من ناحية أخرى، فقد ازداد دورها في العصور العباسية المتأخرة، حيث شهدت فيها الدولة العربية الإسلامية تغيرات سياسية وحضارية وبشرية، اثر الغزو الصليبي لأراضيها، وإذ ما أمعنا النظر جيداً في تأريخ مملكة الكرج المعادي للمسلمين في بلاد القوقاز، وما أدته من دور مهم على مسرح الأحداث آنذاك، من خلال البحث الدقيق في علاقاتها السياسية مع القوى المجاورة وغير المجاورة الإسلامية منها وغير الإسلامية، فإننا نلحظ وبشكل جلي الدور الهام الذي أدته كجسر بين الشرق والغرب لوقوعها في منطقة التخوم [2]، كما أن موقعها الإستراتيجي أدى بطبيعة الحال إلى نشوء علاقات متباينة مع قوى مختلفة، يسودها الهدوء تارةً والصراع تارةً أخرى، فضلاً عن محاولاتها التآمرية مع القوى المعادية للدولة العربية الإسلامية، فأخذت بشن الغارات المتتالية على الأراضي الإسلامية المجاورة لها، والقيام بعمليات التدمير وقتل الرجال والشيوخ وسبي الأطفال والنساء [3]، فضلاً عن ممارسة مختلف أنواع عمليات السلب والنهب [4]، فكانت النتيجة ضعفها بسبب حروبها المستمرة من ناحية ورد الفعل لما قامت به من أعمال عدائية ضد المسلمين من ناحية أخرى، لا سيما من لدن القوى الإسلامية التي امتازت بالقوة العسكرية والاستقرار السياسي والاقتصادي، إذ سعت إلى الانتقام وتوجيه الضربات التأديبية لها، ومن القوى الإسلامية التي عاصرت مملكة الكرج، ودخلت معها في حروب وصراعات أدت بالتالي إلى إضعاف كلا الطرفين، وأجبرتهم على الجنوح

---

(1) استارجيان، تاريخ الأمة الأرمينية، ص170 - 171؛ اميل، تاريخ أرمينيا، ص24.

(2) سليمان، المسلمون والبيزنطيون:ج1 /ص222.

(3) ابن الأثير، الكامل:ج 11/ ص287؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي:ج 100/2؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج5/ص80؛

Toumanoff ,Armenia And Georgia:Vol. 6/p. 594.

(4) C. E. Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran (Cambridge: 1975): Vol.5/p. 179.

إلى السلم والمهادنة في أوقات مختلفة، كانت الدولة السلجوقية (441 - 635هـ/ 1049 - 1237م) والإمارة الشروانية (333 - 622هـ/944 - 1225م) واتابكية أذربيجان (552 - 622هـ/1157 - 1225م) والدولة الأيوبية (567 - 645هـ/1174 - 1250م).

أدت الظروف السياسية التي أحاطت بهذه القوى إلى سعي كل منها إلى عقد المصاهرات السياسية من اجل الوصول إلى حل سلمي وضمان بقاء سلطتها على ممتلكاتها وعدم فقدانها، فكانت أولى هذه المصاهرات في سنة 457هـ/1064م بين كل من الأسرة الكرجية الحاكمة وسلطنة السلاجقة.

بعد وفاة السلطان السجلوقي طغرلبك 455هـ/1063م تولى السلطنة ابن أخيه ألب أرسلان (455 - 465هـ/1063 - 1072م) [1] فسار الأخير على نهج سلفه في إتباع سياسة التوسع على حساب القوى المجاورة، ونشر الإسلام في تلك الديار، وخاصة انه اصبح زعيماً للجهاد في سبيل الله [2] فزحف في سنة 456هـ/1063م إلى أرمينيا الكبرى وبصحبته ولده ملكشاه، فوصلوا إلى وادي نهر الرس الذي يمتد جغرافياً عبر الأراضي الكرجية والأرمنية، وعلى ما يبدو انه كان مهتماً بأمر فتح القلاع والحصون الواقعة في تلك الجهة [3] ولم يكتفِ السلطان بذلك بل تمكن من الاستيلاء على مدينة آني عاصمة أرمينيا الكبرى في سنة 457هـ/1064م بعد أن فرض عليها حصاراً شديداً إلا انه منح حكمها للأسرة الشدادية قبل انسحابه عنها، ووصلت إليه رسل الملك الكرجي بقراط الرابع بن جورج الأول (410 - 465هـ/ 1027 - 1072م) طالباً الصلح لضمان الحفاظ على الأراضي الكرجية وعدم الإغارة

---

(1) ابن العديم، بغية الطلب، ص17.

(2) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (القاهرة: 2004م)، ص 28.

(3) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص35؛ محمد بن أحمد النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي (القاهرة: 1953م)، ص60؛ ابن العديم، بغية الطلب، ص35.

عليها [1]، فوافق السلطان على طلبه وتم عقده مقابل شروط عديدة أهمها ما يأتي:

1 – يقوم الكرج بدفع الجزية السنوية للسلطان ألب أرسلان.

2 – عدم الاعتداء على الأراضي الإسلامية [2].

3 – أن يرسل الملك الكرجي أحد أشقائه إلى السلطان كرهينة للإيفاء بتعهده [3].

4 – يتزوج السلطان ألب أرسلان من ابنة الملك بقراط الرابع فوافق الأخير.

لقد تم الصلح بين الطرفين وتزوج السلطان من ابنة الملك بقراط، إلا أن ذلك الزواج لم يدم طويلاً، إذ طلقها السلطان وزوجها لوزيره نظام المُلك [4]، وأنجبت منه ولدها عز الملك، حيث يذكر ابن الأثير ضمن حوادث سنة 492هـ/ 1098م ((أن من جملة من وفد على السلطان بركيارق في الري عز المُلك بن نظام المُلك وأمه ابنة ملك الأبخاز[الكرج])) [5] فكانت تلك أول مصاهرة سياسية من نوعها بين الكرج والسلاجقة المسلمين، وعلى الرغم من هذا الزواج الذي لم يدم طويلا، استمر السلطان ألب ارسلان في مسيرته الجهادية فشن في السنوات الثلاث الأخيرة من حكمه عدة غارات على الأراضي الكرجية بسبب اعتداءاتهم على الأراضي الإسلامية [6].

كما أدت مملكة الكرج دوراً كبيراً ومؤثراً في الأحداث التي كانت تمر بها بلاد شروان التابعة للسلطان السلجوقي، لاسيما في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بعد انقسام الدولة السلجوقية إلى عدة ممالك بسبب الصراعات

---

(1) ابن الأثير، الكامل: ج8/ص370.

(2) الحسيني، أخبار، ص35؛ ابن الأثير، المصدر نفسه: ج10/ ص 39، 40؛ سيد، أرمينية، ص204.

(3) Madelung , The Minor Dynasties:Vol. 4/ pp. 64 , 243.

(4) البنداري، تأريخ دولة آل سلجوق، ص33؛ ابن الأثير، الكامل: ج10/ص288.

(5) ابن الأثير، المصدر نفسه:ج 10/ص388.

(6) الصلابي، الدولة العثمانية، ص 28؛

Madelung , The Minor Dynasties:Vol. 4/ p. 243.

الداخلية على السلطنة، مما شجع مملكة الكرج على مهاجمة الأراضي التابعة لها، فأخضعت بلاد شروان لتبعيتها بعد العديد من الغارات وأعمال السلب والنهب التي شنت عليها، فأدرك شروانشاه منجو شهر الثاني عدم قدرته على صرف الكرج عن مهاجمة بلاده وتأمين مناطق نفوذه، فوجد أن مصاهرة الأسرة الحاكمة في بلاد الكرج هي الطريقة الوحيدة لتحقيق هذا الغرض، فتقدم شروانشاه في سنة 510هـ / 1116م لخطبة الأميرة تمارا شقيقة داؤد الثالث بن جورج الثاني (482 - 518هـ/ 1089 - 1124م)، فوافق الملك داؤد الثالث وتم الزواج في السنة ذاتها، إلا أن ذلك الزواج لم يدم طويلاً لعدم التوافق بين الطرفين بسبب الاختلاف الديني والاجتماعي، فعادت الأميرة تمارا إلى بلاد الكرج وترهبنت، وبقيت بلاد شروانشاه تحت سيطرة الملوك الكرج، كمحمية تابعة لهم [1].

استمرت تبعية بلاد شروان لمملكة الكرج وعمل ملوكها على توطيد هذه التبعية من خلال إقامة مصاهرة سياسية بين الطرفين، على الرغم من فشلها في المرة السابقة، إذ وافق الملك ديمتري الأول بن داؤد الثالث (518 - 559هـ/1124 - 1160م) على خطبة ابنته من لدن شروانشاه أبو المظفر أمير بلاد شروان وتم الزواج، وكان زواجاً ناجحاً ساهم في تحسين العلاقات الودية والسلام بين الطرفين، وهذا ما أكد ابن الأزرق الفارقي [2] ضمن حوادث سنة 549هـ / 1154م، عندما كان في خدمة الملك ديمتري فرافقه في رحلته لتفقد حدود دولته الشرقية المتاخمة مع بلاد شروان، فقد أشار إلى قدوم شروانشاه أبي المظفر ليحيي صهره الملك ديمتري أبي زوجته، واظهر له كل مظاهر الاحترام، فكان ذلك الحدث يمثل شيئاً مهماً عند ابن الأزرق الفارقي فثبته في كتابه (تاريخ آمد وميافارقين)، وقد عززت هذه المصاهرة الناجحة العلاقات السلمية، ونتج عنها مصاهرات أخرى، مما زاد في التدخل الكرجي في الأمور الداخلية لبلاد شروان في سنة 561هـ/1166م، وبحكم هذه العلاقات التي يمكننا ان نلمس من خلالها وبشكل جلي الدعم والمساعدة التي

---

(1) Toumanoff , Armenia And Georgia: Vol. 4 / p. 625.

(2) Minorsky , Studies In Caucasian History (London: 1953) , Pp. 170 - 171.

قدمها ملك الكرج جورج الثالث (559 - 580هـ/1160 - 1184م) لشروانشاه اخسرطان ضد أخيه الذي نازعه على حكم الإمارة، ونظراً لارتباط الأول معه بصلات نسب، إذ إن زوجته كانت من البيت البقراطي الحاكم في بلاد الكرج [1].

أما فيما يتعلق بالجانب السلجوقي فلم تشر المصادر التاريخية إلى وجود مصاهرات سياسية بين الطرفين حتى الفترات الأخيرة من حكم الدولة السلجوقية التي انقسمت، وبدأ الضعف يتنابها بسبب الصراع بين هذه الأطراف، إذ حاول كل منهم كسب أطراف خارجية إلى جانبه، فكان في مقدمتهم السلطان قلج ارسلان الثاني الذي سعى إلى تحقيق الأمن لبلاده من خلال إتباع الوسائل السلمية، فحاول بناء علاقات سلمية مع جيرانه الكرج، فرحب بفكرة زواج ولده ركن الدين سليمان من الملكة تمارا بنت ديمتري الأول (580 - 609هـ/1184 - 1212) [2] إلا انه لم ينجح في تحقيق ما كان يصبو إليه، بسبب اشتراطها عليه أن يترك الإسلام ويتنصر، فرفض ولده فكرة زواج المصلحة والارتداد عن دين الإسلام، وأصر على فكرة غزو بلاد الكرج ونشر الإسلام فيها بشكل كامل، فوافقه والدهُ على ذلك [3].

أعدَّ السلطان قلج أرسلان الثاني جيشاً في سنة 599هـ/1201م، وجعل ولده سليمان على رأس تلك القوات، وانضم إليه الأمير فخر الدين بهرام شاه أمير ارزنجان[4] وأخوه مغيث الدين طغرلشاه صاحب ارزن الروم [5]، فدخلوا الأراضي

(1) لقد تأثر البيت الحاكم في بلا شروان على الرغم من عروبته بسكان المنطقة بحكم عملية الزواج والاختلاط مع السكان المحليين، فاخذوا يطلقون الأسماء الأعجمية على ابنائهم كفريبرز وافريدون ومنجو شهر واخسرطان. ينظر: ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون:ج 5/ص 136؛

Minorsky ,AHistory of Sharvan And Darband in The 11th _19th Centuries (Cambridge: 1958) , p. 136.

(2) ابن بيبي، الأوامر العلائية في الأمور العلائية، ص 100 - 101.

(3) المصدر نفسه، ص 102.

(4) أرزنجان: بلدة من بلاد أرمينية تقع بين بلاد الروم وخلاط قريبة من أرزن الروم، وغالب أهلها أرمن وفيها مسلمون وهم أعيان أهلها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج1 /ص 150.

(5) ارزن الرزم: بلدة من أعمال ديار بكر بينها وبين تفليس ثلاث أيام، بالقرب من خلاط. ينظر:

-

الكرجية، إلا أن الكرج تأهبوا لصد تقدمهم [1] وبالتقاء الطرفين كان النصر لصالح المسلمين، لكن سقوط الأمير سليمان عن فرسه بعد أن كبا جوادُهُ فأربَكَ قواته التي ظنت انه قتل، كان سبباً في انقلاب الموقف ورجحان الكفة لصالح القوات الكرجية، فاسر عدد كبير من القوات السلجوقية بضمنها الأمير بهرام شاه، مما اضطر السلطان إلى سحب سائر قواته عائداً إلى بلاده لإعداد العدة مرة أخرى والثأر من الكرج، إلا أن وفاة السلطان قلج ارسلان في السنة ذاتها أنقذ الكرج من هجوم وشيك، فتولى العرش ولده عز الدين الذي اتبع سياسة الركون إلى الهدوء تجاه مملكة الكرج التي التزمت السياسة نفسها واستمر الحال حتى وفاته [2].

كما سعى أبو بكر بن البهلوان اتابك أذربيجان التابع للسلاجقة إلى مهادنة مملكة الكرج وكسب ود ملوكها ورضاهم بشتى الطرائق، لا سيما أن الضعف بدأ يدب في هذه الاتابكية بسبب الصراع بين الاتابك أبو بكر وشقيقه مير ميران عمر، فوجد الاتابك أن إتباع أسلوب المصاهرات السياسية خير وسيلة لتحقيق هذه الغاية، فتقدم لخطبة ابنة ملكة الكرج، فتزوجها في سنة 602هـ/1205م، ونتيجة لذلك وقعت بينهما معاهدة صلح، وهذا ما أكّدته مصادر التأريخ الإسلامي ((وراسل ملك الكرج وتزوج بابنته ووقعت الهدنة)) [3] ذلك لانشغاله بأمور اللهو عن تدبير مملكته فكف الكرج عنه [4]، وإن ذلك الإجراء من لدن الاتابك أبو بكر يعكس مدى ضعف قوته،

ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج1 /ص 245، 330؛ مج 2 / ص497.

(1) محمد صالح طيب صادق، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى دراسة في الجوانب السياسية (470 – 634هـ/ 1077 – 1237م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة صلاح الدين، 1999م، ص 174.

(2) ابن بيبي، الأوامر العلائية، ص 102 – 106.؛ مؤرخ مجهول، تاريخ الرهاوي المجهول، ص 242.

(3) الذهبي، العبر:ج 5 /ص 3؛ دول الإسلام:ج 2 / ص109؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي:ج 2 /ص 184.

(4) أبو الفدا، المختصر:ج 3/ ص107؛ الذهبي، العبر: ج5/ص3؛ دول الإسلام: ج2 / ص109؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي:ج 2/ص184.

إذ لم يعد قادراً على مقاومة أي خطر خارجي وخاصةً أطماع ملوك الكرج، ممّا دفعه إلى إتباع أساليب أخرى لغرض حماية بلاده فاتخذ طريقة المصاهرة السياسية، فضمن ذلك له إقامة علاقات ودية معهم، وعدم إغارتهم على مناطق نفوذه، إلا أن الكرج لم يحترموا المصاهرة والصلح المعقود بينهما، فأغاروا على مدينة ارجيش في سنة 605هـ/1208م، وقتلوا عدداً من سكانها وأسروا قسماً آخر [1]، كما دفعهم الحقد الصليبي ضد المسلمين إلى الإغارة في سنة 612هـ/1215م على الأراضي الأذربيجانية ومارسوا كل أعمال القتل والسلب والنهب، وأسروا ما يقارب مئة ألف من المسلمين [2].

كما كانت هناك قوة إسلامية أخرى ارتبطت بعلاقات مصاهرة مع الكرج وهي الدولة الأيوبية، ولكنها في هذه المرة كانت في حالة قوة، فمثلت الشكل الرابع من أشكال المصاهرات السياسية، وكانت هذه المصاهرة عقب قيام الملكة تمارا بمهاجمة مدينة خلاط الأيوبية في سنة 607هـ/1210م، وفرضت عليها حصاراً، إلا أن الأمور لم تسر على ما تمنته، فوقع الملك داؤد زوج الملكة تمارا - الذي تزوجها بعد طلاقها من زوجها السلجوقي - أسيرا بيد القوات الأيوبيـة، فأطلقت المصادر التأريخية الإسلامية عليه تسمية ((إيـواني ملك الكرج)) [3] إذ انه شرب الخمر حتى ثمل، فخيل إليه بأنه قادرٌ على احتلالها، فركب حصانه وبمعيته عشرون فارساً، وهاجمها فكبا به حصانه فوقع أسيرا في أيدي الخلاطيين، فاقتيد إلى الملك الأوحد [4].

وفي الوقت الذي يتفق فيه أبو شامة مع ابن واصل في تأريخ الغارة واسر

---

(1) الذهبي، العبر: ج5/ص11؛ دول الإسلام:ج 2/ص111.

(2) أبو شامة، الذيل على الروضتين، باعتناء: عزت العطار الحسيني (بيروت: 1947م)، ص 89؛ الذهبي، العبر:ج 5/ ص39؛ سير أعلام النبلاء:ج 22/ ص230؛ الحنبلي، شذرات الذهب: ج3/ص49.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب: ج3 /ص 192.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء:ج 22/ ص132؛ محمود ياسين التكريتي، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة (بغداد: 1981م)، ص191.

ملك الكرج، إلا انه يورد تأريخاً آخر وهو بعد سنة 607هـ/1210م، وبعد البحث الدقيق في كلا الروايتين، اتضح لنا أن التأريخ الأول هو الأرجح، وذلك لإجماع المؤرخين عليه من ناحية، وعدم جزم أبي شامة على التأريخ الثاني الذي أورده، إذ انه يشير قائلاً: ((وقيل إنها كانت وقعة إيواني بعد حصار سنجر في سنة 607هـ [/1210م])) [1] ولم يطلق سراحه إلا بعد أن وافق على شروط فرضها عليه الملك الأوحد، وعقد فيما بينهما معاهدة وتضمنت شروطها ما يأتي:

أ. دفع فدية مالية مقدارها مئة ألف دينار.

ب. إطلاق سراح خمسة آلاف مسلم ممن في أسره [2].

ج. أن تتزوج ابنة ملك الكرج من الملك الأوحد الأيوبي على أن لا تفارق دينها [3].

د. أن يعيد إلى الملك الأوحد عدداً من القلاع التي استولى عليها الكرج من أيدي المسلمين، وفي ذلك يقول أبو شامة ((واتفق مع الأوحد على أن يرد ما فتح من بلاد المسلمين)) [4].

هـ. واقسم كل من الطرفين على عدم الإخلال بشروط المعاهدة [5].

لقد أكد أبو شامة وعدد آخر من المؤرخين المسلمين [6]، على تلك

---

(1) الذيل على الروضتين، ص67.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب: ج3/ ص201؛ أبو الفدا، المختصر: ج3/ ص113؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: ج2/ ص190.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب: ج 3 /ص 201؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك: ج1/ ق 1/ص171.

(4) الذيل على الروضتين، ص 67.

(5) ابن واصل، مفرج الكروب: ج3/ص201؛ أبو الفدا، المختصر: ج3/ ص113؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: ج 2/ ص190.

(6) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص67؛ ابن واصل، مفرج الكروب:ج 3 / ص201؛ أبو الفدا، المختصر: ج3 / ص113؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: ج2 / ص190؛ الباز العريني، المغول، (بيروت:1981م)، ص 88.

المعاهدة وشروطها [1]على الرغم من أن أبا شامة خفف بعضها، فإنه أضاف شروطاً أخرى، فقد حدد مبلغ الفدية بثمانين ألف دينار، وإطلاق سراح خمسة آلاف أسير مسلم، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لأعمال خلاط، كان قد تغلب عليها فيما مضى، وان يُزَوج إيواني إحدى بناته بالملك الأوحد والأخرى بأخيه لأمه، فأضاف حالة زواج أخرى إلى الشروط السابقة، ومن الشروط التي أضافها هي أن يكون الكرج حلفاء مسالمين له، لا يعتدون على ممتلكاته، وان داهمه خطر خارجي سارعوا إلى مساعدته، فاستأذن الملك الأوحد والده في ذلك، فوافق مقابل أن يؤدي الملك الكرجي الأيمان والرهائن، ففعل وتم إطلاق سراحه في السنة ذاتها، بعد أن أكرمه وخلع عليه الخلع، وطلب منه رحيل القوات الكرجية إلى بلادها دون القيام بأي عمل عدائي ضد خلاط، فأرسل الملك الكرجي إلى من يثق به للتأكد من سلامته، وأمرهم بالانسحاب من المدينة، وبموجب ذلك انسحبت القوات الكرجية عائدةً إلى بلادها[2].

وبعد البحث والتمحيص في الرواية التأريخية التي أوردها أبو شامة وابن واصل ومقارنتها بالروايات التي أوردتها المصادر التأريخية الأخرى [3]، ومن خلال مراجعة أسماء الملوك الكرج، لم نعثر على تسمية إيواني من ضمنها، بل كان أميراً من الأمراء ويشغل منصب القائد الأعلى للجيش الكرجي، كما تبين أن اللبس قد وقع في هذه الرواية بين اسم الملك واسم القائد الأعلى للجيش المدعو إيواني، وان من وقع في الأسر هو الملك داؤد زوج الملكة تمارا وليس إيواني، ومما يدل

(1) إن الشروط التي وردت في الرواية الأولى هي الأصح من حيث مبلغ الفدية وعدد الأسرى المسلمين والقلاع التي يجب إعادتها، وذلك لإجماع المؤرخين عليها بما فيهم أبو شامة، على الرغم من تخفيفه لبعض الشروط، وإضافته شروطاً أخرى كما أشرنا آنفا.ينظر:أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 75.

(2) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 75؛ الذهبي، العبر: ج5/ ص15.

(3) أبو الفدا، المختصر: ج3/ ص113؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (بيروت:1975م)، ص 220؛ وأشار ابن خلدون إلي هذه الرواية مؤكداً على اسر الملك الجورجي، تأريخ ابن خلدون: ج 5/ ص125.

على صحة ذلك ما قاله للملك الأوحد من أجل إطلاق سراحه ((إن كنتم تخلصوني، فافعلوا سريعاً قبل أن يمشي الخبر إلى الكرج ويقيموا مكاني أحدا ولكم ما سألتم))[1]، كما أن دفع الفدية التي قدمها والشروط التي وافق عليها ضمن المعاهدة لا يمكن لقائد الجيش أن يمنحها، فكانت على مستوى ملوك، ومما يؤكد ذلك سعي الملك الأوحد إلى الزواج من ابنة الملك الكرجي وزواج شقيقه من ابنة الملك الأخرى، وكان ذلك احد الشروط الأساسية التي فرضها عليه.

كما وأشار أحد المؤرخين المحدثين إلى أن من أهم أمراء القوات الكرجية الذين أكثروا الإغارة على ممتلكات الأيوبيين في بلاد الجزيرة هو إيواني وزاكارة [2] وهذا أيضا يعد دليلاً آخر على أن إيواني كان أميراً، وان الذي وقع في اسر الملك الأوحد هو ملك الكرج وليس إيواني.

وعندما تولى الحكم في بلاد شروان شروانشاه فريبرز بن افريدون، كانت بلاده تحت التبعية الكرجية كما اشرنا سابقاً، فعمل في بادئ الأمر على التخلص من ربقها، إلا انه أدرك في نهاية الأمر عدم مقدرته على تحقيق ما كان يصبو إليه بسبب ما كانت تعانيه البلاد من صراعات داخلية على السلطة [3]، لذلك سعى إلى تحسين علاقته مع مملكة الكرج وكسب ود ملوكها بشتى الطرق، ولا سيما المصاهرة السياسية، فتقدم لخطبة ابنة الملكة روسودان لولده جلال الدين في سنة 622هـ / 1225م، فوافقت الملكة روسودان على ذلك الزواج، على أن يتنصر ولده فوافق شروانشاه وسلمه إليهم، وبقي في البلاط الكرجي حتى دخول جلال الدين خوارزمشاه إلى بلاد الكرج في السنة ذاتها، فأخذه من البلاط الكرجي وولاه على أحد المدن التابعة له [4]، ولما استولى جلال الدين خوارزمشاه على بلاد إيران سنة

---

(1) زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت: 1960م)، ص524.

(2) محمد نجم النقشبندي، الكرد وكردستان (بغداد: 2002م)، ص 78.

(3) الملك الأشرف، العسجد المسبوك: ج1 / ص405.

(4) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص287؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: ج5/ ص 136.

622هـ /1225م، أرسل إلى شروانشاه فريبرز مطالباً إياه بالإتاوة التي كان يدفعها لملكشاه السلجوقي قبل تبعيته للكرج [1]، والبالغة مئة ألف دينار إلا انه أرسل إلى السلطان جلال الدين يشكو إليه ضعف بلاده، وعدم قدرته على دفع الإتاوة لتغلب الكرج واستيلائهم على معظمها كمدينتي شكى وقبلة وغيرها[2].

فوافق السلطان الخوارزمي على خفض الإتاوة إلى النصف أي خمسين ألف دينار ترسل سنوياً إلى الخزانة الجلالية [3]، فسار شروانشاه إلى السلطان دون استدعائه [4]، وبدخول بلاد شروان في تبعية الدولة الخوارزمية من ناحية، والضعف الذي بدأ يدب في مملكة الكرج من ناحية أخرى بسبب الغارات المتتالية من قبل الخوارزميين، فترت العلاقات الكرجية - الشروانية حتى حقبة الغزو المغولي الذي اسقط الدولة الخوارزمية وبلاد شروان، واخضع بلاد الكرج لتبعيته، فأصبحت بلاد القوقاز بأكملها عبارة عن ولاية تابعة للمغول.

كانت الأوضاع السياسية الداخلية في كل من مملكة الكرج والممالك السلجوقية في آسيا الصغرى سيئة للغاية في الربع الأول من القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي، لا سيما مع ظهور الخوارزميين كقوة عسكرية أخذت بالعمل على توسع دائرة نفوذها، ففي بلاد الكرج تولت العرش الملكة روسودان ابنة الملكة تمارا (620 - 643هـ/1223 - 1245م)، وكانت شابة عزباء، فانشغلت بأمور الزواج وأهملت المملكة، فما كان من رجال الدولة، إلا أن قاموا بالبحث عن زوج لها من بين احد الأمراء الكرج المحيطين بها كي يقوم بأعباء الحكم بدلاً عنها [5]، ونظراً لعدم اقتناعها شخصياً بأحد من هؤلاء الأمراء من ناحية، وما تطلبه الضرورة من التحالف مع احد القوى الإسلامية المجاورة من ناحية اخرى، وبسبب

---

(1) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص287.

(2) ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: ج5/ ص137.

(3) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص 289.

(4) المصدر نفسه، ص 289؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج5 / ص137.

(5) الدمشقي، شذرات الذهب:ج 3 /ص 97؛ Toumanoff, Armenia And Georgia: Vol. 4/ p. 626.

حالة الضعف التي عمت المملكة وافق الأمراء الكرج في نهاية سنة 620هـ/1223م على زواجـها من الابن الاكبر للسلطان السلجوقي مغيث الديـن طغرلشاه بن قلج ارسلان صاحب ارضروم [1].

وفي الوقت ذاته عمل شقيقه السلطان مغيث الدين طغرل بن قلج أرسلان في ارزن الروم على تطبيق سياسة توازن القوى في المنطقة، فكان يراقب جيرانه الكرج بكل حذر وانتباه حيث كانوا الطرف الأكثر إغارة على بلاد المسلمين، وفي نهاية سنة 620هـ/1223م وافق على مشروع زواج ولده غياث الدين كيخسرو من الملكة روسودان ابنة الملكة تمارا على الرغم من اشتراطها عليه الارتداد عن الإسلام ودخوله النصرانية، فوافق على ذلك وتنصر ولده وتزوجها في سنة 621هـ/1224م ((فقال لهم إن ابني يتنصر ويتزوجها فأجابوه إلى ذلك، فأمر ابنه فتنصر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل إليها، واقام عند الكرج حاكماً)) فانتقل إلى تفليس حيث البلاط الكرجي [2].

لم يدم الزواج طويلاً على الرغم من إنجابها منه ولداً وذلك بسبب رغباتها الشخصية ونوازعها التي أغضبت زوجها لتنافيها مع مبادئ الإسلام على الرغم من تنصره، فأمرت الملكة بحبسه [3]، وبقي حتى دخول جلال الدين خوارزمشاه إليها في سنة 623هـ/1226م، فاحضر ابن السطان مغيث الدين طغرل من بلاد الكرج، فأمنه وبقي عنده حتى سار السلطان إلى خلاط، فهرب الأمير السلجوقي إلى بلاد الكرج، وشجعهم على مهاجمة المدينة واستردادها من القوات الخوارزمية [4].

بدأت الملكة روسودان في البحث عن زوج ثانٍ ليحل محله، وأحضرت رجلين ((كانا قد وصفا بحسن الصورة فتزوجت أحدهما فبقي معها يسيراً ثم إنها

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج6 / ص259.
(2) ابن الأثير، الكامل:ج 12 /ص 417.
(3) الدمشقي، شذرات الذهب:ج 3 /ص 97.
(4) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص 217؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: ج2/ ص215؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون:ج 5/ص137.

فارقته)) [1]، إلا أن ذلك الزواج لم يستمر وبدأت من جديد بعملية البحث عن زوج آخر فوقع اختيارها في هذه المرة على شابٍ مسلمٍ من أهالي مدينة كنجة [2]، فعرضت عليه الزواج في سنة 622هـ/1225م مقابل الارتداد عن دينه وإتباع ملتها، إلا إنه رفض طلبها [3] فأصرت على الزواج منه وهو مسلم، مّما أدى إلى استياء الأمراء الكرج واعيان المملكة من ذلك، وأعربوا لها عن سخطهم الشديد، ورفضهم لتصرفاتها المشينة التي تقوم بها بلا مبالاة من خلال قولهم لها: ((لقد افتضحتينا بين الملوك بما تفعلين ثم تريدين أن يتزوجك مسلم وهذا لا نمكنك منه أبدا))[4] ، ودعوها إلى تغيير فكرة الزواج منه، فعدلت عنها تحت ضغطهم وإلحاحهم الشديد، وتزوجت بأحد الأمراء الكرج وبقيت في الحكم حتى تولي ولدها داؤد الخامس الملقب بـ (داؤد السلجوقي) [5]، وأكّد ابن خلدون على أنها تزوجت، إلا انه لم يشر إلى اسم زوجها [6].

توفي السلطان مغيث الدين طغرل بن قلج أرسلان في سنة 622هـ/1225م فأخذت حالة الفوضى السياسية والاضطراب بالازدياد، مّما اضعف الدولة السلجوقية إلى حدٍ كبير [7]، وشغلها عن مواجهة الأخطار الخارجية وخاصةً غارات الكرج، وفي خضم تلك الأحداث تولى السلطة ولده مُطَلِّق الملكة الكرجية روسودان، فتقدمت القوات السلجوقية في سنة 628هـ/1231م لمهاجمة بلاد الكرج،

(1) ابن الأثير، الكامل: ج 12 / ص 417.
(2) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص283 – 284؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج6/ ص259.
(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج6/ ص259.
(4) ابن الأثير، الكامل:ج 12/ ص417؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: ج5/ ص137؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج6/ ص259.
(5) رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية:ج 3/ ص678؛
S.Bartold , History of The Mongols Based on Eastern and Wastern Accounts of The Thirteen And Fourteen Centuries (London: 1972) , P. 80.
(6) ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: ج 5 /ص 137.
(7) ابن الأثير، الكامل: ج12/ص417؛ الذهبي، دول الإسلام: ج2/ص126؛
C. Cahen , Pre - Ottoman Turkey (London: 1968), P. 127.

على ما قاموا به من غارات على الأراضي الإسلامية [illegible]
التقليدي للملكة روسودان مُطلَقة سلطانهم[1].

وتزامناً مع ما كانت تمر به الدولة السلجوقية من حالة التفكك، كانت بلاد الكرج تعيش حالة مماثلة، فظهرت العديد من الممالك والدول الصغيرة المجاورة لبلاد الكرج، ولم ترغب الملكة روسودان بتعريض بلادها لدمار كالدمار الذي لحق بها من جراء الحروب مع السلاجقة، فعقدت معها العديد من اتفاقيات الصلح والهدن، مما ساعد على انتعاش بلاد الكرج، فوافقت الملكة روسودان في سنة 630هـ/1233م على زواج ابنتها من كيخسرو بن السلطان علاء الدين كيقباذ، وفي السنة ذاتها عاد السلطان علاء الدين كيقباذ (616 - 634هـ/1219 - 1236م) إلى سياسة التحالف مع الدويلات والممالك النصرانية الصغيرة التي اتسمت بالطابع الإقطاعي، من أجل الاستعانة بهم والتفرغ لمواجهة الأخطار الخارجية [2]، فاستعان في سنة 630هـ/1233م بالإفرنج والكرج والأرمن والبيزنطيين لمواجهة التحالف الذي نشأ ضده بين كل من الأيوبيين والأراتقة في بلاد الجزيرة، مما اضطرهم إلى الاكتفاء بمهاجمة أحد الحصون الصغيرة الواقعة على أطراف بلاده، ومن ثمة تفرقوا كلٌ إلى بلاده لإدراكهم التام بعدم مقدرتهم على مواجهة السلطان وحلفائِهِ[3].

كان لزواج الملكة روسودان من السلطان غياث الدين كيخسرو اثر كبير على الوضع الداخلي لبلاد الكرج، فإن ولدها الذي أنجبته من زوجها السلجوقي أصبح ملكاً لبلاد الكرج بعد صراع مرير مع ابن خاله من اجل تولي عرش المملكة، فقد بدأ الصراع يدُبُّ بين أبناء الأسرة الحاكمة من أجل الاستيلاء على العرش في سنة 633هـ/ 1234م، إثر إبعاد داؤد السادس بن جورج لاشا والوريث الشرعي للحكم من قبل عمته الملكة روسودان التي اختارت ولدها من زوجها السلجوقي لحكم

(1) Cahen , Ibid. , P. 130.

(2) Cahen , Pre - Ottoman Turkey , P. 133.

(3) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص280.

المملكة وتحت لقب الملك داؤد الخامس، فأدى ذلك إلى انقسام البلاد إلى قسمين وسادها الضعف والانحلال، وخاصةً بعد أن اعتُرِف بداؤد السادس بن جورج لاشا ملكاً على أبخازيا، بينما نُصِبَ داؤد الخامس ملكاً على تفليس إثر التسوية التي وضعها خانات المغول أثناء حضوره مع منافسه في البلاط المغولي.

بعد وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ في سنة 634هـ/1236م تولى السلطة ولده غياث الدين كيخسرو (634 - 643هـ/1236 - 1245م) [(1)] زوج ابنة روسودان ملكة الكرج التي بقيت على الديانة النصرانية، وحضر زواجها الجاثليق والأساقفة والكهنة والاكيروس (رجال الدين) وشقيقها الصغير الأمير داؤد [(2)] الذي نصبه كيخسرو مقدماً لجيشه، على الرغم من بقائِهِ على نصرانيته، مما أثار غضب الأمراء [(3)].

لم تلبث الأميرة الكرجية ان دخلت الإسلام فتم إلقاء القبض على شقيقها والجاثليق، فأودعا السجن في إحدى القلاع، وظلا هناك حتى الغزو المغولي [(4)]، حيث تم إطلاق سراحهم عند احتلالها، وعندما هُزِمَ الكرج والسلاجقة أمام الغارات المغولية، أصبح كل منهما تابعاً لهم [(5)] ولشدة حب السلطان كيخسرو للأميرة الكرجية بادر في سنة 635هـ/1237م إلى ضرب عملة نقدية عليها صورتها، إلا انه عدل عن ذلك لإدراكه أن تصويرها على العملة ممقوت وسوف يكون مثيراً للاعتراض من وجهة نظر إسلامية [(6)] واستمرت العلاقات الكرجية السلجوقية يسودها الهدوء بسبب انشغال كل منهم في أمور السياسة الداخلية لما عانوه من أزمات واضطرابات حتى بداية المد المغولي نحو بلاد الأناضول والقوقاز، فأصبح كل من الكرج والسلاجقة تابعين وحلفاء للمغول يأتمران بأمرهما.

---

(1) بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تأريخ اهل الزمان، تحقيق: محمد محمد امين، ط1(القاهرة: 1987م)، ص 137؛ ينظر: حميدي، مملكة أرمينية الصغرى، ص63 - 64.

(2) Minorsky ، Studies In Caucasian , P.135.

(3) العيني، عقد الجمان، ص 137.

(4) Minorsky ، Studies In Caucasian , P.135.

(5) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص 284؛ العريني المغول، ص179.

(6) Minorsky , Studies In Caucasian , P.135.

لقد كان لهذه المصاهرة دور كبير في تحسين العلاقات بينهما بشكل كبير، ونلمس ذلك بشكل واضح من خلال حضور جاثليق بلاد الكرج والأساقفة وعدد من رجال الدين والأمراء لحفل الزواج، وبقاء قسماً منهم في بلاد السلطان السلجوقي، بل وتعداه إلى تعيين صهره الكرجي شقيق الأميرة قائداً أعلى لجيوشه، فضلاً عن أثره الديني إذ أدى هذا الزواج في نهاية الأمر إلى ترك الأميرة الكرجية لدينها واعتناقها الإسلام تأثراً بزوجها المسلم.

الفصل الرابع
مملكة الكرج والإمارات الأرتقية
في عصر الحروب الصليبية

(465 – 600هـ/1072 – 1200م)

نشأت الإمارات الأرتقية (465 – 812هـ /1072 – 1409م) في إقليم ديار بكر من بلاد الجزيرة، وعاصرت مملكة الكرج، فارتبطت هاتان القوتان بعلاقات عدائية ذات طابع عسكري في أغلب الأحيان، ويرجع ذلك إلى التقارب الجغرافي بين مناطق نفوذهما من ناحية، والأوضاع السياسية التي سادت المنطقة آنذاك من ناحية أخرى، التي أفرزت حالة من الصراع بين القوى الإسلامية بشكل عام، والقوى المعادية لها بشكل خاص، ولفهم طبيعة العلاقات التي نشأت بشكل واضح لا بد من إعطاء نبذة مختصرة عن نشوء كلتا القوتين.

ظهر الأراتقة كأسرة حاكمة في الربع الأخير من القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد، ويعد أرتق بن اكسب (479 – 484هـ/1086 – 1091م) الجد الأكبر لها، ولذا استمدت تسميتها منه، لقد كان الأمير أرتق أحد القادة التركمان التابعين للسلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان (465 – 485هـ/1072 – 1092م)، وقد جعله السلطان ملكشاه تحت إمرة أخيه تاج الدولة تتش[1]، في أثناء الحملة السلجوقية على بلاد الشام سنة 472هـ/1097م، ونجح

---

(1) تتش: هو تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان بن داؤد بن ميكائيل بن سلجوق ولد في سنة 458هـ/1065م تولى حكم البلاد الشرقية، واستولى على بلاد الشام ودخل في صراع مع ابن أخيه بركياروق والتقت قواتهما بالقرب من مدينة الري في يوم الأحد 17/صفر سنة 488 هـ/1095م فهزمت قواته وقتل في المعركة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان:ج 1 / ص 295.

الأمير أرتق في تلك الفترة بالاستيلاء على منطقة حلوان والجبل الواقعة على الحدود بين العراق وبلاد فارس [1]، وضمها إلى مناطق نفوذ السلاجقة، ولقاء الخدمات التي أبداها للسلاجقة، فقد قاموا بتوليته على هذه المنطقة، فضلاً عن أعمال أخرى من العراق [2]، كما اقطعوه مدينة القدس وأعمالها وعينوه نائباً عنهم في سنة 479هـ/1086م [3]، تقديراً لموقفه ومشاركته في القتال إلى جانب الأمير تتش ضد ابن عمه الأمير سليمان بن قتلمش، واستمر الأمير أرتق في حكمها حتى وفاته سنة 484هـ/1091م، فخلفه ولده الأمير سقمان تحت سيادة تتش أيضاً [4]، إلا أن الهزيمة التي مني بها السلاجقة أمام الصليبيين في معركة ضورليوم عند مرورهم بآسيا الصغرى في سنة 491هـ/1097م أضعفت الحكم السلجوقي، مما أدى إلى ظهور الإمارات شبه المستقلة التي لا تتعدى حدود إقليم أو مدينة وأطلق عليها اسم الاتابكيات [5].

استفاد الفاطميون في مصر من الظروف الآنفة الذكر، فأرسل الأفضل بن بدر الجمالي حملة عسكرية إلى مدينة القدس، وطلب من الأمير سقمان بن أرتق وأخيه الأمير إيلغازي تسليم المدينة، إلا أنهما رفضا الاستسلام وتسليم المدينة له، ففرض الوزير الأفضل حصاراً عليها ورماها بالمنجنيق حتى اضطر الأراتقة إلى مغادرة المدينة، والتوجه إلى دمشق في سنة 491هـ/1098م [6]، ومنها توجها شرقاً نحو الأقاليم الشمالية الشرقية من بلاد الجزيرة الفراتية [7]، فأسسوا الإمارات الأرتقية

---

(1) خليل، الإمارات الأرتقية، ص77.

(2) خليل، الإمارات الأرتقية، ص 59.

(3) ابن الأثير، الكامل: ج10 / ص 282؛ الحريري، تنافس أمراء المسلمين، ص 5.

(4) ادوارد زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد بك وآخرون (بيروت: 1980م)، ص 344 - 347.

(5) عاشور، الحركة الصليبية: ج1/ ص 176.

(6) خليل، الإمارات الأرتقية، ص77.

(7) تستر ستين، مادة " أرتق "دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتناوي وآخرون (القاهرة: 1969م):مج 12 /ص 10.

واحدة تلو أخرى في كل من حصن كيفا[1] (495 - 629هـ/1101 - 1231م) وفي خرتبرت [2] (581 - 660هـ/1185 - 1261م) وفي ماردين [3](496 - 809هـ/1102/ - 1406 م) [4].

توفي الأمير سقمان بن أرتق في صفر سنة 498هـ/1104م بعد أن اخضع لسلطته كلاً من حصن كيفا ومدينة ماردين وخلاط في ديار بكر [5]، فانقسمت إمارة الأراتقة في ديار بكر إلى قسمين، حيث صار حصن كيفا وأعمالها لولده إبراهيم (498 - 521هـ/1104 - 1127م)، ومن ثم الأمير ركن الدولة داود بن سقمان من بعده (521 - 539هـ/1127 - 1144م)، كما تولى في الوقت ذاته شقيقه الأمير نجم الدين إيلغازي بن أرتق (498 - 515هـ/1104 - 1121م) الحكم في ماردين، فمد مناطق نفوذ الأراتقة إلى معظم بلاد الجزيرة وأرمينيا الكبرى، بعد صراع طويل مع القوى الإسلامية والنصرانية المجاورة [6]، فملك مدينة نصيبين وأعمالها في سنة 500هـ/1107م [7]، كما ملك مدينة ميافارقين وأعمالها في سنة 509هـ/1115م، وحلب في سنة 511هـ/1117م [8]، وأناب فيها ولده حسام الدين تمرتاش، وعلى

---

(1) حصن كيفا: كما يطلق عليه كيبا وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين مدينة آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر وكانت ذات جانبين وعلى دجلتها قنطرة عظيمة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج2 / ص265.

(2) حصن خرتبرت: هو الحصن المعروف بحصن زياد، وهو اسم أرمني، يقع في أقصى ديار بكر من بلاد الجزيرة، وبينه وبين مدينة ملطية مسيرة يومين [أي ما يقارب السبعين كيلومتر]، ويفصل بينهما نهر الفرات. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج 2/ ص 355.

(3) ماردين: مدينة كبيرة تقع في منطقة ديار بكر من بلاد الجزيرة على بعد فرسخين [12 كم] عن بلدة دنيسر. ينظر: المصدر نفسه: مج2 / 475؛ مج 5 / 171.

(4) زامباور، معجم الأنساب، ص 344 - 347.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 135؛ الحريري، تنافس أمراء المسلمين، ص 7.

(6) مؤرخ مجهول، تاريخ الرهاوي المجهول: ج 2 /ص 106.

(7) عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي دهان (دمشق: 1962م): ج 3 / ص 431.

(8) خاتشاتريان، اهل الفتوة والفتيان في المجتمع الإسلامي، تقديم: صالح زهر الدين (بيروت: 1998م)، ص 116؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج2 /ص 255.

الرغم من توسع مناطق نفوذ الأراتقة وازدياد قوتهم، لم يسع أي من الطرفين إلى توحيد كل من إمارة حصن كيفا وإمارة ماردين الأرتقيتين.

أما عن الجانب الكرجي، فقد نشأت مملكتهم في الجزء الغربي من آسيا عند الحد الفاصل بين غربي آسيا وشرقي أوربا، لذا فهي تقع في الجهة المقابلة لأوربا [1]، وشكلت جزءاً من مناطق نفوذ الدولة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، وكانت ذات حركة تأثير وتأثر بالأوضاع السياسية التي عمت المنطقة بشكل عام، والدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي بشكل خاص، وذلك بحكم ارتباطها بأوضاع السياسية العربية، فأصبحت إحدى ولاياتها الأربع تحت حكم ولاة مسلمين [2].

بدأ نشاط المملكة بالتزايد في العصور العباسية المتأخرة، ولا سيما بعد أن بدأت بالقيام بمحاولات تآمرية مع القوى المعادية للدولة العربية الإسلامية كالصليبيين والمغول والأرمن، فأدى ذلك إلى نشوء علاقات متباينة مع القوى المختلفة في المنطقة يسودها الهدوء تارةً، والصراع تارةً أخرى، وكانت عدائية بالدرجة الأولى مع القوى الإسلامية [3]، وخاصة مع الإمارات الأرتقية في بلاد الجزيرة وأرمينيا الكبرى، وذلك بحكم التقارب الجغرافي.

اتسمت العلاقات بين الطرفين بالطابع العدائي حالها حال علاقة الأراتقة بالقوى الأخرى كمملكة أرمينية الصغرى في آسيا الصغرى، والصليبيين في بلاد الشام، ومملكة الكرج التي كانت أكثرها صليبية وعداء للمسلمين، وبما أن الإسلام دين تسامح ويدعو إلى السلام تجاه الأديان الأخرى، فإن ذلك العداء من الجانب الأرتقي لم يكن عداءً دينياً، بل امتاز بأنه عداء سياسي، كما هو الحال في استياء أي جانب سواء أكان إسلامياً أم نصرانياً من أي معتدٍ خارجي يهدد مناطق نفوذه [4].

---

(1) الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية: ج8 /ص 17.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص 208؛ الطبري، تاريخ الرسل:ج 7 / ص91.

(3) حميدي، مملكة جورجيا، ص 3.

(4) Minorsky , A History Of Sharvan And Darband In The 11th - 19th Canturies (Cambridge: 1958) , P. 3.

كما ويمكننا أن نضيف سبباً آخر من أسباب ذلك العداء المتبادل بين الطرفين الأرتقي والكرجي، وهو التقارب الجغرافي بينهما، مما اطمع كلاً منهما في التوسع على حساب الطرف الآخر، من خلال مهاجمة الأراضي التابعة له.

دخلت العلاقات الأرتقية - الكرجية في طور الصدام العسكري أول مرة في سنة 515هـ/ 1121م، عندما أرسل المسلمون من سكان مدينة تفليس إلى الأمير نجم الدين إيلغازي الأرتقي يشكون إليه كثرة الغارات الكرجية وهمجيتها، وإمعان ملوكها في التدمير والتخريب والقتل والسبي، ويطلبون منه السير بقواته إليهم لكي يسلموه حكم المدينة، فأرسل إلى الأمير طغرل شقيق السلطان محمد بن ملكشاه (498 - 526هـ/1104 - 1131م) والنائب عنه في حكم منطقة شمال بلاد فارس، وإلى الأمير شمس الدولة طغان الأحدب أرسلان حاكم ارزن الروم وبدليس ومدينة دوين في بلاد الجزيرة [(1)]، وتم الاتفاق بينهم على مجابهة المغيرين على الأراضي الإسلامية، وأصبح عدد القوات الإسلامية يربو على الثلاثين ألفاً [(2)]، فكانت خطة إيلغازي أن يدخلوا إلى تفليس من جهتها الشرقية، وساروا بجنودهم مارين بمدينة ثرياليت[(3)]، كما اتفقوا أن يكون تجمع القوات على باب تفليس [(4)].

سار الأمير إيلغازي متوجهاً إلى تفليس، ويمعيته صهره دبيس بن صدقة الأسدي [(5)]

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 205؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة: ج3/ص431.

(2) خليل، الإمارات الأرتقية، ص 256.

(3) ثرياليت: من المدن الكرجية القديمة والعريقة تقع في الوادي الشمالي لمدينة ميتسخت الكرجية على نهر الكر، وأصبحت عاصمةً ومقراً للأسرة الاوربلية الكرجية العريقة التي نافست البقراطيين على حكم بلاد الكرج، وكان لأفرادها دور كبير في ارتفاع شأن المملكة، من خلال المناصب السياسية العليا التي تولوها. ينظر: عزت، تاريخ القوقاز، ص 48؛ خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: ج1/ص39؛ Sanjian , Armenian Communities , p. 7;Minorsky, Studies in Caucasian History , p.57.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 205؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة:ج 3/ص431.

(5) دبيس بن صدقة: هو دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، وكان مقيماً في خدمة السلطان منذ سنة 505هـ/1111م. ينظر: البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص 115؛ ابن العديم، بغية الطلب، ص 225 - 235.

أمير العرب [1] الملقب بسيف الدولة، وعسكروا على مقربة عن المدينة عند سفح الجبل الواقع على جهتها الغربية [2]، إذ لم يبق بينهم وبينها إلا هذا الجبل [3]، وقد توافق مسير القوات الأرتقية إلى تفليس مع الحملة العسكرية التي أرسلها السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه إلى بلاد الكرج في السنة ذاتها [4]، بسبب إغارة ملكها على الأراضي الإسلامية من جهة [5]، وامتناعه عن دفع الجزية المفروضة عليه من جهة أخرى، فضلاً عن اعتراضه على الهجرة الموسمية للقبائل التركمانية إلى بلاده [6].

وبمجرد أن سمع الملك داؤد الثالث [7] بن جورج الثاني (482 - 518هـ/ 1089 - 1124م) بوصول القوات الأرتقية بقيادة الأمير نجم الدين إيلغازي أسرع مع ولده ديمتري على رأس قوة عسكرية كبيرة لمباغتة تلك القوات، وإلحاق الهزيمة بها، قبل انضمام القوات السلجوقية إليها، وبالفعل بوغتت القوات الأرتقية

---

(1) ابن العديم، بغية الطلب، ص225؛ خلدون، تاريخ ابن خلدون:ج5/ ص49.

(2) مسافة نصف يوم تساوي نصف مرحلة والمرحلة تساوي (35كم).

(3) الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، منشور في حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص205.

(4) ويشير ابن العمراني إلى أن تاريخ تلك الحملة كان سنة 516هـ/1122م، بينما يشير حسنين إلى سنة 513هـ/1119م، وان دخول القوات الكرجية إلى تفليس كان في سنة 514هـ/1120م. ينظر: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص 304؛ عبد المنعم حسنين، دولة السلاجقة (القاهرة: 1975م)، ص 104، وبعد البحث والتمحيص في كلا الروايتين، لم نتمكن من التوصل إلى المصادر التاريخية التي نقلوا عنها، والتاريخ الدقيق لتلك الحملة هو سنة 515هـ/1121م، وذلك لإجماع المؤرخين المعاصرين له، أو القريبين زمنياً منه.

(5) الذهبي، العبر، :ج 4/ ص31.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 204 - 205؛ ابن واصل، مفرج الكروب: ج 4 / ص 182؛

C. H. Boswarth , the Political and Dynastic , in Cam. His. Of Iran (Cambridge:1975):Vol. 5\ p.123.

(7) كان الملك داؤد الثالث يلقب بـ(الملك المجدد)، وهذا يدلل على دوره البارز في توسيع مملكته، وإقامة ركائزها بشكل جيد، كما لقب بـ (بسيف المسيح) أو (حسام المسيح) مما يدلل على صليبيته. ينظر: حميدي، مملكة جورجيا، ص 125.

المعسكرة عند سفح الجبل من أعلاه، وعلى الرغم من عدم وصول القوات السلجوقية بقيادة الأمير طغرل وشمس الدين الأحدب، فقد أبدت القوات الأرتقية شجاعة فائقة، وقاتلت قتال من أيس من الحياة [1] إلا أن الدائرة دارت فيها على القوات الأرتقية، فقُتِل وأُسِر منها عدداً كبيراً، بل وكاد الأمير إيلغازي أن يقتل أو يؤسر لولا استماتة صهره دبيس في الدفاع عنه، فاضطر الأمير إيلغازي ودبيس على الانسحاب إلى مدينة ميافارقين بما تبقى من قواته، فأقام فيها مع قلة قليلة من جنده[2].

لقد كانت تلك الخسارة سبباً في دخول القوات الكرجية إلى مدينة تفليس في السـنة ذاتها [3]، بعد ان دكوا أسـوارها من الجهة الغربية واحرقوها وسلبوا ونهبوا ما تبقى منها، وأحدثوا مذبحة في سكانها من المسلمين [4].

وقد اختلف المؤرخون في تحديد أسباب تلك الخسارة، فذكر كل منهم سبباً مختلفاً عن الآخر، فعزاها ابن الأثير إلى المكيدة التي دبرها الملك الكرجي داوْد الثالث، إذ أمر مائتي رجلاً من القفجاق المتحالفين معه، بالخروج إلى القوات الأرتقية والتظاهر بالاستسلام لها، وكأنهم طالبوا أمان، وبمجرد أن أصبح هؤلاء الرجال بين صفوف القوات الأرتقية، اخذوا بإطلاق النشاب، مما أربك الأراتقة وأدى إلى اضطراب قواتهم، التي ظنت أنها الهزيمة فتركت ساحة القتال [5].

كما أشار آخرون إلى أن الطبيعة الجبلية للمنطقة وممراتها الضيقة ومهارة الكرج على القتال في مثل تلك المناطق كان سبباً في الخسارة، فعلى الرغم من أن الغلبة كانت في بداية الأمر للقوات الأرتقية، إلا أن تتبعها للقوات الكرجية في

---

(1) الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين. نقلاً عن ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 205.

(2) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة: ج3 /ص 431؛ خليل، الإمارات الأرتقية، ص 257.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 204 – 205؛ ابن الأثير، الكامل:ج 10 /ص 567؛ ابن العبري، ، تاريخ مختصر الدول، ص 202؛ ابن واصل، مفرج الكروب: ج4 /ص 182.

(4) الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، منشور في حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص 206.

(5) ابن الأثير، الكامل: ج 10 /ص 567؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 202.

إحدى الممرات الجبلية، وانقلاب الكرج عليهم في منتصفه أدى إلى هزيمتهم لضيق المكان، وعدم قدرتهم على القتال في مثل تلك الظروف [1].

ويبدو أن الأسباب السالفة الذكر كانت مجتمعة تقف وراء خسارة القوات الأرتقية للمعركة، كما ويمكننا أن نضيف أسباباً أخرى كانت تقف وراء الخسارة التي منيت بها القوات الأرتقية، ترجع أسبابها إلى عدم وصول القوات السلجوقية لإنجاد الأمير إيلغازي في قتال الكرج من ناحية، والتفوق الكرجي من حيث العدد والعدة من ناحية أخرى، فضلاً عن قرب القوات الكرجية من بلادها مقارنةً بالقوات الأرتقية، مما مكنها من الحصول على المؤن والإمدادات من مناطق بلاد الكرج القريبة منها.

وهكذا خاض الأمير إيلغازي هذه الحرب التي كادت أن تقضي عليه، وذلك لإدراكه التام بأن زحف العدو لم يكن يشكل خطراً على إمارة إسلامية دون أخرى، وفي أي جزء من أجزاء الدولة العربية الإسلامية، وإنما شكل خطراً مشتركاً هدد جميع الإمارات الإسلامية المتاخمة لبلاد الكرج، ولذلك بادر بتقديم النجدة على رأس قوات عسكرية، مما كلفه ذلك فقدان عدد كبير من قواته، وقد قدر الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي دوره الجهادي الذي قام به، وأرسلا إليه يهنئانه على سلامته من المعركة [2].

بعد دخول الملك داؤد الثالث إلى مدينة تفليس أمن أهلها بعد الاستباحة طيلة ثلاثة أيام، ووعدهم بحسن المعاملة واسقط عنهم الأعشار والمؤن والأقساط والخراج عن جميع السكان المسلمين وغير المسلمين، ومنح المسلمين حقوقاً أخرى عديدة منها:

---

(1) Kemal ED - Din , Delachron Niaue Oalep , in Recull Des Hictorie Des Croisades: 3\628.

(2) خليل، الإمارات الأرتقية، ص 257.

1. أن لا يعبر إلى جانب المسلمين بالمدينة خنزيراً ولا يذبح فيه ولا في سوقها.

2. ضرب لهم الدراهم وعليها اسم الخليفة والسلطان في الوجه الأول، وفي الوجه الآخر اسم الله واسم النبي ﷺ، واسمه على جانب الدرهم.

3. كما نودي في البلد من آذى مسلماً فقد أهدر دمه.

4. شرط لهم الأذان والصلاة والقراءة ظاهراً، وان يخطب يوم الجمعة ويصلى ويدعى للخليفة والسلطان، وان لا يدعى لغيرهما على المنبر.

5. واشترط أن لا يدخل كرجي ولا أرمني ولا يهودي إلى حمام إسماعيل في مدينة تفليس، وعلى ما يبدو أن هذا الحمام كان خاصاً بالمسلمين، وقد أكد هذه الشروط وتطبيقها الفارقي عند دخوله مدينة تفليس سنة 548هـ/1153م، حيث قال: ((لقد رأيت هذه الشروط كلها لما دخلت إلى تفليس)) (1).

على الرغم مما أوردته بعض المصادر التاريخية من روايات عن المعاملة الحسنة التي كان يلقاها المسلمون من لدن الملك داؤد الثالث وولده ديمتري الأول (518 - 559هـ/ 1124 - 1160م) (2)، فقد نفت مصادر أخرى ذلك (3).

وبعد البحث والاستقراء الدقيق في سياسة الملك ديمتري الأول التي اتبعها تجاه المسلمين طوال عهده تبين لنا أن سياسته الحسنة التي فصل الحديث عنها الفارقي، ما هي إلا سياسة مقنعة للوجه الصليبي الذي كان يخفيه الملك ديمتري، وكان يدفعه في سياسته تلك دافعان هما:

الأول: خشيته من غضب القوى الإسلامية المجاورة.

الثاني: الرفع من شأن تعامل النصارى مع المسلمين، وانه ليس اقل شأناً من

---

(1) الفارقي، تاريخ امد وميافارقين، منشور في حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص 206.

(2) الفارقي التاريخ الفارقي، ص45.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 168؛ ابن الأثير، الكامل: ج10/ص615.

التسامح الإسلامي تجاه أتباع الديانات الأخرى ممن هم بذمة المسلمين.

توفي الأمير نجم الدين إيلغازي بن أرتق في مدينة ميافارقين سنة 516هـ/ 1122م بسبب المرض الذي ألم به بعد خسارته أمام الكرج [1]، فاقتسم ممتلكاته كل من أبنائه وأبناء إخوته، فكانت ميافارقين من نصيب ابنه الأكبر الأمير شمس الدولة سليمان (516 - 518هـ / 1122 - 1124 م)، بينما ظفر ابنه الأصغر الأمير حسام الدين تمرتاش (516 - 547هـ /1122 - 1152م) بمدينة ماردين، ونال حلب ابن أخيه الأمير بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق (516 - 518 هـ/ 1122 - 1124م)، واتسعت ممتلكات الأمير بلك بن بهرام بن أرتق (516 - 518هـ / 1122 - 1124م) باتجاه الشمال، فاستولى على حران الواقعة إلى الجنوب من أملاكه، إلا أن وفاته في سنة 518هـ/1124م أدت إلى استيلاء كل من الأمير شمس الدولة سليمان بن أرتق والأمير حسام الدين تمرتاش على ممتلكاته، فضلاً عن ضياع قسم منها بعد استيلاء أمراء السلاجقة عليه [2].

اتبع الأمير حسام الدين تمرتاش سياسة والده في توطيد الأوضاع الداخلية، فوحد إمارة ماردين وميافارقين في إمارة واحدة، وأعادها كما كانت عليه في عهد والده، وخاصة بعد وفاة شقيقه الأكبر الأمير شمس الدولة سليمان أمير ميافارقين، كما انتهج سياسته تجاه القوى المعادية بشكل عام والكرج بشكل خاص، فدخل في تحالف مع الأمراء السلاجقة، وخاصة مع حاكم ارزن الروم الواقعة في بلاد أران على الحدود الشمالية الشرقية لأذربيجان، والتابعة للسلطان السلجوقي طغرل بن محمد بن ملكشاه (526 - 528هـ/ 1131 - 1133م) ولم تشر المصادر التاريخية إلى حدوث صدام عسكري بين الجانبين الأرتقي والكرجي.

في الوقت الذي حكم فيه الأمير حسام الدين إمارة ماردين، كان ابن عمه إبراهيم بن سقمان أميراً على منطقة ديار بكر التي شملت مدينة آمد وحصن كيفا وخلاط، فدخل أيضاً في تحالف مع السلاجقة للوقوف بوجه أي اعتداء كرجي

---

(1) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة: ج3 / ص 431؛ تغري بردي، النجوم الزاهرة:ج 5 /ص 223.

(2) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: ج2 /ص 258.

على بلاده، إلا أن سنوات حكمه كانت قصيرة، لم تتجاوز أربع سنوات، إذ توفي في سنة 521هـ/1127م، ولم تجر فيها أي صـراعات مع أبناء عمه في ماردين من اجل الاستحواذ على مناطق النفوذ، ولم تكن هناك غارات كرجية على مناطق نفوذ الأراتقة، فتولى حكم إمارة حصن كيفا بعده أخيه الأمير داؤد بن سليمان (521 - 539هـ/ 1127 - 1144م) [1]، الذي لم يدخل في أي نوع من العلاقات مع الجانب الكرجي، بسبب انشغاله في توطيد سلطته في حصن كيفا وأعمالها، من اجل الحفاظ على مناطق نفوذه، وبعد وفاته في سنة 539هـ/1144م، تولى الحكم في إمارة حصن كيفا الأرتقية عدد من الأمراء الأراتقة الضعاف، الذين لم يكونوا على مستوى من القوة والحنكة السياسية، فانشغلوا بأمور السياسة الداخلية، ولم ترد أي إشارة تدل على وجود علاقة بين الطرفين حتى سنة 549هـ/1155م، عندما وقع الأمير عز الدين صلتق عم السلطان السلجوقي ارسلان بن طغرل بن محمد (556 - 571هـ /1160 - 1175م) في أسر القوات الكرجية مع عدد كبير من قواته، أثناء محاولتهم للاستيلاء على مدينة آني، بطلب من حاكمها الشدادي، وسعى الأمراء الأراتقة في بلاد الجزيرة جاهدين من اجل إطلاق سراحهم [2]، لما تربطهم بالأمير صلتق من صلات نسب ومصاهرة، فقد كان شاه أرمن[3] سقمان بن إبراهيم بن سقمان (توفي في القرن السادس للهجرة) أمير خلاط متزوجاً من الأميرة بأنوار شقيقة الأمير صلتق [4].

أرسل الأمراء الأراتقة إلى الملك الكرجي ديمتري الأول غير مرة من اجل فك أسر الأمير صلتق، وبناءً على ذلك تم إطلاق سراحه مقابل فدية مالية بلغت قيمتها مائة ألف دينارٍ، وان لا يرفع السيف بوجهه أو بوجه أبنائه من بعده مرة أخرى

(1) خليل، الإمارات الأرتقية، ص 127.

(2) الفارقي، تاريخ امد وميافارقين، منشور في حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص 328.

(3) لقب اطلق على الأمراء المسلمين الذين حكموا في مدينة خلاط وأجزاء أرمينيا.

(4) ابن الأثير، الكامل: ج10/ ص190.

ما بقي حياً، فضلاً عن إطلاق سراح عددٍ كبيرٍ من الأسرى المسلمين ممن أسر معه [1].

ويبدو أن الهدوء ساد العلاقة بين الطرفين، إذ لم يحدث أي عمل عسكري من كلا الطرفين حتى شعبان سنة 556هـ/تموز 1161م، حين اجتمعت القوات الإسلامية من شتى الأقاليم، وخاصة قوات شاه أرمن سقمان بن إبراهيم بن سقمان أمير خلاط [2]، وعز الدين صلتق وفخر الدين دولة شاه صاحب ارزن الروم، وانضم إليهم الأمير نجم الدين ألبي بن تمرتاش الأرتقي (546 - 570هـ/1152 - 1176م) أمير ماردين، فوصلوا إلى مدينة آني فخرج الملك ديمتري الأول لمواجهتهم عند مشارف المدينة، وعند وصول الملك الكرجي فر الأمير صلتق وانسحب بقواته، خشيةً من الوقوع مرة ثانية في الأسر، فيقتله الملك الكرجي لإخلاله بالعهد الذي قطعه له، فأدى إلى ارتباك القوات الإسلامية التي لم يبق منها سوى القوات الأرتقية وعدد قليل من القوات السلجوقية، مما اضطرها إلى الانسحاب بعد أن أُسِرَ وقُتِلَ منها عددٌ كبيرٌ، وكان ضمن الأسرى عدد من أشراف الأراتقة من بني أرتق، وعاد شاه أرمن إلى مدينة خلاط، ولم يعد معه إلا أربعمائة فارس من قواته المتبقية [3]، وعندما بلغ خبر هزيمة القوات الأرتقية إلى الأمير نجم الدين ألبي بن تمرتاش صاحب ماردين، وهو بالقرب من ملاذكرد عاد إلى ماردين دون المشاركة في القتال [4].

لقد كان السبب وراء خسارة القوات الأرتقية أمام الكرج على الرغم من كثرة

---

(1) الفارقي، تاريخ امد ميافارقين، منشور في حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص 328.

(2) ابن الأثير، الكامل: ج 10/ ص278؛

C.E. Boswarth, The Cambridge History Of Iran: Vol.5\ p. 179.

(3) ابن الأثير، الكامل: ج10/ ص278.

(4) Minorsku , Studies In Caucasian History , P. 92 ; J. A. , Boyle , The Cambirdge History Of Iran: Vol. 5 \p. 179.

عددها، هو عدم تماسك الأمراء الأراتقة والسلاجقة وتوحدهم، وخير دليل على ذلك انسحاب الأمير صلتق عم السلطان السلجوقي أرسلان مع قواته، وبمجرد وصول الملك الكرجي إلى ساحة المعركة، وقبيل وقوعها خشية من الوقوع بيده مرة ثانية فيقتله، مما أدى إلى إرباك القوات الأرتقية وخسارتها للمعركة، ووقوع خسائر بشرية ومادية في صفوفها [1]، فضلاً عن تأخر وصول القوات الأرتقية الأخرى التي يقودها الأمير نجم الدين ألبي بن تمرتاش الأرتقي إلى ساحة المعركة، كان له أثره الواضح ودوره الكبير في حسم نتيجة المعركة لصالح القوات الكرجية، وفي يوم الأربعاء 9 شعبان 558هـ / الموافق 13 تموز 1162م تم جمع القوات الأرتقية بقيادة شاه أرمن سقمان بن إبراهيم بن سقمان أمير خلاط، والقوات السلجوقية التي يقودها السلطان ارسلان وشمس الدين إيلدكز (556 - 571هـ / 1160 - 1175م) أتابك أذربيجان، وكان لوصول شاه أرمن سقمان بن إبراهيم دوره الكبير في تحقيق النصر، حيث كانت له مكانة مرموقة عند السلطان السلجوقي، ومما يدلل على ذلك انه كان يخاطبه بكلمة إيجي (أي الأخ الأكبر في اللغة التركية) [2].

توجهت القوات الأرتقية والسلجوقية المتحالفة إلى بلاد الكرج، وعند دخولها في مناطق الأطراف لبلاد الكرج خرج الملك جورج الثالث بن ديمتري الأول (559 - 585هـ/ 1162 - 1184م) للتصدي لتلك الحملة، إلا انه خسر المعركة، وكبد خسارة فادحة، وبعد تلك الهزيمة المنكرة التي لحقت بالقوات الكرجية، دخلت القوات الأرتقية والسلجوقية إلى قلعة كركي [3].

وأرسل الملك جورج الثالث وفداً إلى السلطان السلجوقي يطلب إيقاف

---

(1) Minorsku , Studies In Caucasian History , P. 90 ; Boswarth, The Cambridge History Of Iran:Vol. 5\ p. 179.

(2) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص 151؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ج 12 /ص 245؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج5 /ص 80.

(3) كركي: يقصد بها هنا قلعة جورج أو جورجي، وذلك لأن المصادر العربية الإسلامية، اطلقت على الملك جورج تسمية كركي، أو ابن كركي.

القتال وعقد الصلح، ولا سيما بعد أن أدرك عدم قدرته على التصدي لهم، فجمع السلطان الأمراء الآخرين بما فيهم الأمير الأرتقي شاه أرمن وإيلدكز اتابك أذربيجان، فاستشارهم في أمر إبرام الصلح مع الجانب الكرجي، فكان رأي إيلدكز يميل إلى عقد الصلح مع الكرج ولكن شاه أرمن سقمان الأرتقي رفض ذلك الرأي قائلاً: ((إن عدو الإسلام شديد قلبه ثقيلة على المسلمين وطأته بالأمس، ما قد فعله من الغارة على دوين ونهبها واسر جماعة من أهلها، وقد رآنا إننا قد اجتمعنا للقائه وتهيأنا لدفع مضرته، وان عدنا دون مصادمته ومساورته، وقد أنفقنا من الأموال ما انفقناه، وأذهبنا من الأموال لجمع العساكر ما أذهبناه فحين إذن يزداد طمعه ونخشى انه إذا عاد السلطان أن يخرج إلى بلاد الإسلام مجموعة ويطرقها بعساكره، وهي خالية ممن يقاومه صفر ممن يقابله ويصادمه)) [1]، فلما سمع الأتابك إيلدكز قوله اقتنع به، ووافقه على رأيه، فتقدموا معاً لقتال الكرج، ووقعت معركة حامية الوطيس سحقت خلالها القوات الكرجية، وهرب ما تبقى منها بمعية الملك جورج الثالث بعد أن أعطى ما أعطاه من القتلى والأسرى والجرحى، فضلاً عن كمٍ هائلٍ من الغنائم التي لا يمكن حصرها، ويضمنها إسطبل خيول الملك جورج الثالث ذو المعالف الفضية مع الشرابخانة (حانة الشرب الخاصة بالملك)التي تعادل قيمتها ألفي دينار آنذاك[2].

وبناءً على طلب الأتابك إيلدكز في سنة 571 هـ/1175م خرج شاه أرمن سقمان بن إبراهيم الأرتقي أمير خلاط مع السلطان السلجوقي أرسلان شاه لتوجيه ضربة تأديبية لمملكة الكرج [3]، رداً على ما قام به ملكها جورج الثالث من الغارات

---

(1) الحسيني، أخبار الدولة، ص 158 - 159.

(2) الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، منشور في حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص 362؛

Minorsku , Studies In Caucasian History , P. 93.

(3) الفارقي، المصدر نفسه، منشور في حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص 362، 364؛

Minorsku , Studies In Caucasian History , P. 96 - 97.

على الأراضي الإسلامية المجاورة وآخرها في سنة 570هـ/1174م، فدخلوا في الأراضي الكرجية وحققوا انتصاراً عظيماً على الكرج، وجنوا كماً كبيراً من الغنائم، ومن ثم انسحب كل منهم إلى بلاده [1].

ظهر الأيوبيون كقوة إسلامية فتية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، واتخذوا من الجهاد سبيلاً لتوحيد الأمة الإسلامية، وبدأت دولتهم تتمتع بقوة عسكرية أهلتها إلى تحمل أعباء الدفاع عن الأراضي والمقدسات الإسلامية، فبدأت بتوحيد جبهتها الداخلية من خلال مد نفوذها إلى مختلف أرجاء الدولة العربية الإسلامية، فأخضعت بلاد الجزيرة لسلطتها بعد سنة 571هـ/ 1175م، وعقدوا مع أمرائها صلحاً في 20 محرم سنة 572هـ/ 1176م، وانتظم جميع هؤلاء الأمراء في حلف واحد مع الأيوبيين، بما فيهم الأمراء الأراتقة في حصن كيفا وماردين وميافارقين على أن يكونوا جبهة واحدة ضد الأخطار الخارجية التي تحدت الأمة، وتحولت مهمة الجهاد في سبيل الله عن تلك البلاد إلى الأيوبيين، ولم يبق من الإمارات الأرتقية سوى خلاط في مواجهة الغارات الكرجية [2].

التزمت مملكة الكرج الهدوء من اجل كسب ود الأيوبيين الذين أصبحت مناطق نفوذهم مجاورة لها، إلا أنها لم تلبث أن أخذت بالسعي من أجل عقد التحالفات مع الأطراف النصرانية الأخرى في المنطقة، فعقد الكرج تحالفاً مع أبناء عمومتهم من الأرمن في سنة 598هـ/1198م، فبدءوا في الإغارة على الأراضي الإسلامية المجاورة وصولاً إلى مدينة خلاط الأرتقية، ففرضت القوات الكرجية والأرمنية المتحالفة الحصار عليها، من اجل إجبارها على الاستسلام لهم، إلا أن وقوع القائد الكرجي أسيراً بيد السلاجقة أدى إلى خلاص المدينة من الحصار، وانتهاء هذه الحملة المشتركة ذات البداية الناجحة باتفاق سلمي بين مملكة الكرج

---

(1) الفارقي، المصدر نفسه، منشور في حاشية كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص 362، Grousset , History Des Croisades (Paris: 1936): Vol. 3\ p.231.

(2) التكريتي، الايوبيون، ص 164 - 165.

وشاه أرمن أمير المدينة [1]، إلا أنهم هاجموا مدينة دوين واحتلوها وقتلوا واسروا ونهبوا ما فيها [2]، واتخذوا منها قاعدة لمهاجمة مناطق نفوذ الأراتقة، فهاجموا أعمال خلاط وصولا إلى منطقة ملاذكرد، وأكثروا من القتل والسلب والنهب، ومن ثم توجهوا نحو مدينة أرجيش [3]، وعندما أدرك شاه أرمن الأرتقي أمير خلاط عدم مقدرته على التصدي للكرج، استنجد بقلج أرسلان أمير ارزن الروم طالبا المساعدة منه، ونجحا في صد غارات الكرج وإلحاق الهزيمة بهم، بعد أن كُبِدوا بخسائر فادحة في صفوفهم، وقتل قائدهم زكاري [4].

على الرغم من الخسارة السابقة التي منيت بها القوات الكرجية، لم تعتبر الملكة الكرجية ثمارا ابنة ديمتري الأول (580 - 609هـ/1184 - 1212م)، مما لحق بجيشها فأعادت الكرة في سنة 599هـ/1199م، وهاجمت قواتها مدينة خلاط وأعمالها وقتلت وأسرت وشردت السكان ونهبت ممتلكاتهم، مستغلةً موت أميرها شاه أرمن الأرتقي وتولي ولده الصغير، مما أدى إلى سوء الأوضاع الداخلية وتنافس الأمراء فيما بينهم، فلم تكن لأتابك الأمير الصغير سلطة على الجند، فهب الأهالي لصد الهجوم الكرجي على مدينتهم ونجحوا فيما سعوا إليه بعد عدة جولات مع الكرج، وألحقت الهزيمة بالقوات الكرجية، وبعد تحقيق هذا الانتصار ثار الأهالي وخلعوا الأمير الصغير، وولوا بدلاً عنه الأمير عز الدين بلبان مملوك شاه أرمن [5]، الذي خضع لسيادة الأيوبيين، وبزوال السيادة الأرتقية عن مدينة

---

(1) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: ج1 / ص 38.

(2) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: ج2/ ص181.

(3) أرجيش: مدينة قديمة من نواحي أرمينيا الكبرى قرب خلاط وأكثر سكانها أرمن نصارى. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج 1 / ص144.

(4) زكريا: هو الجد الأكبر لأسرة أرمنية عريقة تدعى بالأسرة الزكارية نسبة اليه، وكان في خدم ملك الكرج، فشغل منصب القائد الأعلى للقوات الكرجية.ينظر: حميدي، مملكة جورجيا، ص 123؛ خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: ج1/ص38.

(5) أبو طالب علي بن انجب ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق: جواد علي (بغداد: 1934م):ج 9 /ص 151؛ سيد، أرمينية، ص 221.

خلاط، انتقلت مهمة مقارعة الكرج إلى الأيوبيين الذين أصبحت لهم السيادة الكاملة عليها بعد سنة 600هـ/1200م، وبذلك توقفت المواجهات العسكرية الأرتقية الكرجية بشكل مباشر بعد أن أصبح الأراتقة ضمن نطاق السلطة الأيوبية.

وبعد دراسة العلاقات الكرجية - الأرتقية بشكل مفصل نخلص إلى نتيجة مهمة، وهي الدور الكبير للأراتقة وموقفهم الجهادي أمام غارات الكرج المستمرة على الأراضي الإسلامية المجاورة، وأنهم ذادوا بأرواحهم من اجل حماية ممتلكات المسلمين والحفاظ على أرواحهم ومقدساتهم.

***** ***** *****

الفصل الخامس
العلاقات الدبلوماسية
بين مملكة الكرج وإمارة الموصل
في العهد الزنكي

تعد مدينة الموصل من الحواضر العربية المهمة، وإحدى القواعد العسكرية الرئيسة للدولة العربية الإسلامية، وقد أدّت دوراً كبيراً على مسرح الأحداث السياسية والاقتصادية على حدٍ سواء وعلى مر العصور التأريخية المختلفة، وفي حقبة العصور الوسطى بشكل خاص، ولا سيما العهد الزنكي، ويرجع ذلك لما لها من تاريخ عريق وموقع جغرافي مهم، وهذا ما أكّدهُ المؤرخون العرب المسلمون في رواياتهم التي أوردوها عن المدينة، وأهمية موقعها الجغرافي الذي يربط بين العراق وبلاد الشام والجزيرة[1]، إذ لم تكن بمعزل عن الظروف السياسية التي سادت المنطقة آنذاك، خاصةً مع بدايات ازدياد الخطر الصليبي على بلاد الشام الذي هدد الأمة بأسرها، وسعى لاستنزاف خيراتها وتدنيس مقدساتها وطمس هويتها العربية، لذا فقد بلغت مدينة الموصل أوج قوتها في العهد الزنكي، عندما أصبحت اتابكية ذات كيان سياسي مستقل، ابتداءً بتولي عماد الدين زنكي (521 - 541هـ/1127 - 1146) مؤسس الأسرة الزنكية.

يعد عماد الدين زنكي المؤسس الأول للإمارة الزنكية في الموصل، وكان والده آق سنقر أحد المماليك الأتراك التابعين للسلطان السلجوقي ألب ارسلان

---

(1) أحمد بن محمد الهمذاني، مختصر كتاب البلدان (ليدن: 1885م)، ص 36؛ شمس الدين محمد الانصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايزك: 1928م)، ص 190.

وولده ملكشاه من بعده، وكان أحد أمراءه البارزين [1]، إلا انه قتل في احد معاركه مع السلطان تتش سنة 487هـ/1094م، وحرم ولده عماد الدين زنكي من أملاكه، فألتف حوله أتباع والده وأسندت إليه شحنكية البصرة في سنة 507هـ/1113م [2]، ثم تولى شحنكية العراق سنة 520 هـ / 1126م، فنجح في إخضاع القوى المحلية، ثم عين في سنة 523هـ/1128م من قبل السلطان السلجوقي أميراً على الموصل وبلاد الشام والجزيرة [3]، واتخذ من الموصل عاصمة ومقراً لإمارته، وقادها بنجاح قرابة العشرين سنة، سواء عن طريق تحقيق التماسك والاستقرار الداخلي[4]، أم عن طريق التصدي للأخطار الخارجية المحدقة بالمدينة والأمة معاً، فقد جاهد ضد الغزاة الصليبيين، لا سيما بعد أن أصبحت مناطق نفوذه تمتد ما بين آمد وديار بكر وحدود أذربيجان شمالاً وحتى تكريت جنوباً، وما بين منطقة شهر زور شرقاً وحتى السواحل الشامية غرباً، مما دفع الأمراء المجاورين إلى مهادنته واتباع سياسة الحذر معه خشية بأسه[5].

بعد مقتل عماد الدين زنكي في سنة 541هـ/1146م انقسمت دولته بين ولديه سيف الدين غازي ونور الدين محمود، مما زاد في أطماع كل من السلطان السلجوقي والأمراء المجاورين وسعوا جاهدين من اجل الاستيلاء على ممتلكاته، وكان الشخص المتنفذ في جميع أمور الدولة آنذاك وزيره جمال الدين الأصفهاني (521 - 559هـ/1127 - 1163م)[6]، المعروف بـ (الجواد) [7]، والأمير الحاجب

---

(1) أبو شامة، الروضتين: ج 1/ ص65 - 66؛ ابن واصل، مفرج الكروب: ج1/ ص11.

(2) عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة، ص16.

(3) خليل، عماد الدين زنكي (الموصل: 1985م)، ص 137.

(4) شكيب راشد عزيز، الموصل ودورها في التصدي للغزو الصليبي (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل: 2002م)، ص19 - 20.

(5) للمزيد من التفاصل عن دولة عماد الدين زنكي ينظر: حبشي، نور الدين والصليبيون (القاهرة: 1948م)، ص140 - 141.

(6) تم التفصيل عنه انفاً. وللمزيد من التفاصيل ينظر: الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، ص280.

(7) الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، ص 280.

صلاح الدين الياغستاني [1]، وعلى الرغم من الخلافات الشخصية بين الطرفين، إلا أنهما نجحا في تثبيت أركان الدولة الزنكية والحفاظ على ممتلكاتها، وقاموا بتولية الأمير سيف الدين غازي (541 - 544هـ/1146 - 1149م) ابن عماد الدين زنكي في سنة 541هـ/1146م، بعد أن أزالا كل أسباب الخلاف والبغضاء فيما بينهما، وأصبح الوزير جمال الدين الأصفهاني الرجل الأول في الدولة بعد الأمير سيف الدين غازي، إلا انه شعر بخطر الأمير سيف الدين الذي بدا يهدده في أيامه الأخيرة، فخشي جمال الدين من بطشه، وسعى من اجل التخلص منه، إلا أن مرض الأمير سيف الدين ووفاته في سنة 544هـ/1149م أنقذت الوزير جمال الدين من سطوته[2].

لقد ظل المتحكمون بدولة الأمير سيف الدين غازي بعد وفاته، كل من الوزير جمال الدين الأصفهاني والأمير زين الدين علي كوجك [3] صاحب اربل ومقدم الجيش عز الدين الدبيسي [4]، فاتفقت كلمتهم على توليت الأمير قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي (544 - 565هـ / 1146 - 1169م)، فاستبد

---

(1) صلاح الدين الياغيستاني: هو احد أمراء عماد الدين زنكي، تولى منصب الحاجب، واخلص في خدمة الدولة الزنكية، إذ حصل على ثقة الأمير عماد الدين الذي ولاه منصب كبير القادة في دولته الوليدة، توفي الياغيستاني في سنة 552هـ/1157م. ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 217، 247.

(2) سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل:ج1/ص286.

(3) زين الدين علي كوجك: هو احد أمراء عماد الدين زنكي، ولد بعد سنة 463هـ/1071م، واقطعه زنكي مدينة اربل في سنة 526هـ/1131م، ثم عينه نائباً عنه في الموصل سنة539هـ/1144م، وظل كوجك في خدمة الدولة الزنكية حتى وفاته سنة563هـ/1168م. ينظر ابن القلانسي، ذيل، ص282.

(4) عز الدين الدبيسي: احد كبار أمراء عماد الدين زنكي ومن ذوي الرأي عنده، وعندما تولى الحكم الأمير سيف الدين غازي منحه جزيرة ابن عمر اقطاعاً له، وخلال مسيره إليها التقى بوفد حامية الرها الذي طلبه لمساعدة جيش الموصل، توفي سنة 552هـ/1157م. ينظر: ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص76، 86.

جمال الدين الأصفهاني في أمور الدولة [1]، كما أدّى هذا الاتفاق دوراً كبيراً في إنهاء النزاع الذي نشب بين كل من الأمير قطب الدين مودود وأخيه الأمير نور الدين محمود (541 - 569هـ/1146 - 1173م) صاحب حلب، حول تبعية مدينة سنجار، التي استولى عليها الأمير نور الدين محمود في سنة 544هـ/1149م [2]، فنجح الوزير جمال الدين في المحافظة على استقرار الأوضاع في كل من الموصل وبلاد الشام، ولا سيما أنها كانت مهددة ومحاطة بالأخطار الخارجية والتهديدات الصليبية [3]، من خلال إقناع الأمير نور الدين محمود باستبدال مدينة حمص بمدينة سنجار، فأصبحت الأولى من نصيب الأمير نور الدين والثانية من نصيب شقيقه الأمير قطب الدين، ومما يدل على كفاءة الوزير جمال الدين الأصفهاني وحنكته السياسية، ما قام به نور الدين من محاولات من اجل كسبه إلى جانبه، حيث عرض عليه البقاء في خدمته لإدارة الدولة إلى جانبه، وعندما انتهت مرحلة النزاع بينه وبين أخيه قطب الدين أمير الموصل، رفض الوزير جمال الدين ذلك العرض بطريقة مهذبة وبذكاء عالي، قائلاً للأمير نور الدين محمود: ((إن عدوك كافر [يقصد الصليبيين] فالناس يدفعونه ديانة، أما عدو أخيك مسـلمون يحتاجون من يقوم بدفعهم، فإن كنت عند أخيك فالنفع عائد إليك)) [4].

كما طلب من الأمير نور الدين محمود أن يدفع مبلغ عشرة آلاف دينار سنوياً يتسلمها نائبه، وكان الوزير جمال الدين يستخدم هذه الأموال في دعم حركات الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في بلاد الشام، فضلاً عن قيامه بافتداء الأسرى المسلمين من أيدي الصليبيين ويطلق سراحهم، وهذا ما اشتهر به [5].

وعلى ما يبدو أن الدافع الذي كان يقف وراء بذله الأموال الكثيرة في سبيل

---

(1) التاريخ الباهر، ص94؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: ج 8/ص204.

(2) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 207؛ أبو شامة، الروضتين: ج1/ ص172.

(3) عزيز، الموصل، ص 77 - 78.

(4) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص 97.

(5) ابن واصل، مفرج الكروب: ج 1/ ص120؛ أبو شامة، الروضتين: ج1/ص174.

إطلاق سراح الأسرى المسلمين، أينما كانوا سواء في الأسر الصليبي في بلاد الشام، أم في جهات أخرى من الأراضي الإسلامية، هو تحقيق هدفين الأول ابتغاء مرضاة الله، والثاني من اجل تقوية نفوذه والاستفادة منهم لقتال الغزاة الصليبيين، وهذا الأجراء يشجع المسلمين ويقوي عزيمتهم على الاشتراك في حركة الجهاد التي نشطت آنذاك بشكل كبير.

كما اشتهر الوزير جمال الدين بتشجيعه للجانب العلمي في مدينة الموصل، من خلال اتخاذه لعدة إجراءات كبناء المدارس ودور العلم، فضلاً عن الأنفاق على المعلمين والطلاب الدارسين فيها، كما انه بنا العديد من البيمارستانات [المستشفيات] والمساجد في أماكن مختلفة من بلاد الإسلام [1] ونظراً لتلك الصفات الحميدة والخصال التي تميز بها عن غيره من الوزراء والأمراء، فقد سمي بالجواد [2]، كما أشرنا آنفاً.

لم يهتم الوزير الموصلي جمال الدين الأصفهاني في جبهة من جبهات الإسلام على حدود الدولة العربية الإسلامية دون الأخرى، وكما وجهة جل اهتمامه لمواجهة الغزو الصليبي في بلاد الشام، فقد اهتم في الوقت ذاته في الجبهة الشمالية المتمثلة بآسيا الصغرى وبلاد القوقاز، إذ نشطت فيها بعض الممالك والإمارات المسيحية الصغيرة المعادية للدولة العربية الإسلامية، فعملت تلك الممالك على ضرب المسلمين على أطراف الدولة، وتزعمتها مملكة أرمينية الصغرى في آسيا الصغرى، ومملكة الكرج الواقعة في الجزء الغربي من آسيا، وتعد المنطقة التي تقع فيها بلاد الكرج من المناطق التي شغلت الدولة العربية الإسلامية، بسبب ما خلقته من متاعب ومصاعب، نتيجة اختلاف الأجناس والأديان فيها ونظراً لموقع بلاد الكرج المتميز من ناحية، واستقرارها داخلياً وخارجياً من ناحية أخرى، فقد ازداد دورها في العصور العباسية المتأخرة، فأخذت بشن الغارات المتتالية على الأراضي الإسلامية المجاورة، والقيام بعمليات التدمير، وقتل الرجال والشيوخ

---

(1) سليمان الصائغ، تاريخ الموصل (بيروت: 1928م):ج1 /ص 87.

(2) الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، ص280.

وسبي الأطفال والنساء[1] فضلاً عن ممارسة مختلف أنواع عمليات السلب والنهب[2].

لقد أرسل الوزير جمال الدين الأصفهاني الوفود والسفارات إلى جورج الثالث (549 - 580هـ/1154 - 1184م) ملك الكرج، من اجل افتداء الأسرى المسلمين الذين وقعوا في اسر القوات الكرجية أثناء الحروب بين الجانبين أو من جراء الغارات العدوانية التي شنتها على المناطق الإسلامية المجاورة[3].

في الحقيقة ليس لدينا الكثير من المعلومات عن تلك الوفود والسفارات التي أرسلها الوزير جمال الدين إلى بلاد الكرج، سوى إشارة واحدة تدل على وجود سفارتين بين كل من إمارة الموصل ومملكة الكرج، أرسلهما جمال الدين وزير قطب الدين مودود زنكي أمير الموصل، واللتان يمكننا من خلالهما إثبات أمران مهمان وهما:

الأول: المكانة السياسية الكبيرة التي حققتها إمارة الموصل في العهد الزنكي مقارنة بمستوى القوى الإسلامية آنذاك.

ثانياً: وجود علاقات دبلوماسية ودية بين مملكة الكرج وإمارة الموصل على الرغم من بعد المسافة بينهما، ووجود قوى سياسية تفصل فيما بينهما، وستمثل هاتين السفارتين المحور الأساس الذي سيدور الحديث عنه.

أنفذ الوزير جمال الدين السفارة الأولى إلى الملك جورج الثالث ملك الكرج في مستهل سنة 557هـ/1161م، لتلتمس منه الموافقة على قيام الوزير جمال الدين في بناء بيمارستان [مستشفى] في العاصمة الكرجية تفليس، من اجل خدمة المسلمين المقيمين فيها، وتقديم العلاج والعناية بالمرضى والضعفاء منهم، وفعلاً

---

(1) ابن الأثير، الكامل: ج11/ ص287؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي:ج 2/ ص100؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج5/ ص80؛

The Cambridge Medieval History:Vol. 6/p. 594.

(2) C. E. Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran (Cambridge: 1975):V0l. 5/p.179.

(3) الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، ص281.

استقبل الملك جورج الثالث تلك السفارة ببالغ الإجلال والتقدير، واظهر لها كل مظاهر الاحترام والإكرام، ورد على الوزير جمال الدين بالشكر على ما أبداه من نوايا حسنة، واهتمامه بالمسلمين ممن هم ضمن نطاق مملكته، واخبر السفير الموصلي بأنه سيقوم ببناء ذلك البيمارستان على نفقته الخاصة[1].

والذي يمكن ملاحظته بشكل جلي، وما ستثبته الأحداث فيما بعد الدور الكبير الذي أدّته هذه السفارة في إقامة علاقات ودية بين مملكة الكرج وإمارة الموصل، إذ أن مبادرة الوزير جمال الدين أعربت عن حسن النية تجاه مملكة الكرج، مما زاد ذلك في احترام وتقدير الملك جورج الثالث لشخص الوزير جمال الدين وجهوده الطيبة، فبادر هو ببناء البيمارستان من ماله الخاص.

أما فيما يتعلق بالسفارة الثانية، فقد أرسلها الوزير جمال الدين في سنة 557هـ/1161م، إثر المعركة التي وقعت في شهر رجب سنة 557هـ/تموز 1161م بين القوات الكرجية بقيادة الملك جورج الثالث وبين القوات الإسلامية التي جمعت من شتى الأقاليم التابعة للسلاجقة والأراتقة، بقيادة شاه أرمن إبراهيم بن سقمان صاحب خلاط وانضمت إليه قوات صاحب أرزن الروم[2] الأمير عز الدين صلتق عم السلطان السلجوقي قلج أرسلان وقوات دولت شاه صاحب ارزن [3] السلجوقي وصاحب سرماري [4]، وتوجهوا نحو حوض نهر آراكس، وانضم الأمير نجم الدين تمرتاش الأرتقي، وفي شهر شعبان من السنة ذاتها، وصلوا إلى مدينة آني العاصمة

---

(1) الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، ص 280.

(2) أرزن الروم: مدينة كبيرة من اعمال أرمينيا الكبرى قرب خلاط بينها وبين تفليس عاصمة بلاد الكرج ثلاثة ايام. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان:مج 1/ ص150، 245؛ مج4 / ص50.

(3) ارزن: بلدة من إعمال بلاد الجزيرة الفراتية وهي مواجهة لبلاد الروم، وانشأ الإمبراطور قسطنطين فيها باباً كبيراً نقش عليه اسمه واسم أمه الإمبراطورة هيلانة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج 5 / ص237.

(4) سرماري: سرماري أو سرمارى قلعة عظيمة ومشهورة وولاية واسعة بين تفليس وخلاط. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: مج 3 / ص215.

التاريخية لمملكة أرمينيا الكبرى، وفرضوا عليها حصاراً شديداً حتى ضيقوا عليها الخناق، فخرج الملك جورج الثالث بقوات عسكرية ضخمة من اجل التصدي لهم، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم على مشارف المدينة [1].

لقد كان السبب وراء إخفاق القوات السلجوقية والأرتقية وخسارتها أمام الكرج، على الرغم من كثرة عددها وعدتها، هو عدم تماسك الأمراء وتوحدهم من اجل الاستمرار في عملية الحصار ومقاتلة القوات الكرجية، وخير دليل على ذلك انسحاب الأمير عز الدين صلتق صاحب ارزن الروم بقواته بمجرد وصول الملك جورج الثالث[2] إلى ارض المعركة وقبيل وقوعها، خشيةً من الوقوع أسيراً بيده مرة ثانية فيقتله[3]، لإخلاله بالعهد الذي قطعه على نفسه للملك الكرجي، مقابل إطلاق سراحه في المرة السابقة[4]، مما أدى إلى خسارة المسلمين، ووقوع خسائر بشرية ومادية فادحة في صفوفهم بين أسير وشهيد، وبضمنهم عدد من الأمراء اللذين وقعوا في اسر الملك الكرجي[5].

إثر هذه الحادثة المؤلمة والخسارة التي مني بها المسلمين، فكر الوزير جمال الدين الأصفهاني في أمر افتداء الأسرى المسلمين من الأمراء والعامة، فأرسل سفيراً إلى جورج الثالث ملك الكرج يناشده السلام، ويلتمس منه إطلاق سراح الأمراء المسلمين الذين اسروا في تلك المعركة، ومما شجعه على الإقدام على مثل هذا الإجراء وإرساله سفارة دبلوماسية، ما كان يربطه بالملك جورج الثالث من

---

(1) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 174؛
V. Minorsky , Studies In Caucasian History (London: 1953) , P. 90.

(2) ابن القلانسي، ذيل، ص281.

(3) Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 90.

(4) إذ أنه وقع في اسر الكرج في سنة 556هـ/1160م وتم اطلاق سراحة في السنة ذاتها، بعد ان اقسم للملك جورج الثالث بانه لن يشهر السيف بوجهه أو بوجه ابناءه ما دام حياً. ينظر: ابن الأثير، الكامل:ج11/ ص280؛ سيد، ارمينية، ص 281؛
Minorsky , Studies In Caucasian , P.90.

(5) Minorsky , Studies In Caucasian , P.90 ؛ Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran:Vol. 5/p. 179.

علاقات ودية واحترام متبادل، وما لمسه من تقدير وإكرام للسفارة التي أرسلها إليه في المرة السابقة، وقد تم للوزير جمال الدين ما أراده بالفعل وأطلق الملك جورج الثالث سراح الأمراء الأسرى احتراماً وتقديراً له[1].

لم يكتف الوزير جمال الدين بإطلاق سراح الأمراء، فأرسل مبلغاً من المال قدره ألف دينار، كفدية مقابل إطلاق سراح الأسرى من عامة المسلمين، الذين لا يملكون أموالاً يفتدون بها أنفسهم، وليس لديهم أهل يدفعون فديتهم، وبذلك يكون قد دفع فدية عدد كبيرة من أهل الحجاز، الذين أسروا في تلك المعركة [2]، فضلاً عن إطلاق الملك جورج الثالث لعدد من الأسرى من دون مقابل، وذلك إرضاءً للوزير جمال الدين، وتقديراً له على حسن نيته، وهذا ما أوردته بعض المراجع إذ ((تم إطلاق الكثير من الأسرى المسلمين بدون مقابل)) [3].

كما أشار المؤرخ السرياني ابن العبري في كتابه تاريخ الزمان إلى أن جورج الثالث ملك الكرج أطلق سراح الكثيرين من الأسرى المسلمين دون أي مقابل، وكان ذلك احتراماً وتبجيلاً للوزير الموصلي جمال الدين الأصفهاني، الذي اشتهر بعطفه وحسناته الوافرة ونواياه الجيدة تجاه مملكة الكرج [4]، كما أكد المؤرخ الروسي فلاديمير مينورسكي على وجود هذه السفارة من خلال إشارته إلى وجود نسخة مسيحية للمفاوضات التي تمت بين الطرفين من أجل إطلاق سراح الأسرى، ونصها: ((وقد اختار الرجل الطيب المعروف بعطفه جمال الدين، كبير طائفة اليعاقبة المسيحيين ويدعى المفريان اكناتيوس، كسفير إلى الملك الكرجي، وقد استقبل بحفاوة وترحيب، وتم إطلاق الكثير من الأسرى المسلمين بدون مقابل)) [5].

إن اختيار الوزير جمال الدين بحد ذاته لشخص نصراني بل ورئيس طائفة

---

(1) الفارقي، تاريخ آمد وميافارقين، ص 281.

(2) Minorsky , Studies In Caucasian History, P. 91.

(3) Studies In Caucasian History, P. 92.

(4) تاريخ الزمان، ص174.

(5) Studies In Caucasian History, P. 92.

دينية بل ومن أبناء دين الملك جورج الثالث كسفير يرسله إلى بلاد الكرج للقيام بالتفاوض مع ملكها حول مسألة إطلاق سراح الأسرى المسلمين، إن دل على شئ، فإنما يدل على العقلية الدبلوماسية والذكاء اللذان يمتلكهما الوزير جمال الدين من ناحية، كما انه أراد في الوقت ذاته إيجاد روابط الألفة والتماسك بين أبناء البلد الواحد مهما اختلفت أديانهم ومذاهبهم وأعراقهم من ناحية أخرى، فقد أنعشت هذه السفارة النصارى في مدينة الموصل، وأفرحت المسلمين بعودة أبناءهم الأسرى.

ورداً على تلك السفارة، وما تم خلالها من مفاوضات طيبة أرضت الجانبين، إذ قامت بينهما علاقات صداقة جيدة أرسل الملك جورج الثالث الهدايا إلى الوزير جمال الدين في الموصل كتعبير عن اعتزازه بهذه الصداقة بل والأكثر من ذلك، أرسل الملك جورج الثالث رسوله الخاص لاصطحاب السفير الموصلي اكناتيوس في طريق عودته إلى بلاده، ودخل السفير الموصلي ومرافقه الكرجي إلى مدينة الموصل، والصلبان معلقة على رؤوس رماحهم [1]، ومعهم الجنود الكرج المرافقين لهما، فاستقبل الوزير جمال الدين رسول الملك جورج الثالث، الذي نقل إليه تحيات وإجلال الملك، فأمر الوزير جمال الدين بإكرام السفير الكرجي، واظهر له كل مظاهر الاحترام طوال مدة إقامته في مدينة الموصل، كما استفاد المفريان اكناتيوس من هذه الفرصة، بعد أن نجح في أداء مهمته على أكمل وجه، فطلب الإذن من الوزير جمال الدين ببناء مصلى في قرية برطلي الواقعة بالقرب من مدينة الموصل فوافق جمال الدين على ذلك [2].

ومن الواضح أن ما قامت به إمارة الموصل من دور كبير على مسرح السياسية الداخلية والخارجية، قد عزز من مكانتها بين الاتابكيات والإمارات

---

(1) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص175؛
Minorsky , Studies In Caucasian History, P. 92.

(2) جان موريس فييه، الاثار المسيحية في الموصل، ترجمة: نجيب قاقو (بغداد: 2000م)، ص48.

الأخرى، فبلغت مدينة الموصل ذروتها في العهد الزنكي، وخاصةً في أثناء خدمة الوزير جمال الدين الأصفهاني الذي نجح في إقامة علاقات ودية مع العديد من القوى الإسلامية وغير الإسلامية والقوى المجاورة وغير المجاورة، فكانت هذه السفارات دليلاً واضحاً على مدى ما حققته إمارة الموصل من مكانة مرموقة، واستمرت عليها طوال العهد الزنكي.

***** ***** *****

الملاحق والخرائط

ملحق رقم (1)

جدول بأسماء ومدد حكم بارونات (أمراء) أرمينية الصغرى

1 - روبين الأول	(474 - 489هـ / 1080 - 1095م)
2 - قسطنطين الأول	(489 - 494هـ / 1095 - 1100م)
3 - توروس الأول	(494 - 517هـ / 1100 - 1123م)
4 - ليفون الأول	(517 - 532هـ / 1123 - 1137م)
5 - توروس الثاني	(540 - 565هـ / 1145 - 1168م)
6 - مليح	(565 - 570هـ / 1169 - 1174م)
7 - روبين الثالث	(571 - 582هـ / 1175 - 1186م)
8 - ليفون الثاني (بارونا)	(582 - 596هـ / 1186 - 1199م)

ملحق رقم (2)

جدول بأسماء ومدد حكم ملوك أرمينية الصغرى

1 - ليفون الثاني (ملكاً)	(596 - 616هـ / 1199 - 1219م)
2 - ايزابيلا ابنة ليفون	(616 - 623هـ / 1219 - 1226م)
3 - هيثوم الأول	(623 - 669هـ / 1226 - 1270م)
4 - ليفون الثالث	(669 - 688هـ / 1270 - 1289م)
5 - هيثوم الثاني	(688 - 691هـ / 1289 - 1291م) فترة حكمه الأولى
6 - توروس الثالث	(691 - 693هـ / 1291 - 1293م)
7 - هيثوم الثاني	(693 - 694هـ / 1293 - 1294م) فترة حكمه الثانية
8 - سمباط الأول	(694 - 695هـ / 1294 - 1295م)
9 - قسطنطين الثاني	(695 - 697هـ / 1295 - 1297م)
10 - هيثوم الثاني	(697 - 705هـ / 1297 - 1305م) فترة حكمه الثالثة
11 - ليفون الرابع	(705 - 708هـ / 1305 - 1308م)
12 - اوشين الأول	(708 - 720هـ / 1308 - 1320م)
13 - ليفون الخامس	(720 - 743هـ / 1320 - 1342م)
14 - غي دي لوسينيان	(743 - 745هـ / 1342 - 1344م)

15 - قسطنطين الثالث	(745 - 765هـ / 1344 - 1363م)
16 - قسطنطين الرابع	(765 - 775هـ / 1363 - 1373م)
17 - ليفون السادس	(775 - 776هـ / 1373 - 1374م) في حكم المملكة
ليفون السادس أسيرا في مصر	(776 - 784هـ / 1374 - 1382م)
ليفون السادس في باريس حتى وفاته	(784 - 796هـ / 1382 - 1393م)

ملحق رقم (3)

جدول يبين أسماء الملوك الجورجيين مع مدد حكمهم [1]

1. اشوط الأول بن سمباط (237 - 277هـ/852 - 890م) [2]
2. سمباط الأول بن اشوط (277 - 302هـ/890 - 914م)
3. آشوط الثاني بن سمباط الأول (302 - 317هـ/914 - 929م)
4. داؤد الأول بن سمباط (317 - 391هـ/914 - 1000م) [3]
5. داؤد الثاني بن سمباط (391 - 399هـ/1000 - 1008م)
6. بقراط الثالث بن سمباط (399 - 405هـ/1008 - 1014م)
7. جورج الأول بن بقراط الثالث (405 - 410هـ/1014 - 1019م)

---

(1) تم إعداد الملحق بالاعتماد على:
C. Toumanoff, Armenia And Georgia , in Cambridge Mediaeval History (Cambridge: 1953)

(2) حكم تحت لقب أمير أو قربلاط حتى سنة 272هـ/885م، واصبح ملكاً بعد هذا التاريخ باعتراف كل من الخليفة العباسي والإمبراطور البيزنطي.

(3) اعترف بالإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني وريثاً له على مملكة جورجيا في سنة 386هـ/996م، اثر الضغط والتهديد البيزنطي له باحتلال مملكته وتدميرها. ينظر: العريني، الدولة البيزنطية، ص 619.

8. بقراط الرابع بن جورج الأول (418 - 465هـ/1027 - 1072م)

9. جورج الثاني بن بقراط الرابع (465 - 482هـ/1072 - 1089م)

10. داؤد الثالث بن جورج الثاني (482 - 518هـ/1089 - 1124م)[1]

11. ديمتري الأول بن داؤد الثالث (518 - 559هـ/1124 - 1156م)[2]

12. داؤد الرابع بن ديمتري الأول (551 - 551هـ/1156 - 1156م)[3]

13. جورج الثالث بن ديمتري الأول (551 - 580هـ/1156 - 1184م)[4]

14. ثمارا ابنة ديمتري الأول (580 - 609هـ/1184 - 1212م)

15. جورج الرابع بن ثمارا (609 - 620هـ/1212 - 1223م)[5]

16. روسودان بنت ثمارا (620 - 643هـ/1223 - 1245م)[6]

17. داؤد الخامس بن روسودان (643 - 667هـ/1245 - 1269م)[7]

18. داؤد السادس بن جورج الرابع (672 - 688هـ/1273 - 1289م)[8]

---

(1) الملقب بالمجدد.

(2) الملقب بحسام أو سيف المسيح.

(3) حكم ستة اشهر.

(4) شقيق الملك داؤد الرابع.

(5) الملقب بجورج لاشا أي الملك الجليل.

(6) الملقبة بالملكة اللعوب.

(7) هو ابن روسودان من زوجها السلجوقي، لذا فقد لقب بـ داؤد السلجوقي، اصبح ملكاً على تفليس.

(8) هو داؤد السادس بن الملك جورج الرابع بن الملكة ثمارا، والوريث الشرعي للحكم، ولكن لصغر سنه تولت العرش عمته الملكة روسودان لحين بلوغه، إلا إن روسودان نصبت ولدها داؤد الخامس من زوجها السلجوقي ملكاً من بعدها، مما أدى الى تنازعه مع ابن خاله داؤد السادس بن جورج الرابع، فاحتكموا الى المغول فتم تقسيم مملكة جورجيا فيما بينهما،

19. ديمتري الثاني بن داؤد السادس (688 – 691هـ/1289 - 1291م)

20. اختانغ الثاني بن داؤد السادس (688 – 691هـ/1289 - 1291م)

21. داؤد السابع ابن ديمتري الثاني (691 – 701هـ/1291 - 1301م)

22. اختانغ الثالث بن ديمتري الثاني (701 – 707هـ/1301 - 1307م)

23. جورج الخامس بن داؤد السابع (707 – 714هـ/1307 - 1314م)

24. جورج السادس بن ديمتري الثاني (714 – 747هـ/1314 - 1346م)

25. داؤد الثامن بن جورج السادس (747 – 762هـ/1346 - 1360م)

26. بقراط الخامس بن داؤد الثامن (762 – 798هـ/1360 – 1395م)

27. جورج السابع بن بقراط الخامس (798 – 808هـ/1395 - 1405م)

28. قسطنطين الأول بن بقراط الخامس (808 – 815هـ/1405 - 1412م)

29. الاسكندر الأول بن بقراط الخامس (815 – 849هـ/1412 - 1445م)[1]

30. اختانغ الرابع بن الاسكندر الأول (849 – 850هـ/1445 - 1446م) [2]

فاصبح داؤد السادس ملكاً على ابخازية للفترة (1245 – 1273م)، بينما نصب داؤد الخامس ملكاً على تفليس، وبقي ملكاً عليها حتى وفاته في سنة 1269م، فعين المغول ولده الذي تزوج من اوجناي بنت آباقا بن هولاكو، إلا ان ضعف حكمه وعدم رغبة المغول فيه مكن الملك داؤد السادس من ضم تفليس إلى حكمه في سنة 1273م.

(1) حكم المملكة وهو فتى قاصر ودام حكمه ثمان وعشرين سنة، وامتاز عهده بنوع من القوة، إلا ان بداية النهاية للاستقلال الجورجي كانت في نهاية عهده اذ قسم المملكة بين أبنائه الثلاثة.

(2) أصبح حاكماً على منطقة قارتلي.

31. ديمتري الثالث بن الاسكندر الأول (850 - 857هـ/1446 - 1453م) [1]

32. جورج الثامن بن الاسكندر الأول (850 - 870هـ/1446 - 1465م) [2]

33. بقراط السادس بن جورج الثامن (870 - 883هـ/1465 - 1478م) [3]

34. قسطنطين الثاني بن ديمتري الثامن (883 - 911هـ/1478 - 1505م)

(1) أصبح حاكماً على منطقة ايمرتي.

(2) أصبح حاكماً على منطقة قاختي .

(3) امتازت المدة بعد هذا التاريخ بالصراعات بين أبناء البيت الحاكم في جورجيا على مناطق الحكم، فضلاً عن ان جميع الملوك الذين تولوا كانوا ضعاف الى درجة كبيرة واستمرت الحالة على هذا المنوال حتى السيطرة الفارسية عليها في سنة 1577م، فولى الفرس عليها ولاة تابعين لهم.

ملحق رقم (4)

خريطة تمثل موقع مملكة أرمينية الصغرى في حقبة الحروب الصليبية



نقلاً عن المطوي محمد العمروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب (تونس:1954)، ص72.

ملحق رقم (5)

خريطة تمثل مملكة الكرج في القوقاز



الشكل من عمل الباحث بالاعتماد على بعض المصادر والمراجع يبين أهم المدن الجورجية منذ قيامها وحتى الوقت الحالي

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

1- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم بن محمد (ت 630هـ)

- الباهر في التاريخ، تحقيق: أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963م.
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1966م.
- أُسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البناء وآخرون، دار الشعب، بيروت، د/ت.

2- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت560هـ).

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: إبراهيم الزيبق،عالم الكتب، بيروت، 1989م.

3- الأصفهاني، عماد الدين محمد بن حامد (ت 597هـ).

- دولة آل سلجوق، ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.
- الفتح القسي في الفتح القدسي، مطابع الموسوعات، القاهرة، 1321هـ.

4- اكطانكيغوس (د/ ت).

- تاريخ اكطانكيغوس عن انتشار المسيحية في أرمينية، اعتناء وتعليق: آرام تير غيفونديان، مطبعة المجمع العلمي الأرمني، يريفان، 1967م

5- ابن اياس، محمد بن أحمد (ت930هـ/1523م).

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، القاهرة، 1960م.

6- ابن أيبك، أبي بكر بن عبد الله (توفي في القرن الثامن الهجري).

- كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة عيسى البابي

وشركائه، القاهرة، 1971م.

7- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(279هـ).

- فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.

8- البنداري، قوام الدين أبي الفتح بن علي (ت 579هـ).

- سنا البرق الشامي، تحقيق: رمضان ششن، مطابع الأمان، بيروت، 1970م.بولو، ماركو (ت 1324م).

9- رحلات ماركو بولو، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.

10- التطيلي، بنيامين (دون سنة وفاة).

- رحلة بنيامين، ترجمة: عزاز حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، 1945م.

11- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت 874هـ).

- النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، مطابع كوستاتسوماتس، القاهرة، د.ت.

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1956م.

12- ابن تيمية، الفقه،عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم (ت728هـ).

- المحرر في الفقه، ط2، مكتبة المعارف، الرياض، 1404هـ.

13- الجزري، أبو بكر شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 739هـ).

- حوادث الزمان وانبائه ووفيات الأكابر والأعيان، دار الكاتب العربي، بيروت، 1988م.

14- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ).

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1358ه.

15- الحسيني، صدر الدين بن علي (ت624هـ).

- أخبار الدولة السلجوقية، اعتناء: محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1984م.

16- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، د/م بيروت، 1975م.
17- ابن حوقل، القاسم النصيبي (ت 379هـ).
- صورة الأرض، مطبعة فؤاد، بيروت، 1934م.
18- ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.
19- ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت 628هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
20- خوريناتسي، موسيس (ت القرن الرابع الميلادي).
- تاريخ الأرمن من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، نقله إلى العربية: نزار خليلي، مطابع اشبيلية، دمشق، 1999م.
21- ابن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (240هـ).
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1397هـ.
22- الدويهي، اسطفانوس (دون سنة وفاة).
- تاريخ الأزمنة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1951م.
23- الذهبي، شمس الدين (ت 748هـ).
- دول الإسلام، المطبعة الوطنية القطرية، الدوحة، 1988م.
- العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط2، د/م،الكويت، 1984م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط9، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق:عمر عبد السلام تدمري، دار

الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

24- ابن الساعي، أبو طالب علي بن أنجب (ت 674هـ).

- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق: جواد علي، المطبعة السريانية، بغداد، 1934م.

25- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر قزاوغلي (ت 654هـ).

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن، 1948م.

26- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ).

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار إحياء الكتب، بيروت، 1968م.

- تأريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1976م.

27- أبو شامة، شهاب الدين أبي محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ).

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الجليل، بيروت، د.ت.

- الذيل على الروضتين، ط2، دار الجليل، بيروت، 1947م.

28- ابن الشحنة، محب الدين أبي الفضل محمد (ت 884هـ).

- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق: يوسف بن اليان، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1909م.

29- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف (ت 648هـ).

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964م.

30- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ).

- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي دهان، دار الفكر، دمشق، 1962م.

31- ابن قاضي شهبة، بدر الدين (ت 874هـ).